الحالم الغامض

دكستر

تم تحويله لمُسلسل تليفزيوني كبير حاز على العديد من الجوائز

قاتِل متسلسل لديه قلب كبير...

كُن مُمتنًا أنه لا يخصَّك

جيف ليندسي

ترجمة محمد عصمت

مكتبة 910#

مكتبة | سُر مَن قرأ

ديكستر الغامض الحالم

ليندسي ، جيف
ديكستر الغامض الحالم: رواية /جيف ليندسي.
ترجمة : محمد عصمت.
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2022.
320 صفحة، 20 سم.
تدمك : 978-977-820-108-6
ا- القصص الأمريكية
أ- محمد عصمت (مترجم)
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 23748 / 2021
الطبعة الأولى : يناير 2022.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

مكتبة
t.me/t_pdf

٢٠٢٢ ٨ ٥

#910

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

DARKLY DREAMING DEXTER

Copyright © 2004 by Jeff Lindsay

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

ديكستر الغامض الحالم

مكتبة | سُر مَن قرأ

تأليف: جيف ليندسي

ترجمة: محمد عصمت

رواية

كيان للنشر والتوزيع

مكتبة
t.me/t_pdf

اعتراف

كتابة هذا العمل لم تكُن مُمكِنة دون المُساعدة التقنية، والروحية السخيّة من أينشتاين والشمَّاس، اللذين يُمثلان شُرطة ميامي أفضل تمثيل، واللذين علَّماني بعض الأمور عن كيفية القيام بعملٍ صعبٍ في بيئة أكثر صعوبة.

أود كذلك أن أشكر عددًا من الناس الذين تقدَّموا ببعض الاقتراحات المُفيدة للغاية، ولا سيما زوجتي، باركليز، خوليو، دكتور أ. لـ فروينديتش وزوجته، بوكي، بير، وتينكي.

كما أنني مدين بشدة لجيسون كوفمان لحكمته وبصيرته في صياغة هذا الكتاب.

كذلك أود شكر دوريس، صاحبة الضحكة الأخيرة.

وشكر خاص جدًّا لنيك إليسون، الذي يتمتَّع بكُل صفات الوكيل، لكنه لم يكُن كذلك يومًا.

الفصل الأول

قمـر، قمـر مهيـب، قمـر كبـير محمـرٌّ كامِـل، ينـير الليـل كالنهـار، يفيـض ضـوؤه عـلى الأرض ويجلـب الفـرح، والسـعادة، يجلـب كذلِـك دعـوات صادِقـة مـن القلـب لتُحلِّـق في الليـالي الاسـتوائية، يطفـو صـوت الريـاح البريـة الناعمـة خـلال الشـعر الموجـود عـلى ذراعِـك، تسـمَع صـوت نحيبهـا المجـوَّف، كـما تسـمَع صـوت طحـين الأسـنان تحـت ضـوء القمـر قبالـة المـاء.

يـصرُخ مـن أجـل احتياجاتـه، سـيمفونية صراخ مكوَّنـة مـن آلاف الأصـوات المُختبِئـة، صراخ الاحتياجـات الداخليـة، الكيـان، المُراقِـب الصامِـت، الـشيء البارِد الهـادئ، الـذي يضحَـك، الراقِـص تحـت القمـر، أنـا.. الـذي ليـس أنـا، الـشيء الـذي يسـخَر ويضحَـك والـذي أتى مُعلنًـا عـن جوعـه، عـن احتياجاتـه، التـي كانَـت قويـة الآن، شـديدة الحـذر، بـارِدة، مُلتفَّـة، زاحِفـة، مُتصدِّعـة، مُسـتعِدة، وجاهـزة، قويـة للغايـة، وجاهـزة جـدًّا الآن، وعـلى الرغـم مـن ذلـك.. مـا زالـت تنتظِـر وتُراقِـب، وتُجـبرني عـلى الانتظـار والمُراقبـة.

كُنـت أنتظِـر وأراقِـب الكاهِـن منـذ خمسـة أسـابيع حتـى الآن، وكانـت الرغبـة تسـتفزني وتنكـزني، تضغـط عـليّ لأجـد واحـدة، لأجـد التاليـة، لأجـد هـذا الكاهِـن.

لمُـدة ثلاثـة أسـابيع كُنـت أعلـم أنـه هـو، هـو التـالي، نحـن ننتمـي للراكِـب المُظلِـم، أنـا وهـو معًـا، وطـوال تلـك الأسـابيع الثلاثـة كُنـت أقـاوِم الضغـط، والحاجـة المُتناميـة التـي ترتفِـع فوقـي كموجـة عملاقـة ترتفِـع وتـزأر فـوق الشـاطئ دون أن تنحسِـر، تتضخَّـم فقـط مـع كُل دقَّـة سـاعة مـن سـاعات الليـل المُـشرِق.

لكنه كان وقتًا حذرًا كذلِك، الوقت الذي قضيته لأتأكَّد، ليس لأتأكَّد من الكاهِن بالطبع، لا، كُنت مُتأكِّدًا منه منذ وقت طويل، الوقت الذي قضيته لأتأكَّد من قدرتي على القيام بالأمر بطريقةٍ صحيحةٍ، بشكلٍ أنيقٍ، لأتأكَّد أن جميع الزوايا مطويَّة، كُلها مُرتَّبة جيدًا، لا يُمكنني المُخاطرة بأن يتم القبض عليّ، ليس الآن، لقد عملت بجدٍّ، لفترةٍ طويلةٍ، لأضمَن هذا العمل، لأحمي حياتي الصغيرة السعيدة.

وكُنت أحظى بالكثير من المرح لأتوقَّف الآن.

لطالما كُنت حذرًا، لطالما كُنت مرتبًا، لطالما كُنت مُستعدًا بشكلٍ يسبق الوقت، كي يكون كُل شيء على ما يُرام، وحين يكون كُل شيء على ما يُرام، آخذ وقتًا إضافيًا لأتأكَّد من ذلك، كانت هذه طريقة هاري، بارَك الله فيه، ذلك الشُّرطي المثالي صاحِب النظرة البعيدة، والدي بالتبني، لتبقى واثِقًا دائمًا، لتبقى حذرًا، كُن على يقين، هكذا كان يقول دومًا، من أن كُل شيء يتم على طريقة هاري قدر الإمكان، وحين تركت العمل في تلك الليلة، كُنت أعلم أنها هي، هذه الليلة هي المنشودة، بدت الليلة مُختلِفة، هذه الليلة التي سيحدُث فيها الأمر، يجب أن يحدُث، مثلما حَدَث من قبل، ومثلما سيحدث مرة أخرى، وأخرى.

والليلة، سيحدُث الأمر للكاهِن.

كان اسمه الأب دونوفان، وكان يقوم بتدريس الموسيقى للأطفال في دار أيتام سانت أنتوني في هومستيد، فلوريدا، أحبه الأطفال، وبالطبع أحب الأطفال، أحبهم للغاية في الواقِع، لقد كرَّس حياته بأكملها من أجلهم، ليعلمهم الغناء واللغة الإسبانية، وليعلمهم الموسيقى كذلِك، فعل كُل شيء من أجل الأطفال، وكُل شيء فعله.. كان من أجل الأطفال.

كُل شيء.

راقبتـه تلـك الليلـة مثلـما راقبتـه لليـالٍ عديـدةٍ مـن قبـل، راقبتـه وهـو يتوقّـف عـلى بـاب دار الأيتـام، توقّـف ليتحـدَّث لفتـاة صغـيرة سـوداء كانـت قـد لحقـت بـه للخـارِج، كانـت صغـيرة، لا يتجـاوز سـنها ثمـاني سـنوات رغـم أنهـا تبـدو أصغـر مـن ذلـك، جلـس عـلى الـدرج وتحـدَّث معهـا لمُـدة خمـس دقائـق، جلسـت بدورهـا، وأخـذت تتحـرَّك صعـودًا وهبوطًـا، ضحـكا معًـا، انحنَـت نحـوه، لمـس شـعرها، قبـل أن تظهـر راهبـة وتقـف في المدخَـل، نظـرت إليهـما للحظـةٍ قبـل أن تتحـدَّث، ثـم ابتسـمت وعقـدت يديهـا، قرَّبـت الفتـاة رأسـها مـن الكاهِـن، فاحتضنهـا الأب دونوفـان، قبـل أن يقِـف ويُقبِّلهـا مُتمنيًـا لهـا ليلـة سـعيدة، ضحكـت الراهبـة وقالـت شـيئًا مـا لـلأب دونوفـان، فـرد عليهـا بـشيءٍ آخـرٍ.

ثم بدأ التحرُك نحو سيارته، في النهاية: كُنت مُستعدًا للهجوم و...

ليـس بعـد، وقفـت شـاحنة النظافـة الصغـيرة عـلى بُعـد خمسـة عـشر قدمًـا مـن البـاب، عبرهـا الأب دونوفـان، قبـل أن يُفتَـح بابهـا الجـرَّار، ظهـر مـن خلفـه رجـل ينفُـخ سـيجارته، حيَّـا الكاهِـن الـذي وقـف أمـام الشـاحِنة واسـتند إليهـا وهـو يتحـدَّث مـع الرجـل.

الحـظ، الحـظ مـرة أخـرى، دائمًـا مـا يكـون الحـظ في تلـك الليـالي، لم أر الرجـل، ولم أخمِّـن كذلـك أنـه كان هنـاك، لكنـه كان لـيراني، لـولا الحظ.

أخذت نفسًا عميقًا، تركته يخرُج ببطءٍ، بثباتٍ، وبرودةٍ كالثلج.

لقـد كان شـيئًا واحـدًا صغـيرًا، لم أفـوِّت أي أشـياء أخـرى، لقـد فعلـت كُل شيء عـلى مـا يُـرام، كُلهـا بنفـس الطريقـة، كـما يجـب أن تتـم، كُل شيء سـيكون عـلى مـا يُـرام.

الآن.

مكتبة
t.me/t_pdf

تحـرَّك الأب دونوفـان نحـو سـيارته مـرة أخـرى، اسـتدار مـرة واحـدة وقـال شـيئًا مـا، لـوَّح لـه عامِـل النظافـة مـن عـلى بـاب دار الأيتـام، قبـل أن يُلقـي سـيجارته بالخـارِج ويختفـي داخِـل المبنـى، ذَهَـبَ.

الحظ، الحظ مرة أخرى.

بحـث الأب دونوفـان عـن مفاتيحـه، فَتَـح بـاب سـيارته، ودخلهـا، سـمعت المفتـاح يدخُـل، وسـمعت المُحـرِّك يعمَـل، وبعـد ذلـك..

الآن.

جلسـت في المقعـد الخلفـي، ولففـت الحبـل حـول عنقـه، في حركـةٍ سريعـةٍ، شـعر بلفائـف حبـل الصيـد الـذي يبلُـغ وزنـه خمسـين رطـلًا وهـو يضيـق، صـدر منـه صـوت صغـير مذعـور وكان هـذا كُل شيء.

أخبرته: "أنت ملكي الآن».

تجمَّـد تمامًـا كـما لـو أنـه تـدرَّب عـلى هـذا مـن قبـل، كـما لـو كان قـد سَـمِع الصـوت الآخـر، المُراقِـب الضاحِـك الموجـود بداخلي.

قُلت له: "افعل ما أقوله بالضبط".

تنفَّـس نصـف نفـس ونظـر نحـوي في مـرآة الرؤيـة الخلفيـة، كان وجهـي هنـاك بانتظـاره، ملفوفـًا بقنـاع مـن الحريـر الأبيـض لم يُظهِـر سـوى عينـيّ.

سألته: "هل تفهَم؟".

شعرت بملمس الحرير الناعِم على شفتي وأنا أتحدَّث.

لم ينطِق الأب دونوفان بكلمةٍ، حدَّق في عينيّ، سحبت الحبل.

كرَّرت حديثي بصوتٍ أكثر خفوتًا: "هل تفهم؟".

هـذه المـرة.. أومـأ، حـرَّك يـده عـلى الحبـل الـذي يخنقـه، غـير واثِـق مـما سـيحدُث لـو حـاول تخفيفـه، كان وجهـه قـد تحـوَّل إلى اللـون الأرجـواني.

أرخيـت الحبـل قليـلًا وأنـا أقـول: "كُـن جيـدًا، وسـتعيش لوقـتٍ أطـول".

أخـذ نفسًـا عميقًـا، كُنـت قـادرًا عـلى سـماع صـوت الهـواء وهـو يدخُـل إلى حلقـه، سـعل قبـل أن يعـود للتنفُّـس مـرة أخـرى، لكنـه ظـلَّ جالسًـا في سـكون، ولم يحـاوِل الهـرب.

كان هذا جيدًا للغاية.

قدنـا السـيارة، اتبـع الأب دونوفـان تعليـماتي، دون حيـل، دون تـردُّد، قدنـا السـيارة جنوبًـا نحـو مدينـة فلوريـدا، سـلكنا طريـق كارد سـاوند، كان بإمـكاني أن أعـرف أن هـذا الطريـق جعلـه عصبيًّـا، لكنـه لم يعـترِض، لم يحـاول التحـدُّث معـي، أبقـى كلتـا يديـه عـلى عجلـة القيـادة، شـاحبة ومُتعرِّقـة، قبـض عليهـا بشـدة لدرجـة أن مفاصِـل أصابعـه ابيضَّـت، كان هـذا بـدوره جيـدًا جـدًّا.

قدنـا السـيارة جنوبًـا لخمـس دقائـِق أخـرى في صمـت باسـتثناء صـوت صريـر الإطـارات، وصـوت الريـاح، بينـما صَنَـع القمـر العظيـم مـن فوقنا موسـيقاه الجبّـارة داخِـل عروقـي، بينـما كان المُراقِـب الحريـص يضحَـك بهـدوء في جنـح الليـل الثابِـت.

قُلت أخيراً: "استدِر هنا".

تطلَّـع الكاهِـن إليّ في المـرآة، يحـاول الذعـر التقافُـز مـن عينيـه، وصولًا لأسـفل وجهـه، نحـو فمـه مـن أجـل أن يتحـدَّث، لكن...

قُلت: "استدر".

وهكـذا فعـل، كـما لـو أنـه كان يتوقَّـع هـذا طـوال الوقـت، كـما لـو أنـه في انتظـار هـذا طـوال الوقـت، اسـتدار.

كان الطريـق الـتُرابي الصغـير بالـكاد مرئيًـا، كان يجـب أن تعـرف أنـه هنـاك، لكننـي عرِفـت، كُنـت هنـا مـن قبل، يمتـد الطريـق لمسـافة ميلين

ونصف، ينحني ثلاث مرات، يمتد من خلال العُشب المُنتشِر، عبر الأشجار، جنبًا إلى جنب مع قناة صغيرة، في عُمق المُستنقع قبل أن يصل لمساحة خالية.

قبل خمسين عامًا، بنى شخص ما منزلًا، ما زال مُعظمه موجودًا، كان كبيرًا على ما كان عليه، ثلاث غُرف، نصف السقف ما زال موجودًا، لكن المكان أصبح مهجورًا الآن ومنذ عدة سنوات.

باستثناء حديقة الخضراوات الصغيرة القديمة الموجودة في الفناء الجانبي، كانت هناك علامات على أن شخصًا ما كان يحفر هناك مؤخرًا.

قُلت بينما كانت مصابيح السيارة الأمامية مُثبَّتة على المنزل المُتداعي: "أوقِف السيارة".

أطاع الأب دونوفان الأمر في بطءٍ، كان الخوف قد سيطر على جِيده الآن، كانت أطرافه وأفكاره في حالة تجمُّد تام.

قُلت: "أطفئ المُحرك".

وكذلك فعل، وفجأة.. كان المكان هادئًا تمامًا.

بعض الأشياء الصغيرة كانت تتحرك بالقُرب من شجرة ما، حرّكت الرياح بعض العُشب، قبل أن يسود المزيد من الهدوء، كان الصمت عميقًا للدرجة التي جعلته قادرًا على إغراق هدير الموسيقي الليلية التي كانت تعصف في نفسي السريَّة.

قُلت له: "اخرج".

لم يتحرك الأب دونوفان، ظلَّت عيناه مُثبّتتين على حديقة الخضراوات.

سبعة تلال صغيرة فوق الأرض كانت واضحة للعيان هناك، بدت التُّربة مُظلِمة للغاية في ضوء القمر، ولا بد أنها قد بدت أكثر

قتامـة بالنسـبة لـلأب دونوفـان، ورغـم ذلـك.. لم يتحـرّك.

جذبـت الحبـل بقـوة، أكـثر مـما ظننـت أنـه بإمكانـه العيـش مـن خلالـه، أكـثر مـما كان يعـرِف أنـه مـن المُمكِـن أن يحـدُث لـه، تقـوَّس ظهـره عـلى المقعـد، ظهـرت الأوردة في جبينـه، ظـنَّ أنـه عـلى وشـك المـوت.

لكنه لم يكُن كذلك، ليس بعد، ليس لبعض الوقت في الواقِع.

ركلـت بـاب السـيارة لأفتحـه وجذبتـه للخـارج مـن بعـدي، فقـط لأجعلـه يشـعُر بقـوتي، تعـثَّر في الطريـق الـتُّرابي، وسَـقَطَ وهـو يتلـوى كثُعبـان مُصـاب، ضحـك الراكِـب المُظلِـم وأحـب ذلـك، قـرَّرت القيـام بذلـك الـدور، وضعـت قدمـي فـوق صـدر الأب دونوفـان، وأمسـكت بالحبـل الـذي يخنقـه.

قُلـت لـه: "عليـك أن تسـمع وتفعـل مـا أقولـه، عليـك أن تفعـل هـذا".

انحنيـت نحـوه وأنـا أخفِّـف مـن قبضتـي عـلى الحبـل، وقُلـت: "يجب أن تعـرِف ذلـك، إنـه أمـر مهم".

كان مُنصِتًـا، عينـاه المليئتـان بالـدم والألم بدأتـا في ذرف الدمـوع عـلى وجهـه، التقـت عينـاه بعينـيّ في اندفـاعٍ مـليء بالتفاهُـم، جميـع الأشـياء التـي كان لا بُـد مـن حدوثهـا، كانـت موجـودة الآن ليراهـا، رآهـا.. وعَـرِف كـم كان مُهـمًّا بالنسـبة لـه أن يكـون مُحِقًّـا، بـدأ يعـرِف.

أمرته: "انهض الآن".

وببـطء، ببـطءٍ شـديدٍ، وعينـاه مُثبَّتتان في عينـيّ، نهـض الأب دونوفان، وقفنـا بهـذه الطريقـة لوقـتٍ طويـلٍ، عينانـا مُلتقيتـان، تحولنـا لشـخصٍ واحـدٍ برغبـةٍ واحـدةٍ، ثـم ارتعـد، رفـع يـده إلى نصـف الطريـق نحـو وجهـه، وأسـقطها مـرة أخـرى.

وبصوتٍ خافتٍ قُلت: "في المنزل".

في المنزل حيث كُل شيء جاهز.

خفض الأب دونوفان عينيه، رفعهما نحوي لكنه لم يعُد قادرًا على النظر، التفت نحو المنزل لكنه توقَّف حين رأى الأكوام التُرابية الداكنة الموجودة في الحديقة، أراد أن ينظُر نحوي، لكنه لم يستطِع، ليس بعد أن رأى الأكوام التُرابية السوداء تلتمِع تحت ضوء القمر مرة أخرى.

بدأ بالتحرُّك نحو المنزل، أمسكت بمقوده، تحرَّك بطاعةٍ، رأسه مُنكَّس إلى الأسفل، ضحية جيدة مُطيعة، فوق الدرجات الخمس المُحطَّمة، عبر الشُّرفة الضيقة نحو الباب الأمامي، المُغلَق بقوة، توقَّف الأب دونوفان، لم ينظُر للأعلى، لم ينظُر نحوي.

قُلت بصوتٍ آمرٍ خفيض: "ادخل من الباب".

لكن الأب دونوفان ارتعد، قُلت مرة أخرى: "ادخُل من الباب الآن".

لكنه لم يستطِع.

مِلت نحوه ودفعت الباب لأفتحه، دفعت الكاهِن للداخِل بقدمي، تعثَّر، لكنه تمالك نفسه، ووقف في الداخِل تمامًا، عيناه مُغلقتان بشكلٍ ضيقٍ.

أغلقت الباب، كُنت قد تركت مصباحًا يعمل بالبطارية بجانِب الباب، أمسكت به وفتحته.

همست: "انظُر".

وببطءٍ شديدٍ، وبحرصٍ بالغٍ، فتح الأب دونوفان عينًا واحدةً قبل أن يتجمَّد.

توقَّف الزمن بالنسبة للأب دونوفان.

قال: "لا".

فقُلت: "نعم".

قال: "أوه، لا».

فأجبته: "أوه، نعم».

صرخ: "لا!".

جذبـت الحبـل الخانِـق، قُطِعـت صرختـه وهـو يسـقُط عـلى ركبتيـه، أصـدر صـوت همـس مكتـوم وهـو يغطـي وجهـه، قُلـت: "أجـل، إنهـا فـوضى رهيبـة، أليـس كذلـك؟".

اسـتخدم وجهـه بالكامِـل مـن أجـل إغـلاق عينيـه، لم يقـدر عـلى النظـر، ليـس الآن، وليـس هكـذا، لم ألُمـه، ليـس حقًّـا، كانـت فـوضى رهيبـة، لقـد أزعجنـي فقـط أن أعـرِف أنهـا كانَـت هنـاك منـذ قُمـت بإعدادهـا مـن أجلـه، لكـن كان عليـه أن يراهـا، كان عليـه أن يفعَـل، ليـس فقـط مـن أجلي، ليـس فقـط مـن أجـل الراكِـب المُظلِـم، بـل مـن أجلـه، كان عليـه أن يـرى، بينـما لم يكُـن ينظُـر.

قُلت: "افتح عينيكَ أيها الأب دونوفان".

قال في صوتٍ خفيضٍ مُرتعِد: "أرجوك".

لقـد أثـار أعصـابي بشـكلٍ سـيئ للغايـة، لا ينبغـي لهـذا أن يحـدُث، ينبغـي أن أتحكَّـم في أعصـابي نظيفـة وبـاردة كالثلـج، لكنـه أثَّـر عـليّ، أنَّ في وجـه تلـك الفـوضى الموجـودة عـلى الأرض، ركلـت سـاقيه مـن تحتـه، جذبـت الحبـل الخانِـق بقـوة وأنـا أضغـط عـلى الجـزء الخلفـي مـن رقبتـه بيـدي اليُمنـى، ثـم اصطـدَم وجهـه بقـوة في ألـواح الأرضيـة المشـوَّهة القـذرة، كان هنـاك القليـل مـن الدمـاء، وهـذا جعلنـي أكـثر غضبًـا.

قُلت: "افتحهما، افتح عينيكَ، افتحهما الآن، وانظر".

جذبت شعره ورأسه للخلف، قُلت: "افعل مثلما تؤمَر، انظُر، أو سأقطَع جفنيك من على وجهك".

كُنت مُقنعًا للغاية، لذلك امتثَل للأمر، فعل ما أُمِر به، ونظر.

لقد عملت بجدٍّ لتصحيح الأمر، لكن عليكَ أن تستخدِم ما يجب أن تعمل به، لم أكُن لأستطيع القيام بالأمر لو لم يكونوا هناك لفترةٍ كافيةٍ ليجف كُل شيء، لكنهم كانوا قذرين للغاية، كُنت قد تمكَّنت من تنظيف مُعظَم الأوساخ، لكن بعض الأجساد كانت في الحديقة لفترةٍ طويلةٍ جدًّا، لدرجة أنه لم يكُن بإمكانِك معرفة أين تبدأ الأوساخ وأين ينتهي الجسد، لن يُمكِنك أن تعرف ذلك أبدًا، ربما فقط عندما تتوقَّف للتفكير في الأمر، قذرة للغاية.

كان هناك سبعة منهم، سبع جُثث صغيرة، سبعة أطفال يتامى قذرون للغاية وضعوا على ملاءات دُش مطاطية، التي كانت أكثر أناقة ولا تسمَح بالتسريب، سبعة خطوط مُستقيمة تُشير إليه مُباشرةً عبر الغُرفة.

مكتبة
t.me/t_pdf

تُشير إلى الأب دونوفان مُباشرةً، لذلك عَلِم.

كان على وشك الانضمام إليهم.

بدأ بالصلاة: "السلام لكِ يا مريم، يا مُمتلِئة نعمة...".

جذبت الحبل الخانِق بقوة وأنا أقول: "لا شيء من هذا القبيل يا أبتاه، ليس الآن. الآن للحقيقة الكاملة".

اختنق وهو يقول: "من فضلك".

جذبت الحبل مرة أخرى وأنا أقول: "أجل، توسَّل لي، هذا جيد، هذا أفضل بكثيرٍ، هل تعتقد أن هذا هو كُل شيء يا أبتاه؟ سبع جُثث؟ هل توسَّلوا؟".

لم يكُن لديه ما يقوله، أكمَلت: "هل تعتقِد أن كُلهم هنا يا

أبتـاه؟ سـبعة فقـط؟ هـل حصلـت عليهـم جميعًـا؟".

قال بصوتٍ مليء بالألم، والذي كان جيدًا للغاية: "أوه، يا الله".

"ومـاذا عـن المُـدن الأخـرى يـا أبتـاه؟ مـاذا عـن فايتفيـل؟ هـل تريـد التحـدُث بشـأن فايتفيـل؟".

اختنـق بالبُـكاء، دون أي كلـمات، أكملـت: "ومـاذا عـن شرق أورانـج؟ هـل كانـوا ثلاثـة؟ أم أننـي فـوَّت واحـدًا هنـاك؟ مـن الصعـب التأكُّـد مـن ذلـك، هـل كانـوا أربعـة في شرق أورانـج يـا أبتـاه؟".

حـاول الأب دونوفـان أن يـصرُخ، لكـن لم يكـن هنـاك هـواء كافٍ في حلقـه ليكـوِّن صرخـة جيـدة للغايـة، لكنـه كان لديـه شـعور حقيقـي بذلـك، والـذي عـبَّر عنـه بتلـك الطريقـة الفقـيرة، قبـل أن يسـقُط للأمـام عـلى وجهـه، سـمحت لـه بالتنفُّـس لبعـض الوقـت، قبـل أن أسـحبه صعـودًا إلى أن وقـف عـلى قدميـه، لم يكُـن ثابتًـا، ولم يكُـن مُسـيطرًا، كان قـد فقـد السـيطرة عـلى مثانتـه، وسـال لعابـه عـلى ذقنـه.

قـال: "مـن فضلـك، لم أسـتطِع منـع نفـسي، لم يكُـن بإمـكاني منـع نفـسي، مـن فضلـك.. عليـك أن تفهَـم...".

قُلت: "أنا أفهم يا أبتاه".

كان هنـاك شيء مـا في صـوتي، كان صـوت الراكِـب المُظلِـم الآن، جمَّـده صوتـه، رفـع رأسـه ببـطءٍ ليواجهنـي، ومـا رآه في عينـيّ جعلـه سـاكنًا للغايـة، أخبرتـه وأنـا أقرِّبـه مـن وجهـي: "أنـا أفهـم تمامًـا".

تحـوَّل العـرق الموجـود عـلى وجنتيـه إلى جليـد وأنـا أكمِـل: "كـما تـرى، لا أسـتطِع منـع نفـسي كذلـك".

كُنـا قريبـين للغايـة الآن، بالـكاد عـلى وشـك التلامُـس، وبـدت قذارتـه فجـأة أكـثر مـن الـلازِم، جذبـت الحبـل الخانِـق قبـل أن أركل قدميـه مـن تحتـه مـرة أخـرى، سـقط جسـد الأب دونوفـان مُترامـي الأطـراف

علـى الأرض.

قُلت: "لكن الأطفال؟ لا يُمكنني فعل ذلك بالأطفال".

ضغطـت بحـذائي الصلـب النظيـف عـلى مؤخـرة رأسـه، وأنـا أضغـط وجهـه للأسـفل، قُلـت: "ليـس مثلـك يـا أبتـاه، الأطفـال لا، كان يجـب أن أجـد مـن هُـم عـلى شـاكِلتك".

همس الأب دونوفان: "ما أنت؟».

قُلت: "البداية والنهاية، قابِل خالِقك يا أبتاه».

كانـت الإبـرة جاهـزة، غرسَـت في عنقـه كـما ينبغـي لهـا أن تفعـل، قاوَمـت عضلاتـه الجامـدة مقاومـة طفيفـة، لكـن الكاهِـن لم يفعَـل، دفعـت المكبـس وأفرغـت الحقنـة، مـلأت الأب دونوفـان بهـدوءٍ سريـعٍ ونظيـفٍ، لحظـات، لحظـات فحسـب، وبـدأ رأسـه يطفـو، قبـل أن يتدحـرَج نحـوي.

هـل رآني حقًّـا الآن؟ هـل رأى القفـازات المطّاطيـة المزدوجـة، الأغطيـة الدقيقـة، وقنـاع الحريـر؟ هـل رآني حقًّـا؟ أم أن الأمـر حـدث فقـط في الغُرفـة الأخـرى، غُرفـة الراكِـب المُظلِـم، الغُرفـة النظيفـة؟ التـي قضيـت الليلتـين الماضيتـين في طلائهـا بالأبيـض، في مسـحها، فركهـا، ورشّـها، في تنظيفهـا كـما ينبغـي أن تكـون، وفي وسـط الغُرفـة.. غطيـت نوافذهـا بمـلاءات مطاطيـة بيضـاء سـميكة، تحـت الأضـواء الموجـودة في مُنتصـف الغُرفـة، هـل رآني أخـيراً هنـاك، في الطاولـة التـي صنعتهـا، في صناديـق أكيـاس القمامـة البيضـاء، في زجاجـات المـواد الكيميائيـة، وفي الصـف الصغـير مـن المناشـير والسـكاكين؟ هـل رآني في النهايـة؟

أم تُـراه رأى تلـك الكُتـل السـبع غـير المُرتَّبـة، مـن يـدري كـم عـدد الكُتـل الأخـرى؟ هـل رأى نفسـه أخـيراً، غـير قـادِر عـلى الـصراخ، يتحـوَّل لذلـك النـوع مـن الفـوضى في الحديقـة؟

لم يفعل بالطبع، لن تسمح له مُخيّلته أن يرى نفسه على نفس الشاكلة، وبطريقةٍ ما.. كان مُحقًّا، لن يتحوَّل أبدًا لنفس الفوضى التي صنعها من الأطفال، لن أفعل ذلك أبدًا، لا يُمكنني السماح بذلك، أنا لست مثل الأب دونوفان، لست هذا النوع من الوحوش.

أنا وحش أنيق للغاية.

والأناقة تستغرِق وقتًا بطبيعة الحال، لكنها تستحِق كُل هذا العناء، تستحِق كُل هذا العناء لجعل الراكِب المُظلم سعيدًا، والحفاظ عليه هادئًا لفترةٍ طويلةٍ أخرى، تستحق كُل هذا العناء لجعل الأمر على ما يُرام، إزالة كومة واحدة من الفوضى خارِج العالم، في عدد قليل من أكياس القمامة الملفوفة بدقة، ليكون ركن صغير من العالم أكثر أناقة، أكثر سعادة، مكانًا أفضل.

لديّ حوالي ثماني ساعات قبل أن أرحَل، سأحتاجها جميعًا لأفعل الأمر بشكلٍ صحيحٍ.

ثبتُّ الكاهِن إلى الطاولة بشريطٍ لاصِق وقطعت ملابسه، قُمت بالعمل المبدئي بسُرعة، الحلاقة، الفرك، قطع الأشياء التي تعلق بالخارِج بشكلٍ غير مُرتَّب، وكما هي العادة.. شعرت بالطاقة الطويلة البطيئة الرائعة وهي تعصف بجسدي بأكمله، سوف تطفو من خلالي أثناء قيامي بالعمل، سترتفع وتأخذني معها، حتى النهاية، الرغبة، والكاهن يسبحان بعيدًا معًا حتى يتلاشى المد.

وقبل أن أبدأ في العمل الجاد، فتح الأب دونوفان عينيه ونظر إليّ، لم يكُن هناك خوف الآن، هذا يحدُث في بعض الأحيان، نظر إليّ مُباشرةً، وتحرك فمه.

قُلت وأنا أقترِب منه قليلًا: "ماذا؟ لا أستطيع أن أسمعك».

سمعته يتنفَّس، يتنفَّس ببطءٍ وفي سلامٍ، ثم قالها مرة أخرى قبل أن يُغلِق عينيه.

قُلت وأنا أبدأ في العمل: "على الرحب والسعة".

الفصل الثاني

بحلول الرابعة والنصف صباحًا كان الكاهِن نظيفًا تمامًا، شعرت بتحسُّن كبير، لطالما فعلت بعدها، القتل يجعلني أشعر أنني بحالةٍ جيدةٍ، يعمل على إخراج العُقد من مُخطَّط ديكستر المُظلِم العزيز، إفراج لذيذ، إفراج ضروري لكُل الصمامات الهيدروليكية الصغيرة الموجودة بالداخِل، أنا أستمتع بعملي، وآسف لو كان هذا يُزعِجك، آسف جدًّا، حقًّا، لكن هذا هو الأمر، وليس فقط أي قتل بالطبع.

يجب أن يتم ذلك بالطريقة الصحيحة، في الوقت المُناسِب، ومع الشريك المُناسِب، أمر مُعقَّد للغاية، لكنه ضروري للغاية.

ودائمًا ما يكون مُستنزِفًا بطريقةٍ ما، لذلك كُنت مُرهقًا، لكن توتُّر الأسبوع الماضي كان قد ذهب، وصوت الراكِب المُظلِم البارِد كان قد خَفت، وأصبح بإمكاني أن أكون أنا مرة أخرى، ديكستر الملتوي، المَرِح، السعيد، المحظوظ، والميت من الداخِل، لم أعُد ديكستر المُمسِك بالسكين، ديكستر المُنتقِم، ليس حتى المرة القادِمة، وضعت كُل الجُثث مرة أخرى في الحديقة، بالإضافة لجارٍ جديدٍ، رتبت المنزل الصغير المُتهدِّم بقدر ما استطعت، حزمت أشيائي في سيارة الكاهِن، وتوجَّهت جنوبًا نحو القناة الجانبية الصغيرة، حيث كُنت قد تركت قاربي، صائِد الحيتان الذي يبلغ طوله سبعة عشر قدمًا، صاحِب السحب الضحل والمُحرِّك الكبير، دفعت سيارة الكاهِن إلى القناة، خلف قاربي قبل أن أصعد إلى متنه، راقبت السيارة تستقِر وتختفي، ثم قُمت بتحريك اللوح الخارجي، وتحرَّكت في القناة، مُتجهًا ناحية الشمال عبر الخليج، كانت الشمس تُشرِق، وتنشُر

سحرها البرَّاق، رسمت أجمل ابتساماتي على وجهي، مُجرَّد صياد سمك آخر يتجه لمنزله في الصباح الباكِر، هل يريد أي شخص سمك النهَّاش الأحمر؟

بحلول السادسة والنصف صباحًا كُنت في شقتي في كوكونوت جروف، أخرجت الشريحة من جيبي، شريط زجاجي نظيف وبسيط، مع قطرة واحدة دقيقة من دماء الكاهِن تستقِر في ثبات في مُنتصفها، كانت جافة الآن، ومُستعِدة للانزلاق تحت مجهَري حين أرغَب في التذكُّر، وضعت الشريحة مع الأخريات، ستٍّ وثلاثين نقطة دماء نظيفة، دقيقة، وجافة.

أخذت حمامًا طويلًا للغاية، سمحت للماء الساخن أن يغسل آخر التوتُّر ويُخفِّف آخر العُقَد الموجودة في عضلاتي، أن يغسِل الآثار الصغيرة لرائحة الكاهِن، وحديقة المنزل الصغير الموجود في المُستنقَع التي تشبَّثت بي.

أطفال، كان يجب أن أقتله مرتين.

أيًّا كان ما جعلني على هذه الشاكِلة، فقد تركني أجوَف، خاويًا، غير قادِر على الشعور، لا أكترِث لهذا، فأنا مُتأكِّد أن مُعظَم الناس يزيِّفون القدر الأكبر من تعاملاتهم اليومية، أنا فقط أزيِّفها جميعًا، أزيفها ببراعةٍ، المشاعِر لم تكُن موجودة يومًا، لكنني أحب الأطفال، لن يُمكنني أبدًا إنجاب طفل، طالما أن فكرة مُمارسة الجنس غير مطروحة من الأساس، تخيَّل أن تفعل كُل هذه الأشياء، كيف يُمكِنك فعل هذا؟ أين إحساسك بالكرامة؟ لكن الأطفال.. الأطفال مميَّزون، الأب دونوفان استحَقّ الموت، قانون هاري كان راضيًا، جنبًا إلى جنب مع الراكِب المُظلِم.

في السابعة والرُّبع.. كُنت قد شعرت أنني نظيف مرة أخرى، شربت كوبًا من القهوة، وتناولت إفطارًا من الحبوب، قبل أن

أتوجَّـه إلى العمـل.

المبنـى الـذي أعمـل بـه مبنـى عـصري كبـير، أبيـض اللـون وبـه الكثـير مـن الزُّجـاج، قريـب مـن المطـار، معمـلي في الطابِـق الثـاني، في الخلـف، لـديّ مكتـب صغـير مُلحَـق بالمعمـل، لا يُشـبه المكاتِـب كثـيراً، لكنـه خـاص بي، حجـرة مُلحَقـة بمُختـبر الـدم الرئيـسي، لا يُسـمَح لأي شـخص آخـر بدخولـه، لا يُشـاركني فيـه أحـد، غـير مسـموح لأي شـخص بإلحـاق الفـوضى فيـه، مكتـب خلفـه مقعِـد، ومقعـد آخـر لزائـرٍ، في حـال لم يكُـن ضخـم البُنيـان، حاسـب آلي، رف، خزانـة ملفَّـات، هاتِـف، جهـاز آلي للـرد عـلى المُكالمـات، كان ضـوؤه يومـض حـين دخلـت، وجـود رسـالة مـن أجـلي لم يكُـن أمـرًا يوميًّـا، لسـببٍ مـا.. هنـاك عـدد قليـل للغايـة مـن البـشر في هـذا العـالم يُمكنهـم التفكـير في أشـياء يُمكِـن قولهـا لمُحلِّـل نمـط بقـاع الدمـاء أثنـاء سـاعات عملـه، أحـد هـؤلاء الأشـخاص القلائـل الذيـن لديهـم بعـض الأشـياء ليقولوهـا لي كانـت ديـبرا مورجـان، أختـي بالتبنـي، شُرطيـة، تمامًـا مثـل والدهـا.

وكانت الرسالة منها.

ضغطــت الــزر، وســمعت موســيقى التيجانــو، ثــم صــوت ديــبرا: "ديكسـتر، مـن فضلَـك، بمُجـرَّد أن تصلـك تلـك الرسـالة، أنـا في مـسرَح جريمـة في تاميامـي تريـل، في فنـدق كاشـيك".

صمتـت قليـلًا، سـمعتها تضـع يدهـا عـلى سـماعة الهاتِـف، وتقـول شـيئًا لشـخصٍ مـا، ثـم صـدح صـوت الموسـيقى المكسـيكية ثانيـةً قبـل أن تعـود إليـه مـرة أخـرى لتسـأله: "هـل يُمكِنـك أن تـأتي إلى هنـا فـورًا؟ أرجـوك يـا ديكـس؟".

وأنهَت المُكالمة.

ليـس لـديّ عائلـة، أعنـي.. عـلى حـد علمـي، هنـاك في مـكانٍ مـا بالخـارِج، هنـاك بعـض الأشـخاص الذيـن يحملـون جينـات وراثيـة

مُشـابهة لجينـاتي، أنـا مُتأكِّـد، ومُشـفِق عليهـم، لكننـي لم أقابِلهـم مـن قبـل، ولم أحـاول حتـى، وهـم كذلـك لم يحاولـوا إيجـادي، كُنـت طفـلًا مُتبنـى، تربَّيـت عـلى يـد هـاري ودوريـس مورجـان، والـدي ديـبرا، وبالنظـر إلى مـا أنـا عليـه، لقـد قامـا بعمـلٍ رائـعٍ في تربيتـي، ألا تعتقِـد ذلـك؟

كلاهـما ميـت الآن، والآن.. ديـب هـي الشـخص الوحيـد الـذي يُعطـي أدنى قـدر مـن الاهتـمام اللعـين بسـواء كُنـت حيًّـا أو ميتًّـا، لسـببٍ مـا لا أسـتطيع فهمـه، فهـي في الواقِـع تُفضِّـل أن أكـون عـلى قيـد الحيـاة، أعتقِـد أن هـذا لطيـف، وإن كان بإمـكاني أن يكـون لـديّ أي مشـاعِر عـلى الإطـلاق، فكُنـت سـأكنُّها لديـب.

لذلـك ذهبـت، خرجـت مـن موقـف سيارات مـترو ديـد (قسـم شُرطة ميامـي)، وتوجَّهـت إلى أقـرَب كُشـك تحصيـل رسـوم عـلى الطريـق، ومنه قُـدت جنوبًـا وصـولًا إلى تاميامـي تريـل، حيـث يقبـع فنـدق كاشـيك وعـدة مئـات مـن إخوتـه وأخواتـه، بطريقتهـا الخاصَّـة.. كانَـت جنـة، خاصـةً إذا كُنـت صرصـورًا، اصطفَّـت المبـاني عـلى الجانبـين لتلتمِـع وتتعفَّـن في الوقـت ذاتـه، النيـون يُـشرِق فـوق المبـاني القديمـة، القـذرة، والمُتعفِّنـة المظهَـر، إذا لم تذهَـب في الليـل.. فـلا تذهَـب، لأن رؤيـة هـذه الأماكِـن في وضـح النهـار تُماثِـل رؤيـة خلاصـة عقدنـا الواهـي مـع الحيـاة.

كُل مدينـة رئيسـية لديهـا قسـم مثـل هـذا القسـم، في حـال أراد قـزم مُصـاب بحالـة مُتقدِّمـة مـن الجـذام مُمارسـة الجنـس مـع كنغـر وجوقـة غنـاء في سـن المُراهقـة، فسـيجد هنـا طريقـة لإيجـاد غُرفـة يتـم بهـا الأمـر، وحـين ينتهـي.. فربمـا يصطحِـب كامـل أفـراد عصابتـه للغُرفـة المجـاورة مـن أجـل تنـاول فنجـان مـن القهـوة الكوبيـة وسـاندويتش ميديانـوش كـوبي.

لن يهتم أحد، طالما كان يترك بقشيشًا.

تقضي ديبرا الكثير من الوقت هنا مؤخرًا، في رأيها، وليس رأيي، يبدو هذا مكانًا جيدًا لتكون ضابِط شُرطة، كي تزيد من إحصائياتك وفرصك في القبض على شخصٍ ما يفعل شيئًا مروعًا.

ديبرا لا ترى الأمر بهذه الطريقة، ربما لأنها كانت تعمل في مُحاربة الرذيلة، امرأة شابة حسِنة المظهَر تعمل في مُحاربة الرذيلة في تاميامي تريل وعادةً ما ينتهي بها الأمر كطُعم، تقف في الخارِج عارية تقريبًا للقبض على الرجال الذين يريدون دفع مُقابِل لمُمارسة الجنس، ديبرا تكره هذا، لا تطيق العمل في مجال البغاء، حتى كقضية سيكولوجية، لا تعتقِد أن القبض على مثل هؤلاء الرجال يُعد مُحاربة للجرائم الحقيقية، كما أنني الوحيد الذي يعرف أنها تكره أي شيء يُبالِغ في التأكيد على أنوثتها وشكل جسدها، أرادَت فقط أن تكون شُرطية، لم يكُن خطؤها أنها بدت مليئة بالأنوثة.

وبينما توقَّفت في موقف السيارات الذي يتشاركه فندق كاشيك وجاره مقهى تيتو كوبانو، كُنت قادرًا على تبيُّن أنها تشعُر بالغضب من شكلها الخارِجي، كانت ترتدي قميصًا لامعًا وردي اللون، سراويل سباندِكس رياضية ضيّقة، جوارِب شبكة صيد سوداء، وحذاء بكعبٍ عالٍ، بدت وكأنها قادمة لتوها من متجر لعاهرات هوليوود ثلاثية الأبعاد.

قبل بضع سنوات حَصَل شخص ما في مكتب مُحاربة الرذيلة على معلومة تقول أن القوادين كانوا يسخرون منهم في الشارِع، على ما يبدو.. أن ضُبَّاط الشُرطة، ومعظمهم من الذكور، كانوا يختارون أزياء النساء اللواتي عملن في عمليات التخفي بالطريقة التي تُظهِر الكثير من الأشياء التي يحبّونها في النساء، لكنها لم تبدُ أبدًا كأزياء للعاهرات، لذلك كان بإمكان كُل شخص في الشارِع تقريبًا أن يعرف

أيًّا مـن هـؤلاء الفتيـات الجديـدات تحمـل شـارة ومسدسًـا في حقيبـة يدهـا.

وكنتيجـة لهـذه المعلومـة.. بـدأ ضُبَّـاط الشُرطـة الرجـال يـصرّون عـلى أن الفتيـات الـلاتي ذهـبن مُتخفيّـات هـن مـن اخـترن ملابسـهن الخاصـة لهـذا العمـل، في النهايـة.. الفتيـات يعرفـن الكثـير عـن كيـف تبـدو الأشـياء صحيحـة، أليـس كذلِـك؟

ربمـا كان أغلبهـن يعـرف ذلـك، لكـن ديـبرا لم تعرفـه، لم تشـعُر بالراحـة أبـدًا سـوى في ارتـداء الملابـس الزرقـاء، كان يجـب أن تـرى مـا أرادت ارتـداءه لحفلتهـا الراقصـة، والآن.. لم يسـبق لي أن رأيـت امـرأة جميلـة ترتـدي مثـل ذلـك الـزي العـاري الـذي يجعلهـا أقـل جاذبيـة مـن الـذي ترتديـه ديـب.

لكنهـا كانـت عـلى قـدر المسـؤولية، كانـت تعمـل في السـيطرة عـلى الحشـود، شـارتها مُثبَّتـة عـلى صـدر قميصهـا، كانـت أكـثر وضوحًـا مـن شريـط مـسرح الجريمـة الأصفـر المُمتـد لمسـافة نصـف مـتر، والـذي كان مربوطًـا بالفعـل، أكـثر حتـى مـن سـيارات الدوريـة الثـلاث المصطفـة في الزاويـة وأضواؤهـا تومـض، لمـع القميـص الـوردي أكـثر مـن أي شيء آخـر.

كانـت تتحـرّك نحـو جانِـب موقـف السـيارات، لتُبقـي حشـدًا مُتزايـدًا مـن النـاس بعيـدًا عـن تقنـي المُختـبَر الذيـن بـدوا وكأنهـم ينقّبـون في القمامـة التابعـة للمقهـى، كُنـت سـعيدًا أنهـا لم تُسـنِد لي هـذا الأمـر، فرائحتـه النتِنـة تُسـافِر كُل هـذه المسـافة وصـولًا إلى نافـذة سـيارتي هنـا، رائحـة القهـوة اللاتينيـة الداكِنـة المُمتزجـة برائحـة الفاكهـة القديمـة ولحـم الخنزيـر الزنِـخ.

كان الشُّرطـي الموجـود عنـد مدخَـل موقَـف السـيارات رجـلًا أعرفـه، لـوَّح لي حـين دخلـت، ووجـدت بقعـة شـاغرة للتوقُّـف.

قُلـت وأنـا أقـترِب منهـا: "ديـب، زي جميـل، يُظهِـر حقًّـا كيفيـة الاسـتفادة الكاملـة مـن مظهـرك الجميـل».

قالت: "اللعنة عليك».

قبـل أن تحمـر خجـلًا، شيء رائـع لـتراه يحـدُث مـع ضابـط شُرطـة مُكتمـل النمـو.

قالـت: "وجـدوا عاهـرة أخـرى، أو عـلى الأقـل هـذا مـا يعتقدونـه، مـن الصعـب معرفـة هـذا مـما تبقـى منهـا".

قُلت: "هذه الثالثة خلال الشهور الخمسة الأخيرة".

قالـت وهـي تهـز رأسـها: "الخامسـة، هنـاك اثنتـان أخريـان في بـروارد، هـؤلاء الأوغـاد لا ينفكـون عـن القـول بأنـه لا توجـد صلـة رسـمية".

قُلـت في محاولـة لأكـون مُسـاعدًا: "هـذا مـن شـأنه أن يجلـب الكثـير مـن الأعـمال الورقيـة الفظيعـة".

ابتسـمت ديـب ابتسـامة أظهـرت أسـنانها قبـل أن تزمجِـر وهـي تقـول: "مـاذا عـن القليـل مـن عمـل الشُّرطـة الحقيقـي اللعـين؟ بإمـكان أي معتـوه رؤيـة أن عمليـات القتـل ذات صلـة".

سرت قشـعريرة في جسـدها، حدّقـت بهـا بدهشـةٍ، كانـت شُرطيـة، ابنـة شُرطـي، لم يزعجهـا أي شيء مـن قبـل، حتـى حينـما كانَـت شُرطيـة مُبتدئـة ولعـب الرجـال الأكـبر سـنًّا الكثـير مـن الحيـل عـلى ديـبرا، حتـى أنهـم أظهـروا لهـا الجُثـث المُشـوَّهة في ميامـي كُل يـوم لتدمـير سـاعات الغـداء الخاصـة بهـا، لم يغمـض لهـا جفـن، لقـد شـاهدت كُل شيء، وعاشـت كُل شيء.

لكن هذا.. جعلها ترتجِف.

مُثير للاهتمام.

سألتها: "هذه حالة خاصّة، أليس كذلك؟".

أشـارت بإصبعهـا نحـوي وهـي تقـول: "هـذه ضمـن نطـاق عمـلي، مـع العاهـرات، وهـذا يعنـي أن لـديّ فرصـة للدخـول في الأمـر، للحصول عـلى الاهتـمام، قدَّمـت طلـب نقـل إلى مكتـب جرائـم القتـل".

رسمت أسعد ابتساماتي وأنا أقول: "الطموح يا ديبرا؟".

قالـت: "أنـت عـلى حـق، أريـد الخـروج مـن مُكافحـة الرذيلـة، أريـد الخـروج مـن تلـك الوحـدة الجنسـية، أريـد أن أعمـل عـلى جريمـة قتـل يـا ديكسـتر، وقـد تكـون هـذه هـي تذكـرتي، للحصـول عـلى اسـتراحة صغـيرة مـن...".

صمتـت قليـلًا قبـل أن تقـول شـيئًا مُذهـلًا: "أرجـوك سـاعدني يـا ديكـس، أنـا أكـره هـذا حقًّـا".

"ترجـونني يـا ديـبرا؟ هـل ترجونـنـي حقًّـا؟ هـل تعلمـين كيـف يجعلنـي هـذا الأمـر عصبيًّـا؟".

"توقَّف عن الهراء يا ديكس".

"لكن يا ديبرا، حقًّا...".

"قُلت لك توقَّف، هل ستساعدني أم لا؟".

حـين تصـوغ الأمـر عـلى هـذا النحـو، بكلمـة (أرجـوك) الغريبـة النـادرة المُعلَّقـة في الهـواء، مـاذا بإمـكاني أن أقـول سـوى: "طبعًـا سـأفعل يـا ديـب، أنـتِ تعرفـين ذلـك».

نظـرت لي بشـدة، سـحبت (أرجـوك) الخاصـة بهـا بعيـدًا وهـي تقـول: "أنـا لا أعـرف ذلـك يـا ديكـس، لا أعـرف أي شيء حـين يتعلَّـق الأمـر بـك".

حاولـت التظاهُـر بأننـي مجـروح وأنـا أكـرِّر: "بالطبـع سـوف أسـاعدكِ يا ديـب».

حاولـت التظاهُـر بـأن كرامتـي مُصابـة، قبـل أن أتوجَّـه إلى القمامـة

مـع بقيـة فـئران المُختـبر.

كاميـلا فيـج كانـت تزحـف وسـط القمامـة، تنفـض الغُبـار بحثًـا عـن أي بصـمات أصابِـع، كانـت امـرأة مُمتلئـة تبلُـغ مـن العُمـر خمسـة وثلاثـين عامًـا بشـعرٍ قصـيرٍ الـذي لم يبـدُ أنـه مُتأثِّـر بالنسـيم الناتِـج عـن تنفُّسي، صاحبـة مُجامـلات سـاحِرة، لكنهـا حـين رأتنـي، وقفـت عـلى ركبتيهـا، احمـرَّت خجـلًا، راقبتنـي أتحـرَّك دون أن أتحـدَّث، عـادةً مـا كانـت تحـدِّق بي أولًا ثـم تحمـر خجـلًا بعـد ذلـك، بينـما في الطـرف البعيـد مـن مقلـب القمامـة.. كان يجلـس عـلى كرتونـة حليـب بلاسـتيكية مفـرودة، ينقِّـب خـلال حفنـة مـن النفايـات، فينـس ماسـوكا، كان رجـلًا نصـف يابـاني، ودائمًـا مـا يحـب المـزاح بشـأن أنـه حصـل عـلى النصـف القصـير، قـال إنهـا مُجـرَّد مزحـة عـلى أي حـال، لكـن دائمًـا مـا كان يوجـد شيء غريـب بعـض الـشيء في ابتسـامة فينـس الآسـيوية المُشرِقـة، كـما لـو كان قـد تعلَّـم أن يبتسِـم مـن الصـور الموجـودة في الكُتـب، حتـى حينـما كان يتبـادل النـكات البذيئـة مـع رجـال الشُّرطـة، لم يغضـب منـه أي شـخص، كـما أنـه لم يضحـك أي شـخص كذلـك، لكـن هـذا لم يوقفـه، ظـل يقـوم بـكُل الإيمـاءات الروتينيـة الصحيحـة، لكنـه بـدا دائمًـا وكأنـه يزيِّـف الأمـر، لهـذا السـبب أحبـه، رجـل آخـر يتظاهَـر بكونـه بشريًّـا، مثـلي تمامًـا.

قـال فينـس دون أن ينظُـر إليَّ: "حسـنًا يـا ديكسـتر، مـا الـذي أتى بـكَ إلى هنـا؟".

أجبتـه: "جئـت لأرى كيـف يعمـل الخـبراء الحقيقيـون في جـو احـترافي كامِـل، أخـبرني.. هـل رأيـت أيهـم؟".

قـال فيـما كان مـن المُفـترض أن يكـون ضحكـة، لكنهـا بـدت مُزيَّفـة أكـثر مـن ابتسـامته: "هـا هـا، يبـدو أنـك تظـن أنـكَ في بوسـطن".

بـدا وكأنـه وجـد شـيئًا مـا، رفعـه تحـت الضـوء وحملـق بـه وهـو

يقـول: "لمـاذا أنـت هنـا؟".

حاولـت التظاهُـر بالسُّـخط وأنـا أقـول: "ولمـاذا لا أكـون هنـا يـا فينـس؟ هــذا مــسرح جريمــة.. أليــس كذلــك؟".

قـال وهـو يلقـي الـشيء الـذي وجـده بعيـدًا ويبـدأ رحلـة بحثـه عـن شيء جديـد: "أنـت تُحلِّـل نمـط بقـع الـدم".

"أعرف ذلك».

نظـر لي وهـو يرسـم أكـبر ابتسـاماته المُزيفـة قبـل أن يقـول: "لا توجـد أي دمـاء هنـا يـا ديكـس".

شعرت بالحيرة وأنا أسأله: "ماذا يعني هذا؟".

"لا توجـد أي دمـاء هنـا يـا ديكـس، ولا حتـى بالقُـرب مـن هنـا، لا دمـاء عـلى الإطـلاق، أغـرب شيء سـتراه في حياتـك".

لا دمـاء عـلى الإطـلاق، كان بإمـكاني سـماع تلـك العبـارة تتكـرَّر مـرارًا داخِـل رأسي، بصـوتٍ أعـلى في كُل مـرة، لا توجـد بقـع لزجـة، سـاخنة، فوضويـة، وفظيعـة مـن الدمـاء، لا بُقـع، لا دمـاء، لا دمـاء عـلى الإطـلاق.

لماذا لم أفكِّر في هذا من قبل؟

يبدو الأمر وكأنه قطعة ناقصة من شيء لم أكُن أعرف أنه ناقِص.

أنـا لا أدعـي أننـي أفهـم مـا هـي عليـه العلاقـة بـين ديكسـتر والدمـاء، مُجـرَّد التفكـير في هـذا يجعـل أسـناني عـلى حافـة الهاويـة، ومـع ذلـك.. بعـد كُل شيء.. كانـت جـزءًا مـن مسـيرتي، دراسـتي، ووظيفتـي الحقيقية، مـن الواضِـح أن بعـض الأمـور العميقـة للغايـة تحـدُث، لكننـي أجـد صعوبـة في البقـاء مُهتـمًّا، أنـا مـا أنـا عليـه، أوليسـت تلـك ليلـة جميلـة لتشريـح قاتـل أطفـال؟

لكن هذا..

سألني فينس: "هل أنت بخير يا ديكستر؟".

أجبته: "أنا على خير ما يُرام، كيف فعل ذلك؟".

"هذا يعتمِد على بعض الأمور".

نظرت إلى فينس، كان يحدِّق في حفنة من القهوة، ويدفعها بعناية بإصبع واحد من أصابعه التي يغطيها القفاز المطاطي، سألته: "يعتمد على ماذا يا فينس؟".

قال: "ها ها، يعتمِد على من هو، وعلى ماذا يفعل؟".

هززت رأسي وأنا أقول: "في بعض الأحيان يبدو لي وكأنك تعمل بجد كي تبدو غير واضح».

قبل أن أضيف: "كيف يتخلَّص القاتِل من الدماء؟».

أجابني: "من الصعب القول في الوقت الحالي، لم نعثُر على أي منها بعد، والجسد ليس في حالةٍ جيدةٍ، لذلك سيكون من الصعب معرفة الكثير".

لا يبدو هذا مُثيراً للاهتمام، أحب أن أترك جسدًا أنيقًا دون ضجة، دون فوضى، ودون نزيف، إذا كان القاتِل مُجرَّد كلب آخر يُمزِّق عظمة، فهذا كُله لا يعني أي شيء بالنسبة لي.

تنفّست بقليلٍ من الراحة وأنا أسأل فينس: "أين الجُثة؟".

أشار برأسه نحو بُقعة ما على بُعد عشرين قدمًا وهو يقول: "هناك، مع لاجويرتا".

قُلت: "يا إلهي، لاجويرتا تتولى الأمر؟".

رسم ابتسامته المُزيَّفة مرة أخرى وهو يقول: "القاتل محظوظ".

نظرت نحوه، مجموعة من الناس تتجمهر حول مجموعة مُرتَّبة من أكياس القمامة، قبل أن أقول: "لا أراها".

"هناك، أكياس القمامة، في كُل كيس جُزء من الجسد، قام بتقطيع الضحية لقطعٍ، ثم قام بلف كُل منها لتبدو مثل هدايا

الكريســماس، هــل رأيــت أي شيء مثــل هــذا مــن قبــل؟».

بالطبع رأيت.

هذه هي طريقتي في القيام بالأمر.

الفصل الثالث

هناك شيء غريب وغامِض حول النظر في مسرَح جريمة قتل في ضوء النهار الساطِع بفضل شمس ميامي المُشرِقة، يجعل هذا أكثر جرائم القتل بشاعةً تبدو وكأنها مُعقَّمة، مُنظَّمة، وكأنّك في قسمٍ جديد وجريء من عالم ديزني، أرض القاتِل المُتسلسِل دامر، تعالى واركب الثلاجة، من فضلك ألق بغدائك في الحاويات المُخصَّصة لذلك فقط.

ليس وكأن منظر الجُثث المشوَّهة في أي مكان قد يُزعجني، قطعًا لا، الأمر أبعد ما يكون عن ذلك، أنا أستاء فقط من الجُثث الفوضوية قليلًا عندما يتعلَّق الأمر بسوائل الجسد، تلك الأشياء مُقزِّزة، لكن بخلاف ذلك.. لا يبدو الأمر أسوأ من النظر إلى الأضلاع الموجودة في محل البقالة، لكن المُبتدئين وزوَّار مسرح الجريمة يميلون إلى التقيؤ قليلًا، ولسببٍ ما.. فإنهم يتقيؤون هنا أقل بكثير مما يفعلون في الشمال، تنزع منهم الشمس تلك الغريزة، تجعلهم أكثر أناقةً، ربما لهذا السبب أحب ميامي، إنها حقًّا مدينة أنيقة.

كان يومًا جميلًا وحارًا من أيام ميامي، كُل من يرتدي معطفًا كان يبحث الآن عن مكان لتعليقه، للأسف.. لم يجدوا مكانًا لهذا في موقف السيارات الصغير القذر هذا، لم يكُن هناك سوى خمس أو ست سيارات فقط وصندوق قمامة، كان محشورًا في أحد الأركان، بجوار المقهى، مدعومًا بجدارٍ من الجص الوردي الذي تعلوه أسلاك شائكة، كان باب المقهى الخلفي هناك، انتقلت شابة متجهِّمة عبره دخولًا وخروجًا، للقيام بأعمال تجارية نشطة في مقهى كوبانو والباستيل مع رجال الشُّرطة والتقنيين الموجودين في مكان الحادِث،

كان هناك كذلك حفنة من رجال الشُّرطة المتنوِّعين في أزيائهم الرسمية يتسكعون في مسرح الجريمة، إما أن يُلاحظوا.. من أجل مُمارسة الضغط، أو للتأكُّد من أنهم يعرفون ما يحدُث، والآن.. كان هناك شيء آخر يتلاعبون به، قهوة، مُعجَّنات، ومعطف رسمي.

رجال مُختبَر الجريمة لم يرتدوا بدلات، قُمصان بولينج حريرية بزوجٍ من الجيوب كانت تُزيد من سُرعتهم، كُنت أرتدي واحدًا بدوري، مُزيَّن بنمطٍ مُتكرِّر من طبول الفودو، وأشجار النخيل، على خلفية خضراء جيرية، أنيق.. لكنه عملي كذلك.

توجَّهت نحو أقرب قميص حريري في كومة الناس المُلتفِّين نحو الجُثة، كان قميص أنجيل باتيستا (لست قريبه)* كما كان مُعتادًا على تقديم نفسه، مرحبًا.. أنا أنجيل باتيستا ولست قريبه، كان يعمل في مكتب الطبيب الشرعي، في تلك اللحظة.. كان يجلس القُرفصاء بجانِب أحد أكياس القمامة وينظر بداخله.

انضممت إليه، كُنت متلهِّفًا لرؤية ما بداخل الحقيبة بدوري، من أجل الحصول على رد فعل من ديبرا.. فأي شيء يستحِق نظرة خاطفة.

قُلت وأنا أجلس جواره: "أنجيل.. ماذا لدينا؟».

قال: "ماذا تقصد ب»لدينا" أيها الفتى الأبيض، لا توجد دماء في هذه الجُثة، لا شأن لكَ بهذا العمل».

انحنيت نحوه وأنا أقول: "لقد سمعت هذا، هل تم الأمر هنا، أم أن هنا كان مكان التخلُّص من الجُثة فحسب؟».

هزَّ رأسه قائلًا: "من الصعب القول.. يفرغون المكَب مرتين في الأسبوع، ربما كان هذا هنا ليومين تقريبًا».

نظرت من حولي لموقَف السيارات، قبل أن أنظر نحو واجهة

* في إشارة لكونه ليس قريبًا للديكتاتور الكوبي السابِق فولجينسيو باتيستا.

فُنـدق كاشـيك العَفِنـة، قبـل أن أقـول: "مـاذا عـن الفنـدق؟».

قـال بـلا مُبـالاة: "مـا زالـوا يفحصونـه، لكننـي لا أعتقِد أنهم سـيجدون أي شيء، في المـرات الأخـرى.. كان يسـتخدم صناديق القمامة فحسـب".

قبل أن يضيف فجأة: "ها..".

"ما الأمر؟».

أمسـك قلـم رصـاص ليُبعِـد الكيـس البلاسـتيكي قائـلًا: "انظـر إلى هـذا القطع».

ظهـرت نهايـة سـاق مقطوعـة، بـدت شـاحِبة وميتـة بشـكلٍ استثنائي في وَهَـج الشـمس، انتهَـت هـذه القطعـة بالكاحِـل، بينـما انحرفَـت القـدم بدقـة مُتناهيـة، وظهَـر وشـم صغـير لفراشـة، جنـاح واحـد فقـط قُطِـع بعيـدًا مـع القـدم.

أطلقـت صفـيرًا، كان الجـرح دقيقًـا لدرجـة الجراحـة تقريبًـا، قـام هـذا الرجـل بعمـل جيـد جـدًّا، جيـد بقـدر مـا اسـتطعت أن أفعـل، قُلـت: "نظيـف للغايـة».

وقـد كان كذلـك، وحتـى بعيـدًا عـن أناقـة الجـرح، لم يسـبِق لي أن رأيـت مثـل هـذا اللحـم النظيـف، الجـاف، الأنيـق، والـذي يبـدو ميتًـا بشـكلٍ مُذهِـل.

قال: "اللعنة على هذا، نظيف للغاية، لم ينته الأمر».

نظـرت إلى داخِـل الكيـس، أعمـق قليـلًا، لا يتحـرّك أي شيء هنـاك، قُلـت: "يبـدو لي الأمـر مُنتهيًـا للغايـة يـا أنجيـل».

قـال وهـو يفتَـح كيسًـا آخـر: "انظـر، هـذه السـاق، قـام بتقطيعهـا إلى أربـع قطـع، تمامًـا كـما لـو كان فعلهـا بالمسـطرة أو بـشيءٍ مـن هـذا القبيـل، وكذلـك هـذه".

أشـار مـرة أخـرى نحـو الكاحِـل الـذي كُنـت مُعجبًـا بـه للغايـة وهـو

يقول: "أما هذا فتم تقطيعه لقطعتين فقط، لماذا؟».

قُلت: "أنا مُتأكِّد من أنني لا أعرِف، ربما ستكتشِف المُحقِّقة لاجويرتا الأمر".

نظر أنجيل نحوي لدقيقةٍ، حاول كلانا أن يُحافِظ على وجهه جادًا قبل أن يقول: "ربما تفعل».

عاد مرة أخرى لعمله وهو يقول: "لماذا لا تذهَب وتسألها بنفسك؟».

قُلت: "أراك لاحقًا يا أنجيل».

أجاب وهو يدس رأسه داخِل كيس بلاستيكي: "هذا شبه مؤكَّد".

سَرَت شائعة منذ عدة سنوات أن المُحقِّقة ميجديا لاجويرتا قد انضمَّت إلى مكتب جرائم القتل عن طريق النوم مع شخص ما، ويكفيك أن تنظُر إليها مرة واحدة لتقتنِع بالأمر، كانت لديها كافة الإمكانيات في الأماكِن الصحيحة لتكون جذَّابة جسديًّا، بطريقةٍ أرستقراطيةٍ مُتجهِّمةٍ، فنانة حقيقية بمكياجها الكامِل وفستانها الأنيق من ماركة بلومينجدال، لكن بادئ ذي بدء.. فالإشاعة لا يُمكِن أن تكون صحيحة، لأنها على الرغم من أنها تبدو أنثوية جدًّا من الخارِج، لكنني لم يسبِق لي أن التقيت امرأة أكثر ذكورية من الداخِل، كانت صعبة المراس، وطموحة بأكثر طريقة يُمكِن أن تخدم بها نفسها، وبدا أن نقطة ضعفها الوحيدة تتمثَّل في نموذج الرجل الوسيم الأصغر منها بعدة سنوات، لا أعتقِد أنها انضمَّت لمكتب جرائم القتل عن طريق استخدام الجنس، لكنها انضمَّت للمكتب لأنها كوبية الأصل، مُحنَّكة سياسيًّا، وتعرِف كيف تتملَّق جيدًا، هذا المزيج أفضل بكثير من الجنس في ميامي.

كانت لاجويرتا جيدة للغاية في التملُّق، مُتملِّقة من الطِراز العالمي، تملَّقت طوال الطريق وصولًا إلى رتبة مُحقِّقة جرائم القتل،

مـن سـوء الحـظ.. أنهـا وظيفـة لا تحتـاج إلى مهاراتهـا في التملُّـق، كانَـت مُحقِّقـة فظيعـة.

يحـدث الأمـر أحيانًـا.. يُكافـأ الشـخص غـير الكُـفء في كثـيرٍ مـن الأحيـان، لكننـي مُضطـر للعمـل معهـا عـلى أي حـال، لهـذا اسـتخدمت سـحري الكبـير لجعلهـا مثـلي، وكان الأمـر أسـهل كثـيراً مـما تعتقِـد، يُمكِـن لأي شـخص أن يكـون سـاحرًا إذا لم يُمانِـع في تزييفـه، قائـلًا كُل الأشـياء الغبيَّـة، الواضِحـة، والمُغرِضـة التـي يمنَـع الضمـير مُعظَـم النـاس مـن قولهـا، لحُسـن الحـظ.. ليـس لـديّ ضمـير، لـذا أقولهـا.

اقتربـت مـن المجموعـة الصغـيرة المُتجمِّعـة بالقُـرب مـن المقهـى، كانـت لاجويرتـا تُجـري مُقابلـة مـع شـخص مـا باللغـة الإسـبانية السريعـة، أنـا أتكلَّـم الإسـبانية، وأفهـم القليـل مـن الكوبيـة، لكننـي لا أسـتطيع فهـم سـوى كلمـة واحـدة مـن كُل عـشر كلـمات تنطقهـا لاجويرتـا، اللهجـة الكوبيـة هـي جحيـم العـالم الناطِـق بالإسـبانية، يبـدو وكأن الغـرض مـن الإسـبانية المنطوقـة بلهجـة كوبيـة هـو السـباق ضـد سـاعة غـير مرئيـة، والخـروج بأكـبر قـدر مُمكِـن مـن الكلـمات خـلال ثـلاث ثـوانٍ، دون اسـتخدام أي مـن الحـروف السـاكِنة، الخُدعـة لمُتابعـة ذلـك هـي معرفـة مـا سـيقوله الشـخص الآخـر قبـل حتـى أن ينطِـق بـه، كان الرجـل الـذي تسـتجوِبه لاجويرتـا قصـيراً، عريضًـا، وداكنًـا، يبـدو إسـبانيًّا أو برتغاليًّـا (إنديـو) بشـكلٍ واضـحٍ، كان مـن الواضِـح أنهـا تقـوم بتخويفـه باسـتعمال لهجتهـا وشـارتها، حـاول ألا ينظُـر إليهـا وهـو يتحـدَّث، وهـو الأمـر الـذي جعلهـا تتحـدَّث بشـكلٍ أسرع.

قـال: "لم يكُـن هنـاك أي شـخص بالخـارِج، كانـوا جميعًـا داخِـل المقهـى».

سألته بصرامةٍ: "وأين كُنت أنت؟».

نظـر الرجـل نحـو الأكيـاس التـي تحتـوي عـلى الجُثـة المُقطَّعـة قبـل

أن ينظـر بعيـدًا بشـكلٍ سريـعٍ وهـو يقـول: "في المطبَـخ، ثـم خرجـت لألقـي القمامـة".

استمرَّت لاجويرتـا، بـدت وكأنهـا تطـارده بكلماتهـا، طرَحـت الأسـئلة الخاطِئـة وكأنهـا تتنمَّـر عليـه أو تُقلِّـل مـن شـأنه، لم تحـاول أن تجعلـه ينـسى ببـطءٍ الرعـب الـذي يشـعُر بـه جـرّاء إيجـاد أجـزاء الجُثـة في القمامـة، تحوَّلـت لمُتجهِّمـة وغـير مُتعاوِنـة بـدلًا مـن ذلـك.

لمسـة احترافيـة حقيقيـة، أن تأخُـذ الشـاهِد الرئيـسي وتقلبـه ضـدّك، إذا كان بإمكانِـك تدمـير القضيـة خـلال السـاعات القليلـة الأولى، فـإن هـذا يوفِّـر الكثـير مـن الوقـت والأوراق في وقـتٍ لاحـقٍ.

أنهـت حديثهـا بعـددٍ قليـلٍ مـن التهديـدات قبـل أن تُرسِـل الرجـل بعيـدًا، قالـت وهــي تبصـق بمُجـرَّد خروجـه مــن نطـاق السـمع: "إنديـو!".

قُلت: "الأمر يتطلَّب كُل الأنواع أيتها المُحقِّقة، حتى الريفيين».

نظـرت للأعـلى وتطلَّعـت إليّ، بينـما وقفـت وتسـاءلت عـن السـبب، هـل نسـيت كيـف أبـدو؟ لكنهـا أنهـت الأمـر بابتسـامة كبـيرة، إنهـا مُعجبـة بي حقًّـا، الحمقـاء.

"أهلًا يا ديكستر، ما الذي جاء بكَ إلى هنا؟".

"سـمعت أنـكِ هنـا فلـم أقـدر عـلى البقـاء بعيـدًا، أرجـوكِ أيتهـا المُحقِّقـة.. هـل تتزوجيننــي؟».

ضحكـت، بينـما تبـادَل الضبـاط الآخـرون الموجـودون عـلى مرمـي البـصر النظـرات قبـل أن ينظـروا بعيـدًا، قالـت لاجويرتـا: "لا أشـتري حـذاءً قبـل أن أقـوم بتجربتـه، مهـما كان مظهـره جيـدًا".

وبقـدر مـا كُنـت أعـرف أن هـذا ليـس صحيحًـا، إلا أنـه لم يُفـسِّر لي لمـاذا نظـرت لي ولسـانها بـين أسـنانها قبـل أن تقـول: "والآن.. اذهـب

بعيدًا، أنت تُشتِّتني، لديّ عمل جاد هنا".

قُلت: "أرى ذلك، هل قبضتِ على القاتل بعد؟".

قالت: "تبدو كمُراسِل، هؤلاء الأوغاد سيتدفَّقون عليّ خلال ساعة".

"ماذا ستخبرينهم حينئذٍ؟".

نظرت إلى الأكياس التي تحتوي على أجزاء الجُثة وتجهَّمت، ليس لأن المشهد ضايقها، لكن لأنها كانت تنظر لمسيرتها المهنيَّة، كانت تحاوِل أن تصوغ بيانها للصحافة.

"إنها مسألة وقت فقط قبل أن يرتكِب القاتِل خطأ، ويُقبَض عليه».

قُلت: "وهذا يعني أنه حتى الوقت الحالي لم يقُم بارتكاب أي أخطاء، وأنكِ لا تمتلكين أي دليل، وأنه سيتحتَّم عليكِ أن تنتظريه ليقتُل مرة أخرى قبل أن تتمكني من فعل أي شيء؟".

نظرت لي بقوة وهي تقول: "لقد نسيت، لماذا أنا مُعجبة بك؟».

لم أعرف، ليس لديّ أي فكرة، ويبدو أنها كذلك لا تعرِف.

قالت وهي تنظُر نحو الإنديو المُبتعِد: "كُل ما لدينا هو هذا الجواتيمالي، لقد وجد الجُثة حين خرج ليُلقي قمامة المطعم، لم يُميِّز أكياس القمامة تلك، فقام بفتح واحدة ليرى إذا ما كانت تحتوي على شيءٍ جيدٍ، وكان الرأس».

قُلت بصوتٍ خافتٍ: "بيكا - بو (بِخ)".

"ماذا؟".

"لا شيء".

تلفَّتت حولها وهي مُتجهِّمة، ربما كانت تأمل في إيجاد دليل ما لكنها لم تره.

"إذًا هـذا هـو الأمـر، لم يـر أي شـخص أي شيء، أو يسـمَع أي شيء، لا شيء، علـيّ أن أنتظِـر زمـلاءك المُعقَّديـن لينتهـوا مـن عملهـم قبـل أن أعـرف أي شيء".

"أيتها المُحقِّقة".

ناداهـا صـوت مـن خلفنـا، اقـترب النقيـب ماثيـوس وهـو يسـبح في سـحابة مـن عطـر مـا بعـد الحلاقـة، مـما يعنـي أن المُراسـلين سـيكونون هنـا قريبًـا.

قالت لاجويرتا: "مرحبًا أيها النقيب».

قـال: "لقـد طلبـت مـن الضابِطـة مورجـان أن تعمـل بشـكلٍ سري في هـذه القضيـة».

جفلـت لاجويرتـا بينـما تابَـع: "بصفتهـا عميلـة سريـة لديهـا المـوارِد في قسـم مُكافحـة الرذيلـة، والتـي مـن المُمكِـن أن تُسـاعدنا في تسريـع الوصـول إلى حـل».

كان حديـث الرجـل مليئًـا بقامـوس مـن المُرادفـات التـي نمَّتها سـنوات عديـدة مـن كتابـة التقارير.

قالت لاجويرتا: "لا أعتقِد أن هذا ضروري أيها النقيب".

غَمَـزَ بعينـه وهـو يضـع يـده عـلى كتفهـا، إدارة النـاس في حـد ذاتهـا مهـارة، وقـال: "اسـترخِي أيتهـا المُحقِّقـة، لـن تتدخَّـل في صلاحيـات قيادتـكِ، سـتتحدَّث معـكِ فقـط إذا مـا كان لديهـا مـا تُبلِّـغ عنـه، الشـهود، أشـياء مـن هـذا القبيـل، كان والدهـا شرطيًّـا جيـدًا للغايـة، حسـنًا".

زاغَـت عينـاه قليـلًا قبـل أن يسـتعيد تركيـزه عـلى شيءٍ مـا في الطـرف الآخـر مـن موقَـف السـيارات، نظـرت خلفـي، كانـت شـاحنة القنـاة السـابعة للأخبـار تدخُـل إلى المـكان، قـال ماثيـوس: "بعـد إذنِـك».

عـدَّل مـن وضـع رابِطـة عُنقـه، رسـم نظـرة جـادة عـلى وجهـه وهـو يتحـرَّك مـع الشـاحِنة، قالـت لاجويرتـا بصـوتٍ خافـتٍ: "كلبـة".

لم أعـرِف إذا مـا كانـت تعنـي هـذا بشـكلٍ عـامٍ، أو أنهـا كانـت تقصُـد ديـب، لكننـي اعتقـدت كذلـك أن هـذا هـو الوقـت المُناسِـب للهـروب أيضًـا، قبـل أن تتذكَّـر لاجويرتـا أن الضابِطـة الكلبـة هـي شـقيقتي.

عندمـا انضممـت مُجـدّدًا لديـب، كان ماثيـوس يُصافِـح جـيري جونزاليـس مـن القنـاة السـابِعة، جـيري كان البطـل الرئيـسي لصحافـة منطقـة ميامـي، صحفـي مـن النـوع المُسـتعِد للنزيـف لـو كان هـذا سـيصل بـه إلى المُقدِّمـة، نوعـي المُفضَّـل مـن الرجـال، لكنـه كان ليعـود خائِـب الرجـاء هـذه المـرة.

شعرت بقشعريرة خفيفة تسري في جسدي، لا دماء على الإطلاق.

قالـت ديـبرا وهـي تحـاول التظاهُـر بكونهـا ضابِطـة دون أن تقـدِر عـلى إخفـاء حماسـها: "ديكسـتر، لقـد تحدَّثـت إلى النقيـب ماثيـوس، سـيدعني أعمـل في هـذه القضيـة".

قُلت: "لقد سَمِعت، كوني حَذِرَة".

رَمَشت في وجهي وهي تقول: "ما الذي تتحدَّث عنه؟".

قُلت: "لاجويرتا".

ظهرت عليها علامات الاستياء وهي تقول: "هي".

"أجل، هي، إنها لا تُحبِك، ولا تريدكِ على أرضها».

"هذا صعب، إنها تتلقى أوامرها من النقيب".

"أجـل، وهـا هـي قـد أمضَـت خمـس دقائِـق بالفعـل في معرفـة كيفيـة الالتفـاف مـن حـول أوامـره، لـذا انتبهـي إلى نفسـكِ يـا ديبـس".

سألتني: "ماذا اكتشفت؟».

هــزت رأسي وأنـا أقـول: "لا شيء بعـد، لاجويرتـا نفسـها لا تعـرف

شـيئًا، لكـن فينـس قـال..."

توقَّفـت عـن الحديـث لأن هـذا بـدا خاصًّـا للغايـة، سـألتني: "مـاذا قـال فينـس؟".

"شيء صغير يا ديب، تفصيلة، من يدري ماذا تعني؟".

"لا أحد سيعرف إن لم تقُل شيئًا يا ديكستر".

"يبدو.. أنه لا توجد دماء في الجسد، لا توجد دماء على الإطلاق».

صمتـت ديـبرا لدقيقـةٍ تقريبًـا، غارِقـة في أفكارهـا، ليسـت وقفـة صمـت، ليسـت مثـلي، كانـت تُفكِّـر فحسـب، قبـل أن تقـول في النهايـة: "حسـنًا، أنـا أستسـلِم، مـاذا يعنـي هـذا؟".

قُلت: "من المُبكِّر القول".

"لكنك تعتقِد أن هذا يعني شيئًا ما".

كان هـذا يعنـي خفّـة رأس غريبـة، كان يعنـي حكَّـة لمعرفـة المزيـد عـن هـذا القاتِـل، كان يعنـي ضحكـة مكتومـة مُقـدَّرة مـن الراكِـب المُظلِـم، الـذي كان يجـب أن يكـون هادئًـا لفـترةٍ قصـيرةٍ بعـد الكاهِـن، لكـن كان مـن الصعـب شرح هـذا لديـبرا.. أليـس كذلـك؟ لذلـك قُلـت: "ربمـا يـا ديـب، مـن يـدري؟".

نظـرت لي بقـوةٍ لمُـدة نصـف دقيقـة تقريبًـا، قبـل أن تقـول: "حسـنًا، هـل هنـاك شيء آخـر؟».

قُلـت: "عمـل رائـع، قـام بعمـلٍ رائـعٍ بالنصـل الحـاد، القطـع يبـدو أقـرب مـا يكـون للقطـع الجراحـي، في حـال لم يجـدوا شـيئًا في الفنـدق، وهـو الأمـر الـذي لا يتوقَّعـه أي شـخص، فعمليـة القتـل تمَّـت في مـكانٍ آخـرٍ، ثـم تـم التخلُّـص مـن الجُثـة هنـا".

"أين؟".

"سـؤال جيـد للغايـة، نصـف رجـال الشُرطـة يسـألون السـؤال

الصحيـح".

قالت لي: "والنصف الآخر يُجيب".

"حسنًا، لا أحـد يعلـم أيـن يـا ديـب، وأنـا بـكُل تأكيـد لا أملـك كُل بيانـات الطـب الشرعـي".

قالت: "لكنك كُنت قد بدأت تشعُر بشيءٍ في هذه القضية".

نظـرت إليهـا، فبادلتنـي النظـر، كان لي القليـل مـن الحـدس مـن قبـل، كُنـت مشـهورًا بذلـك قليـلًا، كان حـدسي في كثـيرٍ مـن الأحيـان جيـدًا جـدًّا، ولمـاذا لا يجـب أن يكـون كذلـك؟ عـادةً مـا أعـرِف كيـف يُفكِّـر القتلـة، فأنـا أفكِّـر بنفـس الطريقـة، بالطبـع لم أكُـن دومًـا مُحقًّـا، أحيانًـا أخطـئ في أشـياء كثـيرةٍ، لـن يبـدو الأمـر جيـدًا إذا مـا كُنـت دومًـا مُحقًّـا، وبالطبـع لا أريـد لرجـال الشُّرطـة أن يقبضـوا عـلى كُل القتلة المُتسلسـلين الموجوديـن بالخـارِج، إذًا مـاذا كُنـت لأفعـل عـلى سـبيل تزجيـة الوقـت؟ لكـن هـذا.. كيـف لي أن أذهـب في تلـك المغامـرة المثـيرة للاهتـمام؟

جادلتنـي ديـبرا قائلـة: "أخـبرني يـا ديكسـتر، هـل لديـك أي شـكوك حـول هـذه القضيـة؟".

قُلت: "ربما، لكن من المُبكِّر القول".

قـال لاجويرتـا مـن خلفنـا: "إذًا يـا مورجـان، أرى أنـكِ ترتديـن الـزي المناسـب لعمـل الشرطـة".

اسـتدرنا لنواجههـا، أحيانًـا مـا تكـون نـبرة صـوت لاجويرتـا مثـل صفعـة عـلى الوجـه، تصلَّبـت ديـبرا وهـي تقـول: "أيتهـا المُحقِّقـة، هـل وجـدتِ أي شيء بعـد؟".

قالتهـا وهـي تعلـم جيـدًا ماهيـة الإجابـة، طلقـة رخيصـة، لكنهـا طائشـة كذلـك، لوَّحـت لاجويرتـا بيدهـا في الهـواء وهـي تقـول: "لم أجِـد سـوى العاهـرات".

قالتها وهـي تنظُـر إلى صـدر ديـبرا البـارز للغايـة مـن زي العاهـرة الـذي ترتديـه، قبـل أن تضيـف: "العاهـرات فحسـب، الـشيء الهـام هنـا هـو منـع الصحافـة مـن الدخـول في حالـة هيسـتيريا".

هـزَّت رأسـها ببـطء، وكأنهـا لا تُصـدِّق الأمـر قبـل أن تنظُـر للأعـلى قائلـة: "بالنظـر إلى مـا يُمكنـكِ القيـام بـه مـع الجاذبيـة، ينبغـي أن يكـون هـذا سـهلًا".

غمـزت لي قبـل أن تعـود للتحـرُّك في المـكان، نحـو الكابـتن ماثيـوس الـذي كان يتحـدَّث متحليًـا بكثـيرٍ مـن الكرامـة إلى جـيري جونزاليـس مـن القنـاة السـابعة.

قالت ديبرا: "عاهرة".

"أنـا آسـف يـا ديـبرا، هـل تريديـن منـي أن أقـول سـنريها مـاذا سـنفعل؟ أم ينبغـي عـليّ أن أقـول لقـد أخبرتـكِ بهـذا؟".

رمقتنـي بنظـرةٍ حـادةٍ وهـي تقـول: "اللعنـة يـا ديكسـتر، أردت حقًّـا أن أكـون الشـخص الـذي سـيلقي القبـض عـلى هـذا الرجـل".

وبينما كُنت أفكِّر في أنه لا توجد أي دماء على الإطلاق..

وكذلك أنا، أردت حقًّا أن أجده بدوري.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الرابع

أخذت قاربي في تلك الليلة بعد العمل، للابتعاد عن أسئلة ديب، وترتيب مشاعري، مشاعر، أنا، مشاعري، يا له من مفهوم.

حرَّكت قاربي إلى خارِج القناة ببطءٍ، لم أكُن أفكِّر في شيء، في حالة كاملة من السلام النفسي، أعبر المنازل الكبيرة بسرعة خاملة جدًّا، تفصلها جدران عالية وأسوار مصنوعة من السلاسل عن بعضها البعض، ألقيت ابتسامة مُشرقة وأنا ألوِّح بيدي للجيران الموجودين في ساحاتهم التي نَمَت بدقة وصولًا لجدار القناة البحري، الأطفال يلعبون على العشب المُشذَّب، الآباء والأمهات مشغولون بالشواء، أو التسكُّع، أو تلميع الأسلاك الشائكة، بينما يُراقبون الأطفال بأعين كالصقور، لوَّحت للجميع، حتى أن بعضهم لوَّح لي بالمقابل، كانوا يعرفونني، رأوني أمرُّ من هنا من قبل، دائمًا ما أكون مُبتهِجًا، حريصًا على تحية الجميع، يا له من رجل لطيف، ودود للغاية، لا أصدِّق أنه فعل تلك الأشياء الرهيبة.

فتحت الخانِق بمُجرَّد خروجي من القناة، متوجهًا نحو الجنوب شرق، نحو خليج فلوريدا، أشعر بالرياح في وجهي، يُساعدني رذاذ الملح في التفكير، يجعلني أشعر أنني نظيف وأنشط قليلًا، وجدت أن الأمر أسهل كثيرًا في التفكير بهذه الطريقة، كان الهدوء وسلام الماء جزءًا من الأمر، أما الجُزء الآخر فكان في الزوارق.. تقليد ميامي الأفضل، بدا وكأن مُعظم القوارب الأخرى تحاول قتلي، وجدت ذلك مُريحًا للغاية، كُنت في منزلي، هذا هو بلدي، وهؤلاء هم شعبي.

كُنت أحصل على القليل من تحديثات الطب الشرعي طوال

اليوم في العمل، بحلول وقت الغداء.. انتشرت القصة على الصعيد الوطني، كان الستار ينكشِف عن جرائم قتل العاهرات بعد (الاكتشاف المروِّع) في فندق كاشيك، قامت القناة السابعة بعملٍ بارع في تصدير حالة من الرعب الهيستيري لأجزاء الجسد الموجودة في صندوق القمامة دون أن تقول أي شيء عنها، وكما لاحظت المُحقِّقة لاجويرتا بذكاءٍ، فإن هؤلاء لم يكُن سوى عاهرات، لكن بمُجرَّد أن بدأ الضغط الشعبي في التصاعُد من وسائل الإعلام، فقد يكونون كذلك بنات سيناتور، وهكذا.. بدأت الإدارة تستعِد لفترةٍ طويلةٍ من المناورات الدفاعية، مُدركةً تمامًا نوع الهراء الموجِع للقلب الذي سيأتي من الجنود الشجعان الذين لا يشعرون بالخوف في المقاطعة الخامسة.

بقيت ديب في مسرح الجريمة حتى بدأ النقيب يشعُر بالقلق بشأن تصريحها بحصولها على الكثير من العمل الإضافي، قبل أن يُعيدها إلى المنزل، بدأت تتصل بي في الثانية بعد الظهر لتسمع عما اكتشفته، الذي كان قليلًا للغاية، لم يجدوا أي أثر لأي شيء في الفُندق، بينما وجدوا آثارًا لإطارات سيارات كثيرة في موقف السيارات التي لم يبدُ أي منها مُميَّزًا، لا بصمات أو آثار في صندوق القمامة، أو على الأكياس، أو على أجزاء الجسد، كل شيء نظيف تمامًا.

الدليل الوحيد الكبير لهذا اليوم كان القدم اليُسرى، كما لاحظ أنجيل، تم تقسيم القدم اليُمنى إلى عدة قطع دقيقة؛ قطعة الفخذ، الركبة، والكاحِل، لكن القدم اليُسرى لم تكُن كذلك، كانت مُجرَّد قطعتين، ملفوفتين بدقةٍ، وكما قالت المُحقِّقة لاجويرتا، السيدة العبقرية، فإن شخصًا ما قد قاطَع القاتل، فاجأه، شتَّته قبل أن ينتهي من التقطيع، شعر بالفزع حين شوهِد، وجَّهت كُل جهودها للبحث عن ذلك الشاهِد.

كانت هناك مُشكلة صغيرة في نظرية لاجويرتا عن المُقاطعة، شيء صغير للغاية، ربما أصغر من شعرة، كان الجسد كُله لا يزال نظيفًا للغاية، كما يبدو أنه تم لفّه بهذه الطريقة بعد تقطيعه، وبعد ذلك تم نقله بعنايةٍ إلى صندوق القمامة، على ما يبدو كان لدى القاتِل ما يكفي من الوقت للتركيز على عدم ارتكاب أي أخطاء، وعدم ترك أي آثار، ولم يُشر أي شخص إلى ذلك أمام لاجويرتا، أو -للعجب العجاب- ربما لم يلاحظ هذا أي شخص آخر؟ مُمكِن، الكثير من عمل الشرطة هو أمور روتينية، تحويل التفاصيل إلى أنماط، وفي حال كان النمط جديدًا، سيبدو التحقيق تمامًا كما لو كان ثلاثة من العميان يبحثون عن فيل بالميكروسكوب.

لكن بما أنني لم أكُن أعمى، أو يعوقني الروتين، فقد بدا لي أن القاتل ببساطةٍ غير راضٍ، كان لديه الكثير من الوقت من أجل العمل، لكن كانت هذه هي جريمة القتل الخامسة بنفس النمط، هل أصبح الأمر مُمِلًا، ببساطة تقطيع الجُثة؟ هل كان ولدنا يبحث عن شيء آخر. شيء مُختلِف؟ اتجاه جديد، تطوُّر غير مُجرَّب؟

كان بإمكاني الشعور بإحباطه تقريبًا، أن تصل إلى هذا الحد، أن تقطع الطريق بأكمله وصولًا للنهاية، أن تقسِّم البقايا وتلفها كهدية، ثم تُدرِك فجأة.. هذا ليس هو، هناك أمر غير صحيح.. كلذّة الجماع..

لم يعُد الأمر يلبي رغبته بهذه الطريقة بعد الآن، كان بحاجةٍ لنهجٍ جديدٍ، كان يحاول التعبير عن شيء ما، ولم يجد مفرداته بعد، وفي رأيي الشخصي -أعني، إذا كُنت أنا- فإن هذا سيجعله مُحبطًا جدًّا، ومن المُرجَّح جدًّا أن يبدأ في البحث عن الجواب أبعد قليلًا. قريبًا.

لكن دع لاجويرتا تبحث عن الشاهِد، لن تجد شيئًا، إنه وحش

بـارد، حـذر، وبالتأكيـد مُبهـر بالنسـبة لي، ومـاذا يجـب عـليّ أن أفعـل تجـاه ذلـك الانبهـار؟ لم أكُـن مُتأكّـدًا، لذلـك أتيـت إلى قـاربي للتفكـير، أقطـع المياه كسـهم بسرعـة سـبعين ميلًا في السـاعة، عـلى بُعـد بوصـات قليلـة، لوَّحـت بسـعادة وأنـا أعـود للحـاضر مـرة أخـرى، كُنـت أقترِب مــن ستيلتسـفيل، مجموعــة كبـيرة مــن المنــازل القديمــة المهجــورة الموجـودة في المياه بالقُـرب مـن خليـج فلوريـدا.

دُرت في دائـرة كبـيرة، غـير ذاهــب إلى أي مــكان، سـامحًا لأفــكاري بالـدوران في نفـس القـوس البطــيء.

مـاذا سـأفعل؟ كُنـت بحاجـة لاتخـاذ القـرار الآن، قبـل أن أصبـح مفيـدًا جـدًّا لديـبرا، بإمـكاني مُسـاعدتها في حـل هـذا، بالطبـع.. لا يوجـد أحـد أفضـل، لـن يتحـرّك أي شـخص في الاتجـاه الصحيـح، لكـن هـل أريـد المُسـاعدة؟ هـل أريـد أن يتـم القبـض عـلى هـذا القاتـل؟ أم أننـي أريـد العثـور عليـه وإيقافـه بنفـسي؟ والأهـم مـن ذلـك.. الأمـر الـذي كان التفكـير فيـه مُزعجًـا للغايـة، هـل أريـده حقًّـا أن يتوقّـف؟

ماذا سأفعل؟

إلى يمينــي.. كان بإمــكاني رؤيــة إليــوت كي عــلى ضــوء آخــر شــعاع شــمس في اليـوم، وكـما هــو الحــال دائمًــا.. تذكَّـرت رحلتــي للتخييـم هنــاك مــع هــاري مورجــان، والــدي بالتبنــي، الشُّرطــي الجيــد.

أنت مُختلِف يا ديكستر.

أجل يا هاري، بالتأكيد أنا كذلك.

لكـن بإمكانِـك أن تتعلَّـم السـيطرة عـلى هـذا الاختـلاف، واسـتخدامه بشـكلٍ بنـاء.

حسـنًا يــا هــاري، إذا كان باعتقـادِك أنـه ينبغــي عــليّ فعـل هــذا، فكيــف؟

وأخبرني.

لا توجد سماء مُرصَّعة بالنجوم في أي مكان مثل سماء جنوب فلوريدا، عندما تكون في الرابعة عشرة من عُمرك وتذهَب للتخييم مع والدك، حتى لو كان والدك بالتبني، وحتى لو كان منظر كُل تلك النجوم يملؤك بنوعٍ من الارتياح، العواطف غير مطروحة الآن، أنت لا تشعُر بها، هذا جزء من سبب وجودك هنا.

هدأ وهج النيران، وأضحت النجوم أكثر إشراقًا، وهدأ والدك بالتبني العجوز العزيز لبعض الوقت، يرتشِف رشفات صغيرة من قارورة الخمر ذات الطراز القديم، التي كان قد أخرجها من حقيبة ظهره، لم يكُن جيدًا في ذلك، ليس كالعديد من رجال الشُّرطة الآخرين، لم يكُن سكيرًا، لكنه كان فارغًا في الوقت الحالي، وقد حان الوقت ليقول خطبته إذا ما كان سيقولها يومًا.

قال: "أنت مُختلِف يا ديكستر".

نظرت بعيدًا عن سطوع النجوم، نحو الظلال الصغيرة الرملية التي تبدو على وهج النيران الصغيرة، بعضها يتدفَّق عبر وجه هاري، يبدو غريبًا بالنسبة لي، كما لو أنني لم أره من قبل، صارِم، غير سعيد، شارِد قليلًا، أقول: "ماذا تقصد يا أبي؟".

لا ينظر نحوي وهو يقول: "يقول بيلوبس أن بادي اختفى".

"كلب مُخيف صغير، كان ينبح طوال الليل، ولم تستطِع أمي النوم".

تحتاج أمي للنوم بالطبع، الاحتضار بسبب السرطان يتطلَّب الكثير من الراحة، التي لم تكُن تحصُل عليها بسبب هذا الكلب الصغير المُزعِج، الموجود في الجهة المُقابِلة من الشارع والمُستمر بالنباح على كُل ورقة شجر تطير على الناحية الأخرى من الرصيف.

قــال هــاري: "لقــد وجــدت القــبر، كان هنــاك الكثــير مــن العظــام هنــاك يــا ديكســتر، لم تكُــن عظــام بــادي فقــط".

لم يكُــن هنــاك الكثــير لقولــه الآن، رفعــت يــدي ببــطء وهــي مليئــة بإبــر الصنوبــر، وانتظــرت هــاري.

"منذ متى وأنت تفعل هذا؟".

بحثــت في وجــه هــاري، قبــل أن أنظــر إلى الجهــة المُقابِلــة نحــو الشــاطئ، قاربنــا هنــاك، يتحــرَّك بلطــفٍ مــع حركــة المِيــاه، أضــواء ميامي مطفــأة ناحيــة اليمــين، إلا مــن توهُّــج أبيــض خافِــت، لا أســتطيع معرفــة أيــن يذهــب هــاري بهــذا، مــاذا يُريــد أن يســمَع، لكنــه كان والــدي بالتبنــي، الحقيقــة دائمًــا مــا تكــون فكــرة جيــدة مــع هــاري، لأنــه دائمًــا يعــرف، أو يكتشِــف هــذا.

قُلت: "عام ونصف».

أومأ هاري وهو يقول: "لماذا بدأت؟".

ســؤال جيــد للغايــة، وبالتأكيــد يتجــاوز ســنوات عُمــري الأربعــة عشر، قُلــت: "إنــه فقــط.. مُجــرَّد نــوع مــن.. كان لا بــد لي مــن ذلــك".

وحتى وقتذاك.. كُنت صغيراً للغاية، لكنني كُنت سلسًا للغاية.

أراد أن يعــرف، ســألني: "هــل تســمع صوتًــا مــا؟ شــيئًا مــا أو شــخصًا مــا يُخــبِرك بمــا ســتفعل، أو بمــا يجــب أن تفعــل؟".

قُلت ببلاغة طفل عمره أربعة عشر عامًا: "ليس بالضبط".

قال هاري: "أخبرني عن الأمر".

القمــر، القمــر المُكتمِــل الجيــد، كان شــيئًا أكــبر للنظــر إليــه، أمســكت بحفنــة أخــرى مــن إبــر الصنوبــر، شــعرت بوجهــي ســاخنًا، كــما لــو كان أبي قــد طلــب منــي أن أتحــدَّث عــن أحلامــي الجنســية، الأمــر الــذي كان مُشــابهًا بطريقــةٍ مــا، قُلــت: "أنــا.. نوعًــا مــا.. كــما تعــرف.. أشــعر

بشيءٍ ما.. بداخلي.. يُراقبني، ربما.. ربما يضحك؟ لكنه ليس صوتًا، إنه فقط...".

عجزت بلاغتي عن التعبير عن الأمر، لكن هاري بدا وكأنه قد فهم كُل شيء.

"وهذا الـ (شيء ما)، يجعلك تقتل الأشياء".

حلَّقت طائرة بطيئة فوق رؤوسنا وأنا أقول: "لا، لا يُجبرني، هو فقط.. يجعل الأمر يبدو كفكرة جيدة؟".

"هل أردت يومًا أن تقتل شيئًا آخر؟ شيئًا أكبر من الكلب؟".

حاولت الإجابة، لكن كان هناك شيء ما في حلقي، حاولت تنظيفه وأنا أقول: "أجل".

"شخصًا؟".

"لا أحد على وجه الخصوص يا أبي".

قُلتها وصمت قليلًا، فسألني: "لماذا لم تفعَل؟".

"لم أعتقِد أنكما ستحبّان الأمر، أنت ووالدتي".

"هذا هذا كُل ما جعلَك تتوقَف؟".

"أنا.. أنا لم أرِد أن أجعلكما.. غاضبين مني.. أنت تعرف.. أو خائبي الأمل".

استرقت النظر إلى هاري، كان ينظُر إليّ، دون أن يرمِش، سألته: "هل هذا هو سبب قيامنا بتلك الرحلة يا أبي؟ لنتحدَّث عن ذلك؟".

قال هاري: "أجل، نحن بحاجة إلى تهيئتك".

تهيئة، أجل، فكرة هاري المثالية عن كيفية عيش الحياة، مع أركان المُستشفيات والأحذية المصقولة، وحتى في ذلك الحين.. كُنت

أعـرِف، الرغبـة في قتـل شيء بـين الحـين والآخـر، سـواء عاجـلًا أم آجـلًا كانـت سـتعترض طريـق عمليـة التهيئـة.

قُلت: "كيف؟".

نظـر لي نظـرة طويلـة وقاسـية، قبـل أن يومـئ برأسـه حـين رأى أننـي مُسـتعد للقيـام بالأمـر خطـوة بخطـوة.

قال: "ولد جيد، الآن...".

صمـت بعدمـا نَطَـق كلمـة الآن، مـرَّ وقـت طويـل قبـل أن يتحـدَّث مـرة أخـرى، راقبـت أضـواء قـارب وهـو يمـر، ربمـا عـلى بُعـد مائتـي يـاردة مـن شـاطئنا الصغـير، وفـوق صـوت مُحرِّكهـم.. كانـت تصـدح موسـيقى كوبيـة، قـال هـاري مـرة أخـرى: "الآن...".

نظـرت نحـوه، لكنـه كان ينظُـر بعيـدًا، عـبر النـار المُحتـضِرة، نحـو المُسـتقبل الموجـود هنـاك في مـكانٍ مـا، قـال: "هكـذا الأمـر...".

اسـتمعت بعنايـة، هـذا مـا يقولـه هـاري حينـما يُعطيـك حقيقـة صادِقـة، حينـما علَّمنـي كيفيـة رمـي كُـرة مقوَّسـة، هكـذا الأمـر، دائمًـا مـا قـال هـذا، ودائمًـا مـا كان الأمـر كذلـك.

"أنا أتقدَّم في السن يا ديكستر".

انتظـرني لأعـترِض، لكننـي لم أفعـل، أومـأ وهـو يقـول: "أعتقِـد أن النـاس يفهمـون الأشـياء بشـكلٍ مُختلِـفٍ حينـما يتقدَّمـون في السـن، ليسـت المسـألة في اللـين، أو في رؤيـة الأشـياء في المنطقـة الرماديـة، بـدلًا مـن الأسـود والأبيـض، أعتقـد حقًّـا أننـي أفهَـم الأمـور بشـكلٍ مُختلـفٍ، بشـكلٍ أفضـل".

نظر إليّ، نظرة هاري، حُب قاسٍ وأعين زرقاء.

قُلت: "حسنًا".

قـال: "قبـل عـشر سـنوات، كُنـت سـأضعك في مصحـة نفسـية في

مــكانٍ مــا".

رمشــت، كاد هــذا يؤلمنــي، إلا أننــي فكَّــرت في الأمــر، قــال: "الآن.. أعتقِـد أننـي أعـرف أفضـل، أعـرِف مـا أنـت عليـه، وأعـرِف كذلـك أنـك طفـل جيـد".

قُلت: "لا".

خرجــت خافتــة وضعيفــة، لكــن هــاري ســمعها، وقــال بصرامــة: "أجــل، أنــت طفــل جيــد، أنــا أعــرف ذلــك، أنــا أعــرف ذلــك".

قالهـا وكأنـه يُحـدِّث نفسـه، ربمـا مـن أجـل إحـداث التأثـير، قبـل أن ينظُـر في عينـيّ وهـو يقـول: "وإلا لمـا كُنـت اهتممـت بمـا اعتقـدت، أو بمـا اعتقـدَت والدتـك، كُنـت لتفعـل الأمـر فحسـب، لا يُمكِنـك منـع الأمـر، أعـرِف هـذا.. لأن...".

صَمَـت وهـو ينظـر لي، كان هـذا غـير مُريـح بالنسـبة لي، سـألني: "مــاذا تتذكَّــر مــن قبــل، أنــت تعــرِف.. مــن قبــل أن نأخــذك".

لا يــزال هــذا مؤلمًــا، لكننــي حقًّــا لا أعــرف لمــاذا، كان عُمــري ثــلاث ســنوات فقــط.

"لا شيء".

قال: "هذا جيد، لا ينبغي لأحد أن يتذكَّر ذلك".

ومـا دام عـلى قيـد الحيـاة، لـن يقـول أكـثر مـن ذلـك، أضـاف: "لكـن عـلى الرغـم مـن أنـك لا تتذكَّـر يـا ديكـس، لقـد فعلـت أشـياء لـك، تلـك الأشـياء هـي، مـا يجعلـك مـا أنـت عليـه، لقـد تحدَّثـت مـع البعـض بشـأن الأمـر".

والغريـب في الأمـر.. أنـه ابتسـم نحـوي ابتسـامة صغـيرة جـدًّا، خجولة تقريبًـا، قبـل أن يقـول: "لقـد توقعـت هـذا، مـا حـدث لـك عندمـا كُنـت طفـلًا صغـيراً هـو مـا شـكَّلت، حاولـت تصحيـح الأمـر، لكـن...".

صمت قليلًا قبل أن يُضيف: "كان قويًّا للغاية، أكثر من اللازِم، لقد دخل إليك مُبكرًا للغاية، وسيبقى هناك، سيجعلك راغبًا في القتل، لن يُمكِنك منع ذلك، لن يُمكِنك تغيير ذلك، لكن...".

نظر بعيدًا مرة أخرى وهو يقول: "لكن يُمكنَك توجيهه، السيطرة عليه، اختر...".

انتقى كلماته بعنايةٍ شديدةٍ، كان أكثر حرصًا مما سمعته يتحدَّث من قبل وهو يقول: "اختر ماذا.. أو من.. ستقتل».

ابتسم نحوي ابتسامة لم أرها من قبل، ابتسامة كئيبة وجافة مثل رماد نارنا المُحتضرة وهو يُضيف: "هناك العديد من الناس الذين يستحقُّون الأمر يا ديكس".

وشكَّلت هذه الكلمات القليلة حياتي بأكملها، كُل شيء فيَّ، كينونتي وماهيتي، هاري، الرجل الرائع، العارِف بكُل شيء، المُتفهِّم لكُل شيء، أبي.

لو كُنت قادرًا على الحُب، كُنت سأحب هاري.

حدث ذلك منذ وقت طويل، هاري ميت منذ فترة طويلة، لكن دروسه حية تُرزَق، ليس بفضل أي مشاعِر عاطفية دافئة أملكها نحوه، لكن لأن هاري كان مُحقًّا، لقد أثبت الأمر مرارًا وتكرارًا، هاري كان يعرف، وهاري علَّمني جيدًا.

كُن حذرًا، قالها هاري، وعلَّمني كيف أكون حريصًا مثلما يُعلِّم شُرطيٌّ قاتلًا.

أن أختار بعنايةٍ من بين أولئك الذين يستحقّون ذلك، أن أتأكَّد تمامًا، ثم أرتِّب للأمر، ألا أترك آثارًا، وأن أتجنَّب دائمًا التورُّط العاطفي، حيث يُمكِنه أن يؤدي إلى أخطاء، بالطبع.. توخي الحذر أكثر أهمية من القتل ذاته.

توخـي الحـذر يعنـي بنـاء حيـاة مليئـة بالحـرص، تقسـيمها، خلـق صداقـات، تقليـد الحيـاة.

وكان هـذا كُل مـا فعلتـه، بعنايـةٍ فائقـةٍ، كُنـت صـورة شـبه مثاليـة ثلاثيـة الأبعـاد، فـوق مسـتوى الشـبهات، فـوق اللـوم، وتحـت حـد الاحتقـار، وحـش أنيـق ومُهـذَّب، صبـي مـن المنـزل المجـاور، حتـى ديـبرا كانـت نصـف مُخدوعـة عـلى الأقـل، نصـف الوقـت، بالطبـع صدقـت مـا أرادت تصديقـه كذلـك.

في الوقـت الحـالي، كانـت تصـدِّق أننـي يُمكننـي أن أسـاعدها في حـل هـذه الجريمـة، قفـزة للأمـام في مسـيرتها المهنيَّـة، وقفـزة هائلـة للأمـام نحـو خروجهـا مـن زي العاهـرة الهوليوديـة، لارتـداء بدلـة تجاريـة مُصمَّمـة لهـا خصيصًـا، وكانـت مُحقَّـة، بالطبـع يُمكننـي مُسـاعدتها، لكننـي لم أرد ذلـك حقًّـا، لأننـي اسـتمتعت بمُشـاهدة عمـل هـذا القاتـل الآخـر، وشـعرت بنـوعٍ مـن التواصـل الجـمالي.

تورُّط عاطفي.

حسنًا، هذا هو الأمر، كُنت أنتهِك قانون هاري انتهاكًا واضحًا.

وجَّهـت القـارِب مـرة أخـرى نحـو القنـاة، كانـت غارِقـة في الظـلام الآن، لكننـي قُـدت اعتـمادًا عـلى بـرج الراديـو وأنـا أميـل بضـع درجـات يسـارًا نحـو ميـاه منـزلي.

فليكُن.. لطالما كان هاري مُحقًّا، وقد كان مُحقًّا الآن كذلك.

لا تتورَّط عاطفيًّا، قالها هاري، لذلك لن أفعل.

سأساعِد ديب.

الفصل الخامس

في صباح اليوم التالي كانت تُمطِر، وكان الازدحام المروري مجنونًا، كما هو الحال في ميامي دائمًا عندما تُمطِر، تباطأ بعض السائقين على الطُّرق الزلِقة، وهو الأمر الذي جَعَل السائقين الآخرين غاضبين، وضغطوا على أبواقهم، صرخوا عبر نوافِذهم، صعدوا على الأرصفة، ومروا بغضبٍ بجوار السائقين المُبطئين ولوَّحوا بقبضاتهم.

عند مُنحدَر طريق ليجين، كانت شاحِنة مُنتجات ألبان ضخمة قد طاحَت من فوق الرصيف واصطدمَت بسيارة تابِعة لمدرسةٍ كاثوليكيةٍ مليئةٍ بالأطفال، انقلَبت شاحنة مُنتجات الألبان، والآن.. خمس فتيات صغيرات يرتدين تنانير صوف منقوشة كُن يجلِسن في بركة ضخمة من الحليب، وتعلو وجوههن نظرات مذهولة، توقَّفَت حركة المرور لمُدة ساعة تقريبًا، بينما تم نقل طفل واحد عن طريق الجو إلى مُستشفى جاكسون، بينما جلس البقية في الحليب بملابسهم الرسمية يراقبون البالغين وهم يصرخون في بعضهم بعضًا.

تحرَّكت ببطءٍ مُستمعًا إلى الراديو، على ما يبدو.. كانت الشرطة في أثر جزار تاميامي، لم تكُن هناك تفاصيل مُتاحة، لكن النقيب ماثيوس الذي كان يتحدَّث بصوتٍ جميلٍ، جعل الأمر يبدو وكأنه سيعتقِل الجاني بنفسه بمُجرَّد أن يُنهي قهوته.

أخيرًا وصلت إلى الطريق الرئيسي، وبدأت أمشي أسرع قليلًا، توقَّفت في متجر كعك محلِّي ليس ببعيد عن المطار، اشتريت فطائر التفَّاح وفطائر مقليَّة، لكن فطائر التُفَّاح كانت قد اختفَت قبل أن أعود إلى السيارة، لديّ شهية مفتوحة للغاية، يأتي الأمر مع عيش الحياة الجيدة.

توقَّف المطر بحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى العمل، أشرقَت الشمس وبدأ البُخار في التصاعُد من الرصيف وأنا أسير في الردهة، تومِض أوراق اعتمادي، صعدت إلى الطابِق العلوي.

ديب كانت تنتظرني بالفعل.

لم تبد سعيدة هذا الصباح بطبيعة الحال، لكنها لا تبدو سعيدة في كثير من الأحيان ففي النهاية.. إنها شُرطية، ومُعظمهم لا يستطيع القيام بالخُدعة على الإطلاق، يقضون الكثير من الوقت في الخدمة محاولين التظاهُر بأنهم ليسوا بشرًا، وهذا يترك وجوههم عالِقة.

قُلت وأنا أضع كيس المُعجّنات البيضاء الشهية على مكتبي: "ديب".

قالت: "أين كُنت الليلة الماضية؟".

كانت لاذِعة للغاية كما توقَّعت، قريبًا ستتحوَّل خطوط العبوس إلى خطوطٍ دائمةٍ، لتُدمِّر وجهًا رائعًا، عينان زرقاوان عميقتان، مليئتان بالذكاء، وأنف مقلوب صغير، مع كثير من النمش، مُحاطًا بشعرٍ أسودٍ، ملامِح جميلة، مُغطَّاة بحوالي سبعة كيلو جرامات من المكياج الرخيص.

نظرت إليها بولعٍ، كان من الواضِح أنها آتية من العمل، ارتدَت اليوم حمالة صدر، سروال سبانديكس قصيراً ورديًا فاتحًا، وحذاء ذهبيًا بكعبٍ عالٍ، قُلت: "لا تؤاخذيني، أين كُنتِ أنتِ؟".

احمرَّت خجلًا، كانت تكره ارتداء أي شيء إلا إذا كان نظيفًا، أزرق اللون، قالت: "حاولت أن أتحدَّث إليك".

قُلت: "أنا آسف".

"أجل، بالطبع".

جلست في مقعدي دون أن أنبس بكلمة، تُحب ديب أن تُفرِغ

طاقتها فيّ، هذا ما تعنيه العائلة، سألتها: "لماذا كُنتِ مُتلهِّفة للتحدُّث معي؟".

قالت وهي تفتح كيس الكعك المحلى وتنظر بداخله: "يحاولون إبعادي".

قُلت: "ماذا توقعتِ؟ أنتِ تعرفين كيف تشعُر لاجويرتا تجاهكِ".

أمسكت بواحدة من الفطائر المقلية وأخرجتها من الكيس، والتهمتها.

قالت بفمٍ مُمتلئ: "توقعت.. أن أشارك في تلك القضية، مثلما أمر النقيب".

قُلت: "ليس لديكِ أي أقدمية، أو أي ذكاء سياسي".

طبَّقت الكيس وألقت به نحو رأسي، لكنها أخطأت التصويب وهي تقول: "اللعنة يا ديكستر، أنت تعلم جيدًا أنني أستحِق التواجُد في قسم جرائم القتل اللعين، بدلاً من...".

جذبت ذراع حمَّالة الصدر وهي تُشير نحو زيها الفاضِح وهي تقول: "هذا الهراء".

أومأت وأنا أقول: "يبدو جيدًا رغم كُل شيء".

رمقتني بوجهٍ غاضبٍ، تنافس الغضب والاشمئزاز على الظهور عليه وهي تقول: "أنا أكره هذا، أقسِم لك.. بأنني لا أستطيع القيام بالأمر أكثر من ذلك، وإلا سأجن".

"من المُبكِّر قليلًا بالنسبة لي أن أكتشِف كُل شيء يا ديب".

قالت: "اللعنة".

كُل ما يُمكِنك قوله عن عمل الشُّرطة، كان يُدمِّر مُفردات ديبرا، حدجتني بنظرة شرطية قاسية، لأول مرة ترمقني بها، كانت نظرة هاري، نفس العينين، نفس الشعور بالنظر إليك وصولًا إلى الحقيقة،

وهـي تقـول: "لا تتعامَـل معـي بهـذه الطريقـة اللعينـة يـا ديكـس".

قالـت: "كُل مـا عليـك فعلـه نصـف الوقـت هـو رؤيـة الجُثـة، وتعلـم مـن فعلهـا، لم أسـألك يومًـا كيـف تفعلهـا، لكـن في حـال كان لديـك أي حـدس بخصـوص تلـك القضيـة، أريـد أن أعـرِف بـه".

لكمــت مكتبــي المعــدني مُســببةً انبعاجًــا صغــيراً وهــي تُضيــف: "اللعنــة.. أريــد خلــع هــذا الــزي الغبــي".

ســمعنا صوتًــا عميقًــا يــأتي مــن خلفهــا ليقــول: "ونحــن ســنُحِب أن نــرى هــذا يــا مورجــان".

نظرت للأعلى، ورأيت فينس ماسوكا يبتسِم لنا.

قالت له ديب: "لن تعرف ماذا تفعل يا فينس".

اتســعت ابتســامته، تلــك الابتســامة المُزيّفــة، المُشرِقــة وهــو يقــول: "لمــاذا لا نُجــرِّب ونكتشِــف الأمــر؟".

قالــت في عبــوسٍ لم أره منــذ كانــت في الثانيــة عــشرة مــن عُمرهــا وهــي تقــول: "في أحلامــك يــا فينــس".

رمــق فينــس الكيــس الورقــي المُجعَّــد الموجــود فــوق مكتبــي وهــو يقــول: "كان اليــوم دورك، مــاذا أحــضرت لي؟ أيــن هــي؟".

قُلت: "آسف يا فينس، أكلت ديب فطيرتك المقلية".

قــال مُقلــدًا لهجتــي: "أتمنــى هــذا، حينئــذٍ ســآكل لفافــة الجيــلي الخاصــة بهــا، أنــت مديــن لي بكعكــة مُحــلاة كبــيرة يــا ديكــس".

قالت ديبرا: "ستكون الشيء الكبير الوحيد الذي ستحظى به".

قـال لهـا فينـس: "لا يتعلّـق الأمـر بحجـم الكعكـة المحـلاة، بـل بمهـارة الخبّاز».

قُلــت: "مــن فضلكــما.. ســتصيبانني بصُــداع في الفــص الجبهــي، مــن المُبكِّــر للغايــة أن تكونــا بمثــل ذلــك الــذكاء".

قال فينس بابتسامته المُزيَّفة الفظيعة: "حسنًا.. أراك لاحقًا".

غَمَزَ بعينه وهو يقول: "لا تنسي كعكتي المحلاة".

وهـو عائـد نحـو مجهـره الموجـود في نهايـة القاعـة، سـألتني ديـب: "إذًا.. مـاذا اكتشـفت؟".

تؤمِـن ديـب أننـي أمتلـك حدسًـا بـين الحـين والآخـر، ولديهـا سـبب لتعتقِـد بهـذا، عـادةً مـا كانـت تخمينـاتي المُلهِمـة تتعلَّـق بالضربـات الوحشـية التـي تختـرِق مسـكينًا قـذرًا كُل بضعـة أسـابيع، رأتنـي ديـبرا عـدة مـرات وأنـا أضـع إصبعًـا نظيفًـا وسريعًـا عـلى شيء لم يعـرف أي شـخص آخـر بوجـوده، لم تقُـل شـيئًا أبـدًا، لكـن أختـي شرطيـة لعينـة جيـدة، ولهـذا اشـتبهت فيّ لـشيءٍ مـا لفـترةٍ مـا، لم تكُـن تعـرف للأمـر سـببًا، لكنهـا عَرِفـت أن هنـاك شـيئًا خاطئًـا، وهـو الأمـر الـذي يُزعِجهـا كالجحيـم بـين الحـين والآخـر، لأنهـا كانـت تحبنـي رغـم كُل شيء، آخـر شيء يُحبنـي عـلى وجـه الأرض، ليسـت هـذه شـفقة عـلى الـذات، بـل هـي معرفـة واضِحـة وبـارِدة بنفـسي، أنـا غـير محبـوب، باتبـاع خطـة هـاري.. حاولـت إقحـام نفـسي في علاقـات مـع أشـخاص آخريـن، لدرجـة أننـي حاولـت الوقـوع في الحُـب، في أشـد لحظـاتي سـذاجة، لكـن الأمـر لم يُفلـح، هنـاك شيء مكسـور أو مفقـود بداخـلي، وعاجـلًا أم آجـلًا.. سيُمسـك بي شـخص مـا وأنـا أمثِّـل، أو في ليلـة مـن تلـك الليـالي.

لا أسـتطيع تربيـة الحيوانـات الأليفـة، الحيوانـات تكرهنـي، اشـتريت كلبًـا في مـرة، نَبَـح وزمجـر نحـوي دون توقُّـف أو مُـبرِّر لمُـدة يومـين مُتتاليـين، قبـل أن أتخلَّـص منـه، حاولـت تربيـة سـلحفاة، لمسـتها مـرة، ولم تخـرُج مـن صدفتهـا مـرة أخـرى، وماتَـت بعـد عـدة أيـام، فضلـت المـوت عـلى أن تـراني أو عـلى أن ألمسـها مـرة أخـرى، ماتـت.

لا شيء يُحبنـي، أو سـيُحبني يومًـا، ولا حتـى -عـلى وجـه الخصـوص- أنـا، أعـرف حقيقتـي، وهـذا شيء أحبـه، أنـا بمُفـردي في هـذا العـالم،

بمُفـردي تمامًـا، بخـلاف ديـبرا، وباسـتثناء -بالطبـع- هـذا الـشيء الموجـود بداخـلي، والـذي لا يخـرُج للعـب كثـيراً، ولا يلعـب معـي حقًـا، لكـن يجـب أن يكـون لديـه شـخص آخـر.

لـذا أحـاول قـدر المُسـتطاع أن أهتـم بهـا، ديـبرا العزيـزة، عـلى الأرجـح هـذا ليـس حُبًـا، لكننـي أفضِّـل أن تكـون سـعيدة.

وجلسـت ديـبرا العزيـزة هنـاك، تبـدو غـير سـعيدة، أسرتي، حدَّقَـت في وجهـي، دون أن تعـرِف مـاذا تقـول، لكنهـا اقتربـت مـن قـول الأمـر أكـثر مـن أي وقـت مـضى.

قُلت: "حسنًا، في الحقيقة...».

"كُنت أعرِف! لديك شيء ما!".

"لا تُقاطعي نشوتي يا ديبرا، أنا في اتصال مع عالم الأرواح".

قالت: "قُل الأمر".

"إنه الجرح الذي لم يَكتمل يا ديب، الساق اليُسرى".

"ماذا عنه؟".

"تظُـن لاجويرتـا أن القاتِـل كُشِـف، فشـعر بالارتبـاك، ولم يسـتطِع أن يُكمِلـه".

أومـأت ديـبرا وهـي تقـول: "سـألت العاهـرات الليلـة الماضيـة إذا كُـنّ رأيـن أي شيء، لا بُـد أن شـخصًا مـا رأى شـيئًا مـا".

قُلـت: "أوه، ليـس أنـتِ أيضًـا، أعتقِـد يـا ديـبرا أنـه في حـال كُشِـف أمـره.. أو كان خائفًـا بشـدة مـن إتمـام...".

قالـت سريعًـا: "التغليـف، لقـد قـضى الكثـير مـن الوقـت في تغليـف الجُثـة، وفي التنظيـف".

بدت مُتفاجئة وهي تقول: "اللعنة، بعد أن تمَّت مُقاطعته".

صفَّقت بيديّ وأنا أثني عليها قائلًا: "برافو أيتها الآنسة مارِبل".

"ومن ثمّ لا يبدو الأمر معقولًا".

"بالعكـس تمامًـا، كان لديـه مُتَّسَـع مـن الوقـت، ورغـم هـذا.. لم يُكمِـل الطقـوس بشـكلٍ صحيحٍ، وتذكَّري يـا ديـب.. الطقـوس هـي كُل شيء تقريبًـا، مـاذا نفهَـم مـن هـذا؟".

قالت في غضب: "لماذا لا يُمكِنك أن تُخبرني فحسب، بحق الله؟".

"كيف سيكون الأمر مرحًا؟".

تنفَّسـت بعُمـقٍ وهـي تقـول: "اللعنـة، حسـنًا يـا ديكـس، إذا لم تتـم مُقاطعتـه، لكنـه لم ينتـه.. اللعنـة، التغليـف كان أكـثر أهميـة مـن التقطيـع؟".

نظـرت إليهـا بشـفقةٍ وأنـا أقـول: "لا يـا ديـب، فكِّـري، هـذه هـي المـرة الخامسـة، تمامًـا مثـل الأخريـات، أربـع سـيقان يُـسرى قُطِّعـت جيـدًا، والآن.. رقـم خمسـة...".

نظـرت إليهـا في صمـت وأنـا أرفَـع حاجبـي، قالـت: "اللعنـة يـا ديكسـتر، كيـف لي أن أعـرِف؟ ربمـا كان بحاجـةٍ لأربـع سـيقان يُـسرى فقـط، ربمـا.. لا أعلـم، أقسـم باللـه أننـي لا أعلـم، مـاذا؟".

ابتسـمت وأنـا أهـز رأسي، بالنسبة لي.. كان الأمـر واضحًـا وأنـا أقـول: "لقـد ذَهَـب التشـويق يـا ديـب، شيء مـا ليـس صحيحًـا، هـذا ليـس عمـلًا، جـزء أسـاسي مـن السـحر الـذي يجعلـه يبـدو مثاليًـا، لم يعُـد هنـاك".

"كان من المُفترض أن أكتشِف هذا؟".

"عـلى شـخص مـا أن يفعـل، ألا تعتقديـن هـذا؟ هـو فقـط نـوع مـن المراوغـة للتوقُّـف، البحـث عـن الإلهـام، دون أن يعـثر عـلى أي شيء".

تجهَّمت وهي تقول: "إذًا فقد انتهى، لن يفعل هذا مُجدّدًا؟".

ضحكت: "يا إلهي، لا يا ديبرا، العكس تمامًا، إذا كُنتِ كاهنةً، وآمنتِ بالله حقًا، لكنكِ لم تجدي الطريقة الصحيحة لعبادته، فماذا كُنتِ ستفعلين؟".

قالت وهي تحدِّق بي: "سأستمِر في المحاولة، حتى أجد الطريقة الصحيحة، يا إلهي.. هل هذا ما تعتقِده؟ سيفعل هذا ثانيةً في وقتٍ قريبٍ؟".

قُلت بتواضُع: "إنه مُجرَّد حدس، قد أكون مُخطئًا".

لكنني كُنت مُتأكِّدًا أنني لست مُخطئًا.

قالت: "يجب أن نُمهِّد الطريق للقبض عليه عندما يفعل ذلك، وليس البحث عن شاهد غير موجود".

وقفت وتوجَّهت نحو الباب وهي تقول: "سأتصل بك لاحقًا، وداعًا!".

ورحلت.

ضغطت على الكيس الورقي الأبيض، لم يتبق شيء بداخله، مثلي تمامًا، نظيف، هش من الخارِج، ولا شيء على الإطلاق من الداخل.

طويت الكيس ووضعته في سلة القمامة الموجودة بجانِب مكتبي، لديّ عمل للقيام به هذا الصباح، عمل مُختبَر الشرطة الرسمي الحقيقي، لديّ تقرير طويل لأكتبه، صور لأرتِّبها، أدلة لأفرزها، كانت أشياء روتينية، جريمة قتل مزدوجة.. على الأرجح لم تذهب إلى المحكمة، لكنني أحب أن أتأكَّد أن كُل ما ألمسه مُنظَّم بشكلٍ جيدٍ.

بالإضافة إلى أن هذه القضية كانت مُثيرة للاهتمام، كان من الصعب جدًّا قراءة بُقع الدم، بين انفجار الشرايين، الضحايا المُتعدِّدين، والتي من الواضِح أنهم تحرَّكوا، ونمط السلاح الذي

كان على الأرجح نصل منشار، كان من المُستحيل تقريبًا العثور على موقِع الاصطدام، ومن أجل تغطية الغُرفة بأكملها، تحتَّم عليّ استخدام زجاجتين من اللومينول، والذي يكشِف حتى أضعف بُقع الدم، لكنه مُكلِّف بشكلٍ صادمٍ، حيث إن سعر الزجاجة اثني عشر دولارًا».

تحتَّم عليّ في الواقِع أن أضع خيوطًا لتُساعدني في معرفة زوايا التناثُر الأولية، وهي تقنية قديمة لما يكفي لتبدو أشبه بالكيمياء، كانت أنماط التناثُر مُذهِلة، حيَّة، كانت هناك بُقع مُشرِقة، برية، ووحشية عبر الجدران، الأثاث، التليفزيون، المناشِف، غطاء الفراش، والستائر، رعب مُذهِل وحشي من الدماء المُتطايرة، حتى في ميامي.. كُنت لتظن أن شخصًا ما.. سَمِع شيئًا ما، شخصان تم تقطيعهما وهما على قيد الحياة بنصل منشار، في غُرفة فُندق أنيقة وباهظة الثمن، وببساطة.. رفع الجيران أصوات أجهزة التلفاز الخاصة بهم.

قد تقول أن ديكستر العزيز الدؤوب مشغول في وظيفته، لكنني أحب أن أكون دقيقًا، وأحب أن أعرف أين تختبئ كُل الدماء.

الأسباب المهنيَّة لذلك واضِحة، لكنها ليست بنفس قدر الأسباب الشخصية من الأهمية، ربما في يومٍ من الأيام.. سيُساعدني الطبيب النفسي الذي يستعين به نظام العقوبات الحكومي في معرفة السبب.

على أي حال.. كانت أجزاء الجسد باردة جدًّا بحلول الوقت الذي وصلنا فيه إلى مسرح الجريمة، وربما لن نجد أبدًا الرجل الإيطالي الذي يبلُغ طوله سبع أقدام ونصف، صاحِب اليد اليُمنى والوزن الزائِد، وصاحِب الضربة الخلفية.

لكنني ثابرت، وقُمت بعملٍ جيدٍ للغاية، لا أقوم بعملي من أجل القبض على الأشرار، لماذا أريد أن أفعل هذا؟ لا، أقوم بعملي لإخراج

النظام من الفوضى، لإجبار بُقع الدم الكريهة على التصرُّف بشكلٍ صحيح، قبل أن تزول، ربما يقوم الآخرون بعملي من أجل القبض على المُجرمين، وهذا جيد بالنسبة لي، لكنه لا يهم.

إذا كُنت غير مُبالٍ بما فيه الكفاية ليتم القبض عليّ، فسيقولون عني أنني وحش مُعتل اجتماعيًّا، شيطان مريض ومُعقَّد، ربما حتى ليس بشريًّا، على الأرجَح.. سيرسلونني للموت في أولد سباركي بعجرفةٍ، إذا ما قبضوا على صاحِب السبع أقدام ونصف، سيقولون أنه رجل سيئ أخطأ بسبب القوى الاجتماعية التي لم يقدر على مقاومتها، وسيذهب للسجن لعشر سنوات قبل أن يطلقوا سراحه بما يكفي من المال لشراء نصل منشار جديد وبدلة.

مع كُل يوم في العمل.. كُنت أفهم هاري بشكلٍ أفضل قليلًا.

الفصل السادس

ليلـة الجُمعـة، ليلـة المواعـدة في ميامـي، وصـدِّق أو لا تُصـدِّق.. ليلـة المواعـدة لديكسـتر، والأمـر الغريـب.. أننـي وجـدت شـخصًا مـا، مـاذا.. مـاذا؟ ديكسـتر الميـت مـن الداخِـل بشـدة يواعِـد عشـيقة شـابة؟ جنـس بـين المـوتى؟ هــل اضطرَّتنــي حاجتــي لتقليــد الحيــاة لتزييــف هــزَّة الجِـماع؟

تنفَّــس بيُــسرٍ، لم يدخُــل الجنــس في الأمــر أبــدًا، بعــد ســنوات مــن البحـث المـروِّع والإحـراج في التظاهُـر بشـكلٍ طبيعـي، توصَّلـت أخـيرًا للموعِـد المثـالي.

تعرَّضـت ريتـا لأضرارٍ بالغـةٍ مثلي تقريبًـا، تزوَّجـت في سـن صغـيرة، ناضلـت كي يسـتمِر الأمـر لمُـدة عـشر سـنوات وطفلـين، شريـك حياتهـا السـاحِر كان لديـه بعـض المشـاكِل، في البدايـة؛ الكحـول، ثـم الهيرويـن، صـدِّق أو لا تُصـدِّق، وأخـيرًا.. الكوكايـين، كان يضربهـا، بوحشـية، كـسَّر الأثـاث، صرخ، ألقـى أشـياء، وهدَّدهـا، ثـم اغتصبهـا، أصابهـا ببعـض الأمـراض المنزليَّـة المروِّعـة، فعـل كُل هـذا بانتظـام، وتحمَّلتـه ريتـا، عملـت، قاومتـه عـن طريـق إعـادة التأهيـل مرتـين، قبـل أن يتحـوَّل نحـو الأطفـال في ليلـةٍ مـن الليـالي، وتدخَّلَـت ريتـا لإنهـاء الأمـر.

كان وجههـا قـد شُـفي الآن، أمـا كسـور الذراعـين والأضـلاع فكانـت أمـورًا روتينيـة بالنسـبة لأطبـاء ميامـي بالطبـع، كانَـت ريتـا حسِـنة المظهـر تمامًـا.

كان الطـلاق نهائيًـا، والجـاني كان محبوسًـا، وبعـد ذلـك؟ أسرار العقـل البـشري، بطريقـةٍ مـا.. ولسـببٍ مـا.. قـرَّرَت عزيـزتي ريتـا أن تواعِـد مـرة أخـرى، كانَـت مُتيقِّنـة تمامًـا أنـه الـشيء الصحيـح لتقـوم بـه، لكـن نتيجة

لاعتداء الرجل الذي أحبته عليها مرارًا وتكرارًا، كانت غير مُهتمَّة بالجنس إطلاقًا، فقط.. ربما.. بعض الصُّحبة الذكورية لقليلٍ من الوقت.

كانت تبحَث عن الرجل المُناسِب؛ حسَّاس، لطيف، ومُستعِد للانتظار، بحثت لوقتٍ طويلٍ، كانت بالطبع تبحث عن رجل خيالي يهتم فقط بالتحدُّث معها ومُشاهدة الأفلام بصُحبتها أكثر من مُمارسة الجنس، لأنها لم تكُن مُستعدة لذلك بعد.

هل قُلت خيالي؟ حسنًا.. أجل.. الرجال ليسوا كذلك، مُعظم النساء يعرِفن هذا بحلول الوقت الذي يُنجِبن فيه طفلين أو يحصلن على طلاقهن الأول، ريتا المسكينة تزوَّجت صغيرة جدًّا وزواج سيئ جدًّا كي تتعلَّم هذا الدرس القيِّم، وكأثر جانبي ثانوي للتعافي من زواجها الفظيع، بدلًا من أن تُدرِك أن جميع الرجال وحوش، أتت بهذه الصورة الرومانسية الجميلة لرجلٍ مثالي ينتظِرها لأجلٍ غير مُسمى لتنفتِح ببطءٍ، مثل زهرة صغيرة.

حسنًا، في الحقيقة.. ربما كان هذا الرجل موجودًا في إنجلترا الفيكتورية، عندما كانت هناك بيوت دعارة في كُل ركن، حيثما كان بإمكانه أن ينفُث بخاره في احتكاكٍ خالٍ من الحُب، لكن ليس -على حد علمي- في ميامي في القرن الحادي والعشرين.

ورغم ذلك.. كان بإمكاني تقليد كُل تلك الأشياء بشكلٍ مثالي، وفي الواقِع.. أردت ذلك، ليس لديّ أي اهتمام بعلاقةٍ جنسيةٍ، أردت غطاء، كانت ريتا هي بالضبط ما أبحَث عنه.

كانت -على حد قولي- حسنة المظهَر، رقيقة، شُجاعة، وخبيرة، ذات مظهَر رياضي رشيق، شعر أشقر قصير، وعينين زرقاوين، كانت مُتعصِّبة للرياضة، تقضي كُل وقت فراغها في الركض، ركوب الدراجات، وأشياء من هذا القبيل، في الحقيقة.. كان التعرُّق واحدًا

مــن نشــاطاتها المُفضَّلــة، ركبنــا الدراجــات عــبر إيفرجليــدز، ركضنــا لمســافاتٍ طويلــةٍ، بــل ورفعنــا الأثقــال معًــا.

والأفضــل مــن كُل هــذا.. كان طفلاهــا؛ استــور كان عُمرهــا ثمــاني ســنوات، وكــودي خمســة، وكانــا هادئــين للغايــة، بالطبــع كانــا كذلــك، الأطفــال الذيــن يحــاوِل آباؤهــم قتــل بعضهــم بعضًــا بالأثــاث باســتمرار، عــادةً مــا يميلــون للانســحاب قليــلًا، أي طفــل نشــأ في بيــت رُعــب كهــذا ســيكون كذلــك، لكــن يُمكِــن إخراجهــم مــن هــذا في النهايــة، انظــر لي، لقــد عانيــت مــن أهــوالٍ مجهولــةٍ وغــير مجهولــة عندمــا كُنــت طفــلًا، وهــا أنــا ذا؛ مواطِــن صالِــح، وأحــد أعمِــدة المُجتمَــع.

ربمــا كان ذلــك جــزءًا مــن إعجــابي الغريــب باســتور وكــودي، لأننــي أحببتهــما، وهــذا كان غريبًــا بالنســبة لي، أعــرف كيــف أنــا وأفهــم العديــد مــن الأشــياء عــن نفــسي، لكــن إحــدى الســمات القليلــة التــي لا أفهمهــا في شــخصيتي هــي ســلوكي مــع الأطفــال.

أنا أحبهما.

مُهمّان بالنسبة لي، مُهمان.

لا أفهــم الأمــر، في الحقيقــة.. أنــا لا أهتَــم بشــأن مــوت أي إنســان في هــذا العــالم فجــأة، باســتثناء نفــسي، وربمــا ديــبرا، أمــا الآخــرون فأقــل أهميــة بالنســبة لي مــن أثــاث الحديقــة، ليــس لــديّ أي إحســاس بالآخريــن، وكــما يقــول المُهتَّمــون بالبلاغــة.. لســت مُثقــلًا بهــذا الإدراك.

لكن الأطفال.. الأطفال مُختلفون.

أواعِــد ريتــا لعــامٍ ونصــفٍ تقريبًــا، وفي هــذا الوقــت.. كُنــت أنتــصِر عــلى اســتور وكــودي ببــطءٍ وبشــكلٍ مُعتمَــد، كُنــت عــلى مــا يُــرام، لــن أؤذيهــما، تذكــرت أعيــاد ميلادهــما، أيــام كتابــة التقاريــر، وإجازاتهــما، كان بإمــكاني الدخــول إلى بيتهــما دون أن أتســبَّب في أي ضرر، كُنــت جديــرًا بالثقــة.

لسُخرية القدر.. كان هذا حقيقيًا.

أنـا.. الرجـل الوحيـد الـذي يُمكِنهـما الوثـوق بـه، اعتقـدت ريتـا أن هـذا كان جـزءًا مـن تـودّدي الطويـل البطـيء معهـا، أن أريهـا أن الأطفـال يحبونـني، ومـن يعـرف؟ لكـن في الحقيقـة.. كانـا يهماننـي أكـثر منهـا، ربمـا كان الوقـت قـد فـات بالفعـل، لكننـي لم أكُـن أرغَـب في رؤيتهـما يكـبران ليكونـا مثـلي.

في ليلـة هـذه الجُمعـة فتحـت اسـتور البـاب، كانـت ترتـدي قميصًـا طويـلًا مكتوبًـا عليـه «فـئران الأغطيـة» يتـدلى أسـفل ركبتيهـا، شـعرها الأحمـر كان مشـدودًا إلى الخلـف برباطـي شـعر طويلـين، ولم يكُـن لديهـا أي تعبـيرات عـلى الإطـلاق عـلى وجههـا الصغـير.

قالت بطريقتها الهادئة للغاية: "مرحبًا ديكستر".

بالنسبة لها.. كلمتان كانتا تُمثّلان مُحادثة طويلة.

قُلـت مُقلـدًا النُبـلاء بأفضـل مـا اسـتطعت: "مسـاء الخـير أيتها الشـابة الجميلـة، هـل لي أن أقـول أنـكِ تبديـن جميلـة للغايـة هذا المسـاء؟".

قالت وهي تفتح الباب: "حسنًا".

نظـرت مـن فـوق كتفهـا نحـو الأريكـة التـي تسـبح في الظـلام: "إنـه هنـا».

مـررت بجوارهـا، كان كـودي واقفًـا بجوارهـا، بالداخِـل.. كـما لـو كان مدعومًـا ليدعمهـا في حـال حـدث أي شيء، قُلـت: "كـودي".

أعطيتـه لفافـة مـن رقائـِق نيكـو، أخذهـا دون أن يرفـع عينيـه مـن عـليّ، وتـرك يـده تسـقُط بجـواره دون أن ينظُـر للحلـوى، لـن يفتحهـا إلا بعدمـا أرحَـل، ثـم بعـد ذلـك.. سيقتسـمها مـع شـقيقته.

نادتني ريتا من الغُرفة المجاورة: "ديكستر؟".

قُلت: "أنا هنا، ألا يُمكنكِ تهذيب هؤلاء الأطفال؟".

قال كودي بصوتٍ خافتٍ: "لا".

مزحة، حدَّقت به، ماذا بعد؟ هل سيُغني في يومٍ ما؟ هل سيرقُص رقصًا نقريًّا في الشوارع؟ هل سيُخاطِب المؤتمر الوطني الديمقراطي؟

ظهرت ريتا، ترتدي حلقًا دائريًّا، كانت مُثيرة لحدٍ ما، مع الأخذ بعين الاعتبار أنها كانت ترتدي فستانًا حريريًّا خفيفًا أزرق اللون يصل إلى مُنتصف الفخذ، وبالطبع كانت ترتدي أفضل حذاء رياضي تملكه من ماركة نيو بالانس، لم أقابل.. أو أسمع من قبل حتى.. عن امرأة ترتدي الأحذية الرياضية في المواعيد الغرامية، مخلوقة ساحرة.

قالت ريتا: "مرحبًا أيها الوسيم، دعني أتحدَّث مع جليسة الأطفال قبل أن نخرج من هنا".

ذهبت إلى المطبخ، سمعتها وهي تلقي بالتعليمات على جارتها المُراهِقة التي ستقوم بمُجالستهما، بوضعهما في الفراش، كتابة الواجِب، ما يجب مُشاهدته في التلفاز وما لا يجِب، رقم هاتف محمول، رقم طوارئ، ماذا ستفعل في حال حدثت حالة تسمُّم عرضي أو رأس مقطوع.

لا يزال كودي واستور يحدِّقان بي.

سألتني استور: "هل ستذهبان لمُشاهدة فيلم؟".

أومأت برأسي وأنا أقول: "هذا في حال وجدنا فيلمًا لن يجعلنا نتقيأ".

قالت وهي تضع تعبيرًا حادًّا على وجهها الذي توهَّج بقليلٍ من الإنجاز وهي تقول: "قرف".

سأل كودي: "هل تتقيأ في السينمات؟".

قالت استور: "كودي!".

لكنه أصر قائلًا: "هل تفعل؟".

قُلت: "لا، لكنني عادةً ما أرغَب في هذا".

قالت ريتا: "هيا بنا".

أبحـرت نحوهـما وهـي تطبـع قُبلـة عـلى وجنـة كل منهـما وهـي تقـول: "اسـتمعا إلى آليـس، ميعـاد النـوم في التاسـعة".

سأل كودي: "هل ستعود؟".

قالت ريتا: "كودي! بالطبع سأعود".

قال كودي: "كُنت أقصد ديكستر".

قُلت: "ستكون نائمًا، لكنني سألوِّح لك، حسنًا؟".

قال بجديةٍ: "لن أكون نائمًا".

قُلت: "إذًا سآتي لألعب معك الورق".

قال: "حقًا؟".

"بالطبـع، لعبـة بوكـر عاليـة المخاطـر، وسـيحظى الفائـز بفُرصـة للحصـول عـلى الخيـول».

قالـت ريتـا وهـي تبتسِـم: "ديكسـتر! سـتكون نائمًـا يـا كـودي، والآن.. ليلـة سـعيدة يـا أطفـال، كونـا مؤدَّبـين".

أمسـكت بذراعـي وقادتنـي نحـو البـاب وهـي تُتمتـم: "بـصراحة.. لقـد نجحـت في كسـب ود هـؤلاء الاثنـين".

لم يكُـن الفيلـم مُميَّـزًا، ولم أرغَـب حقًّـا في التقيـؤ، لكننـي كُنـت قـد نسـيت مُعظـم أحداثـه بحلـول الوقـت الـذي توقَّفنـا فيـه في مـكانٍ صغـيرٍ بالقُـرب مـن سـاوث بيتـش لتنـاول مـشروب في وقـتٍ متأخـرٍ مـن الليـل، كانـت فكـرة ريتـا، عـلى الرغـم مـن أنهـا عاشَـت في ميامـي مُعظَـم حياتهـا، لكنهـا مـا زالـت تعتقِـد أن شـاطئ سـاوث بيتش سـاحر،

ربما كان الأمر بسبب عربات التزلُّج، أو ربما كان لأنها اعتقدت أن أي مكان مُمتلئ بهذا القدر من ذوي الأخلاق السيئة يجب أن يكون ساحرًا.

على أي حال.. انتظرنا عشرين دقيقة للحصول على منضدة صغيرة، ومن ثم انتظرنا عشرين دقيقة أخرى للخدمة، لم أمانِع الأمر، استمتعت بمُشاهدة الحمقى حسني المظهَر وهم ينظرون إلى بعضهم بعضًا، رياضة تحديق رائعة.

تجوَّلنا على طول أوشن بوليفارد، وأجرينا مُحادثة لا طائل منها، وهو فن أجيده تمامًا، كانت ليلة لطيفة، كان القمر المُكتمل قد نقص أحد أركانه منذ عدة ليالٍ، عندما متَّعت نفسي بالأب دونوفان.

وبينما كُنا عائدين إلى منزل ريتا في جنوب ميامي بعد قضاء أمسيتنا المُعتادة في الخارِج، مررنا بتقاطُع في واحدة من المناطِق الأقل أمنًا في كوكونوت جروف، لفت ضوء أحمر وامِض انتباهي، نظرت إلى الشارِع الجانبي، مسرح جريمة، كان الشريط الأصفر قد تم ربطه بالفعل، وتوقَّفت العديد من السيارات في أماكِن مُتفرِّقة.

هو مرة أخرى، هكذا اعتقدت، وقبل أن أعرف ما كُنت أعنيه بذلك، كُنت قد حرَّكت السيارة في الشارِع الجانبي نحو مسرح الجريمة.

سألتني ريتا: "أين نذهَب؟".

قُلت بهدوء: "أود أن أتحقَّق من الأمر، لأري إذا ما كانوا يحتاجونني".

"أليس لديك جهاز استدعاء؟".

أعطيتها أفضل ابتسامات ليلة الجُمعة التي أملكها وأنا أقول: "لا

يعرفـون دومًـا أنهـم في حاجـة لي".

ربمـا كُنـت قـد توقَّفـت عـلى أي حـال، لأتفاخَـر أمـام ريتـا، الهـدف الأسـاسي مـن التنكُّـر هـو أن أسـمَح لهـا بمُشـاهدتي وأنـا أفعلـه، لكـن في الحقيقـة.. الصـوت الصغـير الـذي لا يقـاوَم في أذني كان قـد جعلنـي أتوقَّـف مهـما كلَّفنـي الأمـر، كان هـو مـرة أخـرى، وكان عـليّ أن أرى مـا ينتـوي فعلـه، تركـت ريتـا في السـيارة وأسرَعـت إلى هنـاك.

لم ينتـوِ خـيراً مـرة أخـرى، هـذا الوغـد، كانـت هنـاك نفـس الكومـة مـن أجـزاء الجسـد الملفوفـة بعنايـة مـرة أخـرى، أنجيـل -لسـت قريبـه- كان ينحنـي فوقهـا في نفـس الوضـع الـذي رأيتـه فيـه حينـما تركتـه في مـسرح آخـر جريمـة.

قال عندما اقتربت منه: "ابن العاهرة".

قُلت: "ليس أنا، أنا مُتأكِّد".

قـال أنجيـل: "كان بقيتنـا يشـتكي مـن اضطرارنـا للعمـل في ليلـة الجُمعـة، وهـا أنـت تظهَـر مـع موعِـد، ومـا زال لا يوجـد لـك أي شيء هـا هنـا".

"نفس الرجل، نفس النمط؟".

قـال وهـو ينـزع البلاسـتيك بقلمـه: "نفـس الـشيء، عظـام جافـة مـرة أخـرى، ولا دمـاء عـلى الإطـلاق".

جعلتنـي الكلـمات أشـعر بـدوارٍ خفيـفٍ، ملـت للأمـام لإلقـاء نظـرة، ومـرة أخـرى.. كانـت أجـزاء الجسـد نظيفـة وجافـة بشـكلٍ مُثـيرٍ للدهشـة، تعلوهـا مسـحة زرقـاء لتبـدو وكأنهـا محفوظـة في لحظتهـا المثاليـة الصغـيرة مـن الزمـن، رائـع.

قـال أنجيـل: "اختـلاف بسـيط في التقطيـع هـذه المـرة، في أربعـة أماكِـن".

أشار بيده وهو يقول: "قاسٍ للغاية هنا، بالكاد عاطفي، ثم هنا.. ليس كثيراً، هنا وهنا، وفي المُنتصَف.. أليس كذلك؟".

قُلت: "جيد للغاية".

قال: "ثم انظر إلى هذا".

قام بدفع الجزء غير الدموي بقمة قلمه الرصاص، تحت قطعة أخرى بيضاء لامِعة، كان اللحم مسلوخًا بعنايةٍ شديدةٍ، بالطول، ليكشِف عن عظمة نظيفة.

سأل أنجيل بهدوء: "لماذا يفعَل هذا؟".

تنفَّست وأنا أقول: "إنه يُجرِّب، يحاوِل إيجاد الطريقة الصحيحة".

حدَّقت إلى القسم الجاف النظيف حتى أدرَكت أن أنجيل كان ينظُر إليّ منذ وقت طويل جدًّا.

"مثل طفل يلعب بطعامه".

هكذا وصفت الأمر لريتا حينما عُدت إلى السيارة.

قالت ريتا: "يا إلهي، هذا فظيع".

قُلت: "أعتقِد أن الكلمة الصحيحة هي مُشين".

"كيف يُمكِنك أن تمزَح بشأن هذا يا ديكستر؟".

أعطيتها ابتسامة مُطمئِنة وأنا أقول: "تعتادين على هذه الأمور حينما تعملين في مجال عملي، نطلِق النكات لإخفاء الأمر".

"حسنًا، يا إلهي.. أتمنى أن يقبضوا على هذا المجنون قريبًا".

فكَّرت في أجزاء الجسد المُكدَّسة بعناية، وتنوُّع الجروح، نقص الدم الكُلي الرائِع وأنا أقول: "ليس قريبًا".

سألتني: "ماذا قُلت؟".

"قُلت.. لا أعتقد أن هذا سيحدُث قريبًا، القاتل ماهر للغاية،

والمُحقِّقـة المسـؤولة عـن القضيـة مُهتمَّـة بلعبـة السياسـة أكـثر مـن اهتمامهـا بحـل جرائـم القتـل.

نظـرت إليّ لـترى إذا مـا كُنـت أمـزَح، ثُـم جلسَـت بصمـتٍ بينـما قُدت جنوبًـا نحـو الطريـق الأول، لم تتحـدَّث إلا في جنـوب ميامـي، قالـت في النهايـة: "لا يُمكننـي التعـوُّد عـلى رؤيـة.. لا أعـرف، الجانِـب المخفـي عـن الأنظـار؟ كيـف تسير الأمـور حقًّـا؟ بالطريقـة التـي تراهـا".

فاجأتنـي، كُنـت أسـتغِل الصمـت لأفكِّـر في أجـزاء الجسـد المُكدَّسـة بعنايـةٍ التـي تركناهـا للتـو، كان عقـلي يُحلِّـق بجـوعٍ حـول الأطـراف النظيفـة الجافـة المقطوعـة مثـل نـسر يبحـث عـن قطعـة مـن اللحـم ليُمزِقهـا، كانـت ملاحظـة ريتـا غـير متوقَّعـة لدرجـة أنني لم أتمكَّـن حتى مـن أن أتلعثَـم لدقيقـةٍ قبـل أن أقـول في النهايـة: "مـاذا تقصديـن؟".

عبسَـت وهـي تقـول: "أنـا.. أنـا لسـت مُتأكِّـدة، فقـط.. كُلنـا نفـترِض أن.. الأمـور.. تسـير بطريقـةٍ مُعيَّنـةٍ، بالطريقـة التـي مـن المُفـترَض أن تسير بهـا؟ وبعـد ذلـك لا يكونـون كذلِـك أبـدًا، دائمًـا مـا يكونـون أكـثر.. لا أعـرِف.. إظلامًـا؟ أكـثر إنسـانية، مثـل تلـك، أظـن أن.. بالطبـع المُحقِّقـة تُريـد الإمسـاك بالقاتِـل، أليـس هـذا عمـل المُحقِّقـين؟ لم يخطـر ببـالي مـن قبـل أن يكـون هنـاك أي شيء سـياسي عـلى الإطـلاق بشـأن القتـل".

قُلـت وأنـا أسـتدير إلى شـارِعها وأبطـئ مـن سُرعتـي قليـلًا أمـام منزلها الأنيـق غير الملحـوظ: "عمليًّـا.. في كُل شيء".

قالت: "لكن أنت...".

لم يبـدُ عليهـا أنهـا لاحظـت أيـن نحـن أو مـا قُلـت وهـي تسـتكمِل حديثهـا: "مـن هنـا تبـدأ.. مُعظَـم النـاس لـن تُفكِّـر حقًّـا في هـذا الأمـر أبـدًا».

قُلـت وأنـا أقـود السـيارة نحـو حديقتهـا: "أنـا لسـت بهـذا العُمـق يـا ريتـا".

"الأمـر يُشـبِه.. لـكُل شيء طريقتـان، الطريقـة التـي نتظاهَـر بهـا جميعًـا، والطريقـة التـي هـي عليهـا حقًّـا، وأنـت تعلـم ذلـك بالفعـل، الأمـر مثـل لعبـة بالنسـبة لـك".

لم يكُـن لـديّ أي فكـرة عـما كانـت تحـاول قولـه، في الواقِـع.. كُنـت قد يئسـت مـن محاولـة فهـم الأمـر، وبينـما كانـت تتحـدَّث.. تركـت عقـلي يعـود إلى جريمـة القتـل الأخـيرة؛ نظافـة اللحـم، الجـودة الارتجاليـة للجـروح، الجفـاف التـام، والنقـص الكامِـل في الدمـاء..

قالت ريتا وهي تضع يدها على ذراعي: "ديكستر!".

قبَّلتهـا، لا أعلـم أيًّـا منـا تفاجـأ أكـثر، لم يكُـن هـذا شـيئًا فكَّـرت في القيـام بـه مـن قبـل، وبـكُل تأكيـد.. لم يكُـن عطرهـا هـو السـبب، لكنني وضعـت شـفتيّ عـلى شـفتيها، واحتفظـت بهـما هنـاك لفـترةٍ طويلـةٍ.

دفعتني بعيدًا.

قالت: "لا، أنا.. لا يا ديكستر".

كُنت ما زلت مصدومًا مما فعلت وأنا أقول: "حسنًا".

قالـت: "لا أعتقِـد أننـي أريـد.. لسـت مُسـتعِدة لـ.. اللعنـة يـا ديكسـتر".

خلعت حزام مقعدها، فتحت باب السيارة، وركضت نحو منزلها.

أوه، لم أكُن أقصد يا عزيزتي، ما الذي فعلته؟

وأدركـت أنـي يجـب أن أتسـاءل عـن ذلـك، وربمـا كُنـت أشـعر بخيبة الأمـل لأننـي دمَّـرت تظاهـري بعـد عـام ونصـف مـن العمل الشـاق.

لكـن كُل مـا كُنـت قـادرًا عـلى التفكـير فيـه هـو تلـك المجموعـة النظيفـة مـن أجـزاء الجسـد.

دون دماء.

على الإطلاق.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل السابع

كانت هذه الجُثة مشدودة تمامًا بالطريقة التي أحبّها، الذراعان والساقان مؤمنة تمامًا، والفم مُغلَق بشريطٍ لاصِقٍ كيلا تكون هناك ضوضاء أو أي انسِكاب في منطقة عملي، شعرت بيديّ ثابتتين تمامًا بالسكين، لدرجة أنني كُنت مُتأكِّدًا أنها ستكون جيدة، مُرضيَّة للغاية..

باستثناء أنه لم يكُن سكينًا، كان نوعًا من...

باستثناء أنها لم تكُن يدي، على الرغم من أن يدي كانت تتحرّك مع تلك اليد، ليست يدي التي تُمسِك بالنصل، والغرفة كانت صغيرة نوعًا ما، ضيقة للغاية، الأمر الذي بدا منطقيًّا لأنها.. ماذا؟

وها أنا ذا أطفو فوق مساحة العمل الضيقة المثالية وجسدها العذب، وللمرة الأولى.. أشعر بالبرد ينفجِر من حولي وحتى من خلالي بطريقةٍ ما، وإذا ما كان بإمكاني الشعور بأسناني.. فأنا مُتأكِّد تمامًا أنها ستكون تصطك، ترتفِع يدي في انسجامٍ تامٍ مع اليد الأخرى، وتتقوَّس للخلف من أجل الحصول على قطع مثالي.

وبالطبع.. أستيقظ في شقتي، أقف بطريقةٍ ما أمام الباب الأمامي، عاريًا تمامًا، المشي أثناء النوم.. هو أمر أستطيع أن أفهمه، لكن التعري أثناء النوم؟ حقًّا، أترنَّح عائدًا إلى فراشي المُتحوِّل الصغير، تكوَّمت الأغطية على الأرض، خفَّض مُكيِّف الهواء درجة الحرارة إلى ما يُقارِب الستين، بدت وكأنها فكرة جيدة في هذا الوقت، الليلة الماضية.. شعرت بقليلٍ من الاغتراب بعد ما حدث مع ريتا، كان الأمر غير منطقي، إذا ما حدث حقًّا يا ديكستر، سارِق الحُب، سارِق القُبلات، لذلك أخذت حمامًا طويلًا ساخِنًا عندما عُدت إلى

المنـزل، ودفعـت الترموسـتات للأسـفل بالكامِـل بينـما كُنـت أتسـلَّق الفـراش، لـن أتظاهَـر بأنني لا أفهـم السـبب، لكـن في لحظـاتي المُظلِمـة أجـد الـبرودة مُنظِفـة، وليسـت مُنعِشـةً بالـضرورة.

وكان الطقـس شـديد الـبرودة في الوقـت الحـالي مـن أجـل القهـوة وبدايـة اليـوم وسـط آخـر قطـع الحلـم المُمزَّقـة.

كقاعـدة.. عـادةً مـا لا أتذكَّـر أحلامـي، ولا أعلِّـق عليهـا أي أهميـة في حـال حدثـت، لذلـك كان مـن السـخف أن يظـل هـذا الشـخص معـي.

أطفو فوق مساحة العمل الضيقة المثالية..

ترتفِـع يـدي في انسـجامٍ تـامٍ مـع اليـد الأخـرى، وتتقـوَّس للخلـف مـن أجـل الحصـول عـلى قطـع مثـالي..

قـرأت الكُتـب، وربمـا لأننـي لـن أكـون واحـدًا أبـدًا، فلطالمـا كان البـشر مُثـيري الاهتـمام بالنسـبة لي، لذلـك.. كُنـت أعـرِف معنـى كُل تلك الرمـوز: الطفـو هـو نـوع مـن الطـيران.. هـذا يعنـي الجنـس، والسـكين..

نعـم يـا دكتـور، السـكين يُمثِّـل الأم، أليـس كذلِـك؟ دع الأمـر يـا ديكسـتر.

إنه مُجرَّد حلم غبي بلا معنى.

رنَّ جـرس الهاتِـف، شـعرت بالفـزع، قالـت ديـبرا: "مـاذا عـن إفطـار في وولفيـز؟ عـلى حسـابي".

قُلت: "إنه صباح يوم السبت، لن ندخُل أبدًا".

قالـت: "سـأصل إلى هنـاك أولًا وسـأحصل لنـا عـلى منضـدة، أراك هنـاك".

تنـاول الأطعمـة الشـهية في وولفيـز ديـلي عـلى شـاطئ ميامـي كان مـن تقاليـد ميامـي، ولأن عائلـة مورجـان كانـت مـن عائـلات ميامـي، كُنـا نـأكُل هنـاك طـوال حياتنـا في تلـك المُناسـبات الشـهية الخاصَّـة، لماذا

اعتقدت ديبرا أن اليوم هو واحِد من تلك المُناسبات التي نسيتها، لكنني كُنت مُتأكِّدًا أنها ستنيرني في الوقت المُناسِب، لذا تحمَّمت، ارتديت أفضل ملابِس يوم السبت الخاصّة بي، وقدت سيارتي نحو الشاطئ، كانت حركة المرور خفيفة فوق جسر ماك آرثر، وسُرعان ما كُنت أشق طريقي بأدبٍ بين الحشود المُزدحِمة في وولفيز.

وصَدَق قولها.. كانت ديبرا تجلس خلف منضدة في الزاوية، كانت تدردش مع نادلة عجوز، امرأة حتى أنا كُنت أعرِفها، قُلت: "روز، حبيبتي".

انحنيت لأطبع قُبلة على وجنتها المُتجعِّدة، أدارت وجهها العابِس على الدوام نحوي، قُلت: "زهرتي الأيرلندية البرية".

قالت بصوتٍ صدئ وبلهجةٍ أوروبية ثقيلة: "ديكستر، توقَّف عن تقبيلي، مثل الرفيق".

سألتها وأنا أجلِس في مقعدي: "هل تعني الرفيق خطيبي بالأيرلندية؟".

نظرت لي وهي تستدير نحو المطبَخ وتهز رأسها نحوي.

قُلت لديبرا: "أعتقِد أنها تحبني".

قالت ديب: "على شخصٍ ما أن يفعل، كيف كان موعِدك في الليلة الماضية؟".

قُلت: "كثير من المرح، عليكِ أن تجربي هذا في يومٍ ما".

قالت ديبرا: "لا أظن".

"لا يُمكنكِ أن تقضي كُل لياليكِ في تامبامي تريل بملابسكِ الداخلية يا ديب، تحتاجين لحياة".

صرخت في وجهي: "أحتاج للنقل، لقسم جرائم القتل، وبعدها سنرى بشأن الحياة".

قُلت: "أتفهَّم الأمر، سيكون من الأفضل للأطفال أن يقولوا ماما تعمل في قسم جرائم القتل".

قالت: "ديكستر، بحق المسيح".

"إنها فكرة طبيعية يا ديبرا، أبناء وبنات أخت، المزيد من آل مورجان الصِّغار، لم لا؟".

تنفَّست بعُمقٍ وهي تقول: "ظننت أن أمي ميتة".

قُلت: "تتحدَّث من خلالي، عبر الكرز الدنماركي".

"حسنًا، غيِّر القناة، ماذا تعرِف عن تبلور الخلايا؟".

رمشت وأنا أقول: "واو، لقد نسفتِ لتوِّك كُل المُنافسة في بطولة تغيير الموضوع".

قالت: "أنا جادَّة".

"إذًا أنا غارِق في ذهولي وارتباكي يا ديب، ماذا تقصدين بتبلور الخلايا؟".

قالت: "بسبب البرد، الخلايا التي تتبلور بسبب البرد".

غَمَرَ الضوء عقلي وأنا أقول: "بالطبع.. جميلة".

وفي مكانٍ بعيدٍ بالداخِل.. بدأت أجراس صغيرة في الرنين، باردة.. نظيفة، شديدة البرودة، والسكين البارِد يصدر صوت أزيز أثناء تقطيعه لشرائح اللحم الدافئ.

البرودة النظيفة مُطهِّرة، تتباطأ الدماء دون جدوى، البرودة صحيحة تمامًا وضرورية تمامًا، بدأت بالقول: "بالطبع.. لماذا لا...".

صمت تمامًا حينما رأيت وجه ديبرا.

سألتني: "ماذا؟ بالطبع ماذا؟".

هزرت رأسي وأنا أقول: "في البداية أخبريني عمّا تريدين معرفته".

نظـرت نحـوي لدقيقـةٍ طويلـةٍ وتنفَّسـت نفسًـا عميقًـا آخـر قبـل أن تقـول في النهايـة: "أعتقِـد أنـك تعـرِف بـأن هنـاك جريمـة أخـرى".

قُلـت: "أعـرِف، ذهبـت إلى هنـاك الليلـة الماضيـة، في الحقيقـة.. سـمعت أنـكِ لم تذهبـي إلى هنـاك".

هـزت كتفـي، مـترو ديـد (قسـم شُرطـة ميامـي) مثـل عائلـة صغـيرة، سـألتني: "إذًا مـاذا تعنـي كلمـة (بالطبـع)؟".

قُلـت بانزعـاجٍ مُعتـدِلٍ في النهايـة: "لا شيء، لحـم الجُثـة بـدا مُختلِفًـا قليـلًا، كـما لـو كان قـد تعـرَّض للـبرودة".

لوَّحـت بيـدي وهـي تسـألني: "هـذا كُل شيء، حسـنًا؟ أي قـدر مـن الـبرودة؟".

"مثل تعبئة اللحوم الباردة".

قالت: "لماذا يفعل هذا؟".

لأنـه أمـر جميـل، هكـذا فكَّـرت، قبـل أن أقـول: "لأن هـذا يُقلِّـل مـن تدفُّـق الدمـاء".

راقبتني وهي تقول: "هل هذا مُهِم؟".

أخـذت نفسًـا طويـلًا وربمـا كان مُرتعِـدًا كذلـك، ليـس بإمـكاني فقـط أن أشرح ذلـك، سـتضطر للقبـض عـليّ إذا مـا حاولـت، قُلـت وأنـا أشـعر بالإحـراج لسـببٍ مـا: "إنـه أمـر حيـوي".

"لماذا هو أمر حيوي؟".

"إنـه.. لا أعـرِف، أعتقِـد أن لديـه هـذا الـشيء بخصـوص الدمـاء يـا ديـب، إحسـاس أتـاني فقـط مـن.. لا أعـرِف، ليـس لـديّ أي دليـل كـما تعرفـين".

رمقتنـي بتلـك النظـرة مـرة أخـرى، حاولـت أن أفكِّـر في شيءٍ مـا لقولـه، لكننـي لم أسـتطِع، ديكسـتر اللبِـق ذو اللسـان الفـضي، بفـمٍ جـافٍ ودون

أي شيء ليقوله.

قالـت في النهايـة: "اللعنـة، هـذا هـو الأمـر؟ الـبرودة تبطـئ تدفُّـق الدمـاء، وهـذا أمـر حيـوي؟ بحقّـك، مـا فائـدة هـذا بحـقِ الجحيـم يـا ديكسـتر؟".

قُلـت وأنـا أبـذل جهـدًا بطوليًـا للتعـافي: "لا أكشِـف أي فائـدة قبـل تنـاول القهـوة يـا ديـبرا، فقـط الأمـور الدقيقـة".

قالت مرة أخرى وروز تجلِب قهوتنا: "اللعنة".

رشـفَت ديـبرا مـن قهوتهـا وهـي تقـول: "تلقّيـت الليلـة الماضيـة دعـوة لحضـور حفـل طهـي لمُـدة اثنتـين وسـبعين سـاعة».

صفّقت بيديّ وأنا أقول: "رائع، لقد وصلتِ، لماذا تحتاجينني؟".

لقسـم شُرطـة ميامـي عـادة في تجميـع فريـق جرائـم القتـل معًـا بعـد حـوالي 72 سـاعة مـن وقـوع جريمـة قتـل، تحدَّثـت مسـؤولة التحقيـق وفريقهـا حـول الأمـر مـع الفاحِـص الطبـي، وأحيانًـا.. شـخص مـا مـن مكتـب المُدعـي العـام، يُبقـي الجميـع عـلى نفـس الصفحـة معًـا، إذا مـا تمَـت دعـوة ديـبرا، فهـذا يعنـي أنهـا ضمـن القضيـة.

عَبَسَـت وهـي تقـول: "أنـا لسـت جيـدة في السياسـة يـا ديكسـتر، يُمكننـي أن أشـعر أن لاجويرتـا تدفعنـي بعيـدًا، لكننـي لا أسـتطيع فعـل أي شيء حيـال الأمـر".

"هل ما زالت تبحَث عن شاهدها السري؟".

أومـأت ديـبرا، سـألتها: "حـقًا؟ حتـى بعـد جريمـة القتـل الجديـدة التـي حدثـت الليلـة الماضيـة؟".

"تقول أن هذا يُثبِت الأمر، لأن الجروح الجديدة كاملة تمامًا".

قُلت محتجًا: "لكنهم كانوا جميعًا مُختلِفين".

هزَّت كتفيها، سألتها: "ماذا تعتقدين؟".

نظـرت ديـبرا بعيـدًا وهـي تقـول: "أخبرتهـا أننـي أعتقِـد أننـا نُضيـع الوقـت في البحـث عـن شـاهِد، بينـما مـن الواضِـح أن القاتِـل لم تتـم مُقاطعتـه، هـو فقـط غـير راضٍ".

قُلت: "يا للهول، أنتِ فعلًا لا تفقهين شيئًا في السياسة".

قالت: "حسنًا، اللعنة يا ديكستر".

حدَّقـت سـيدتان عجـوزان كانتـا تجلسـان عـلى منضـدة مجـاورة في وجههـا، لكنهـا لم تُلاحِـظ، أكملـت حديثهـا قائلـةً: "مـا قُلتـه يبـدو منطقيًـا، الأمـر واضـح، وهـي تتجاهلـه، وبعـد ذلـك.. حـدث الأسـوأ".

قُلت: "ما الذي يُمكِن أن يكون أسوأ من التجاهُل؟".

احمـرَّت خجـلًا وهـي تقـول: "أمسـكت باثنـين مرتديـين الزي الرسـمي يضحـكان في وجهـي بعـد ذلـك، هنـاك نكتـة تـدور، وأنـا هـذه النكتـة".

عضَّت شفتها السُّفلى وهي تنظُر بعيدًا قبل أن تقول: "آينشتاين".

"أخشى أنني لا أفهَم ذلك".

قالت بمرارة: "لو كان ثديي عقلًا.. كُنت لأكون آينشتاين".

تظاهـرت بالسُّـعال بـدلًا مـن الضحـك وهـي تُكمِـل: "هـذا مـا تنـشره عنـي، هـذا النـوع مـن الوسـوم الصغـيرة الـذي يلتصِـق بـك، وبعـد ذلـك.. لا تحصـل عـلى أي ترقيـة لأنهـم يعتقـدون أنـه لا أحـد يحترمـك باسـم مُسـتعار مثـل ذلـك، اللعنـة عـلى ذلـك يـا ديكسـتر، هـذا يُدمِّـر حيـاتي المهنيَّـة".

شعرت بارتفاعٍ طفيفٍ في درجة الحرارة وأنا أقول: "إنها حمقاء".

"هـل ينبغـي أن أخبرهـا بذلـك يـا ديكـس؟ هـل هـذا يُعـد أمـرًا سياسـيًّا؟".

وصـل طعامنـا، وضعـت روز الأطبـاق أمامنـا بعُنـفٍ كـما لـو أن قاضيًـا فاسِـدًا قـد حَكَـم عليهـا بتقديـم طعـام الإفطـار لمجموعـة مـن قتلـة

الأطفال، منحتها ابتسامة عملاقة قبل أن تبتعِد، تُتمتِم بشيءٍ ما لنفسها.

أخذت قضمة وأنا أوجِّه أفكاري إلى مُشكلة ديبرا، كان عليّ أن أحاوِل التفكير في الأمر بهذه الطريقة، مُشكلة ديبرا، ليس (جرائِم القتل الرائعة)، ليس (ذلك الجمال الجذَّاب بشكلٍ مُثيرٍ للدهشة)، وليس (الشيء المُشابِه جدًّا لما سأحِب أن أفعله يومًا ما)، عليّ أن أحافِظ على عدم تورُّطي في الأمر، لكن هذا كان يجذبني بشدة، حتى حلم الليلة الماضية، بهوائه البارِد، محض صُدفة بالطبع، لكنها مُقلِقَة على أي حال، لقد لَمَسَ هذا القاتِل قلب ما كان يدور حوله قتلي، بالطريقة التي عَمَل بها بالطبع، وليس في اختياره للضحايا، كان لا بُد من إيقافه دون شك، هؤلاء العاهرات المسكينات.

ولا تزال.. الحاجة للبرودة.. من المُثير للاهتمام اكتشافه في وقتٍ ما، إيجاد مكان لطيف، مكان ضيق..

ضيق؟ من أين أتت هذه الفكرة؟

بشكلٍ طبيعي.. من حلمي، لكن هذه كانت طريقة عقلي للقول بأنني يجب أن أفكِّر في الأمر.. أليس كذلِك؟ وبدت كلمة ضيق صحيحة بشكلٍ ما.

بارد وضيق..

قُلت: "شاحنة مُبردة".

فتحت عينيّ، كانت ديبرا تُصارِع فمًّا مليئًا بالبيض لتتمكَّن من الحديث.

"ماذا؟".

"إنه مُجرَّد تخمين، للأسف.. ليست رؤية حقيقية، لكن ألا يبدو هذا منطقيًّا؟".

سألتني: "كيف يبدو هذا منطقيًّا؟».

نظـرت إلى طبقـي وتجهّمـت، حاولـت تصـوُّر كيـف يبـدو الأمـر منطقيًّـا.

"يُريـد بيئـة بـارِدة، كي يُقلِّـل مـن تدفُّـق الدمـاء، وبفضلهـا يبـدو الأمـر.. نظيفًـا".

"إذا كُنت تقول ذلك".

"أنا أقول ذلك، وعلى المكان أن يكون ضيقًا...".

"لماذا؟ من أين أتت هذه الفكرة بحق الجحيم.. ضيق؟".

اخـترت عـدم سـماع هـذا السـؤال وأنـا أقـول: "إذًا شـاحنة مُـبردة سـتفي بهـذه الـشروط، وهـي مُتحرِّكـة، الأمـر الـذي يجعـل التخلُّـص مـن القمامـة بعـد ذلـك سـهلًا".

أخـذت ديـبرا قضمـة مـن الخُبـز وفكَّـرت لدقيقـةٍ وهـي تمضغهـا، قبـل أن تقـول في النهايـة وهـي تبتلعهـا: "إذًا.. ربمـا يملـك القاتـل تصريـح دخـول لواحـدةٍ مـن هـذه الشـاحنات؟ أو يمتلِـك واحـدة؟".

"ربمـا.. باسـتثناء أن جريمـة قتـل الليلـة الماضيـة كانـت الأولى التـي ظهـرت فيهـا علامـات التبريـد".

عَبَسَت ديبرا وهي تقول: "إذًا خرج واشترى شاحنة؟".

"عـلى الأرجَـح لا، لا يـزال هـذا أمـرًا تجريبيًّـا، ربمـا كان هـذا دافعًـا لتجربـة التبريـد".

أومـأت وهـي تقـول: "ولـن يُحالِفنـا الحـظ أبـدًا للدرجـة التـي سـتجعله يقـود واحـدة مـن أجـل كسـب قـوت يومـه أو شـيئًا مـن هـذا القبيـل، أليـس كذلِـك؟".

أعطيتهـا أكـبر ابتسـاماتي وأنـا أقـول: "يـا ديـب، كـم أنـتِ سريعـة هـذا الصبـاح، لا.. أخـشى أن صديقنـا أذكى مـن أن يـورِّط نفسـه بهـذه

الطريقــة".

رَشَـفَت ديـبرا مـن قهوتهـا قبـل أن تضـع كوبهـا، انحنـت للأمـام وهــي تســأل: "إذًا نحــن نبحَــث عــن شــاحنة مـبردة مسروقــة؟".

قُلــت: "أخــشى ذلــك، لكــن كــم عــدد الشــاحنات المسروقــة خــلال الثمانيــة وأربعــين ســاعة الأخــيرة؟".

قالــت في غضــب: "في ميامــي؟ شــخص مـا ســيسرق واحــدة، وســينتشر الحديــث أن الأمــر يســتحِق، وفجــأة.. كُل عصابــة لعينــة مكوَّنــة مــن شــخصين؛ مُهاجــر غــير شرعــي، مُدمِــن، أو لــص مبتــدئ ســيسرق واحــدة، فقــط لتواكــب الأمــر".

قُلت: "دعينا نأمل أن الحديث لم ينتشر بعد".

ابتلعَــت ديـبرا آخـر قطعـة مـن خبزهـا وهـي تقـول: "سـأتحقَّق مـن الأمـر".

مـدَّت يدهـا عـبر المنضـدة لتضغـط عـلى يـدي، قبـل أن تقـول: "أقـدِّر هــذا حقًّا".

منحتنــي ابتســامة خجولــة مُــتردِّدة دامَــت لثانيتــين وهــي تقــول: "لكننــي قَلِقــة بشــأن كيفيــة توصُّلــك لهــذه الأمــور يــا ديكــس، أنــا فقــط...".

نظــرت للأســفل وهــي تضغــط عــلى يــدي مــرة أخــرى، ضغطــت عــلى يدهــا، وأنــا أقــول: "دعــي القلــق لي، عليــكِ فقــط أن تجــدي تلــك الشــاحنة".

الفصل الثامن

نظريًّا.. فاجتماع الاثنتين وسبعين ساعة الخاص بمترو يُعطي الفُرصة لكُل شخص كي يصل لمكانٍ ما في القضية، لكنه عليه أن يحدُث مبكرًا والجميع يبحثون عن حلول، لذلك.. أقيم صباح يوم الاثنين، في غُرفة اجتماعات بالطابق الثاني، اجتمع فريق مُكافحة الجرائم بالمُحقِّقة لاجويرتا التي لا تُقهَر مرة ثانية لمُدة اثنتين وسبعين ساعة، اجتمعت معهم، رُمِقت ببعض النظرات، وبعض المُلاحظات الجيدة من رجال الشُّرطة الذين يعرفونني، بعض المُجاملات البسيطة، المُبهِجة، وخفيفة الظل مثل: "مرحبًا يا رجل الدماء، أين ممسحتك المطاطية؟".

هؤلاء الرجال هُم ملح الأرض، وقريبًا.. ستُصبح عزيزتي ديبرا واحدةً منهم، شعرت بالفخر والتواضُع لكوني موجودًا معهم في نفس الغُرفة.

لسوء الحظ.. لم يكُن كُل الحضور يشعُر بهذه المشاعِر، قال الرقيب دوكس بفظاظةٍ: "ماذا تفعل هنا بحق اللعنة؟".

كان رجلًا أسود ضخمًا للغاية مشهورًا للغاية بميله للعداء الدائم، يمتاز بالشراسة الباردة وهو أمر كان سيكون مُفيدًا لشخصٍ ما لديه هوايتي، من العار أننا لا يُمكِن أن نكون أصدقاء، لسببٍ ما.. كان يكره كُل تقنيي المُختبر، ولسببٍ إضافي آخر.. كان هذا دائمًا ما يعني ديكستر على وجه الخصوص، كما أنه أيضًا يحمل رقم مترو ديد القياسي في تمرين ضغط البنش، لذلك قدَّر ابتسامتي الباردة.

قُلت له: "أتيت من أجل الاستماع فقط أيها الرقيب".

قال: "لم أتلق أي أمر لبقائك هنا، اخرج من هنا".

قالت لاجويرتا: "يستطيع البقاء أيها الرقيب".

حدَّق دوكس بها وهو يقول: "من أجل أي شيء لعين؟".

قُلت وأنا أتوجَّه نحو الباب دون قناعة حقيقية: "لا أريد أن أجعل أي شخص غير سعيد".

قالت لاجويرتا وهي تمنحني ابتسامة حقيقية: "كُل شيء على ما يُرام تمامًا".

نظرت إلى دوكس وهي تُكرِّر: "بإمكانه البقاء".

تذمَّر دوكس وهو يقول: "يجعلني أشعر بشعورٍ غريبٍ".

بدأت أقدِّر مدى جودة هذا الرجل، بالطبع أجعله يشعر بشعورٍ غريبٍ، كان السؤال الحقيقي الوحيد هو لماذا كان هو الوحيد في غُرفة مليئة برجال الشرطة الذي يمتلك من البصيرة ما يكفي ليشعر بشعورٍ غريبٍ في حضوري.

قالت لاجويرتا بصرامةٍ لطيفةٍ لا تجعل مجالًا للشك في كونها المسؤولة: "لنبدأ".

استرخى دوكس في مقعده وهو يرمقني بنظرةٍ عابسةٍ أخيرةٍ.

كان الجزء الأول من الاجتماع مسألة روتين؛ تقارير، مناورات سياسية، كُل الأشياء الصغيرة التي تجعلنا بشرًا، هؤلاء الذين كانوا بشرًا منا، على أي حال.. أطلَعتْ لاجويرتا الموظَّفين على المعلومات عمَّا يُمكِنهم أو لا يُمكنهم البوح به للصحافة، تضمَّنت الأشياء التي يُمكِن الإفصاح عنها للصحافة صورة جديدة لامِعة للاجويرتا كانت قد أتت بها خصيصًا لهذه المُناسبة، كانت برَّاقة على الرغم من كونها جادة، حادة لكنها رقيقة، بإمكانِك أن تراها تُعِد مُلازمًا في تلك الصورة، لو أن ديبرا فقط تمتلِك هذا النوع من الذكاء في

العلاقـات العامـة.

اسـتغرق الأمـر أكـثر مـن سـاعة لنصـل لجرائـم القتـل الفعليـة، لكن في النهايـة.. طلبـت لاجويرتـا تقديـم تقاريـر عـن التقـدُّم المُحـرَز في العثـور عـلى شـاهدها الغامـض، لم يكُـن لـدى أي شـخص أي شيء ليقدِّمـه لهـا، حاولـت جاهـدًا أن أبـدو متفاجِئًـا.

رمقَـت لاجويرتـا المجموعـة بعبـوسِ صـارمٍ وهـي تقـول: "بحقكـم أيهـا النـاس، يجـب أن يجـد شـخص مـا شـيئًا مـا هنـا".

لكـن شـخصًا لم يفعـل، كانـت هنالـك وقفـة بينـما كان الجميـع مشـغولًا في فحـص أظافِرهـم، الأرض، أو البـلاط اللـيِّن الموجـود في السـقف.

تنحنحت ديبرا وهي تقول: "أنا...".

تنحنحـت مـرة أخـرى وهـي تقـول: "لـديّ.. فكـرة، فكـرة مُختلِفـة، حـول تجربـة شيء مـا في اتجـاه مُختلِـف قليـلًا".

قالتهـا كـما لـو كانـت بـين علامتـي اقتبـاس، وقـد كانـت كذلِـك بالفعـل، لم يسـتطِع كُل تدريبـي الدقيـق أن يجعـل صوتهـا يبـدو طبيعيًـا عندمـا قالـت ذلـك، لكنهـا عـلى الأقـل.. تمسَّـكَت بعنايـةٍ بصيغتـي السياسـية الصحيحـة.

رفعـت لاجويرتـا حاجبًـا مرسـومًا بعنايـة وهـي ترسـم عـلى ملامحهـا تعبـيرًا لتُظهِـر مـدى دهشـتها وسـعادتها وهـي تقـول: "فكـرة؟ حقًّـا؟ مـن فضلـك، بـكُل الطُّـرق المُمكِنـة، شـاركينا بهـا، أيتهـا الضابِطـة آينشـ.. أقصـد.. أيهـا الضابطـة مورجـان".

ضحك دوكس، رجل مُضحِك.

احمـرَّت ديـبرا خجـلًا، وهـي تقـول بـتردُّدٍ: "تـ. تبلـور الخلايـا، في الضحيـة الأخـيرة، أود التحقُّـق لمعرفـة إذا مـا تـمّ الإبـلاغ عـن سرقـة أي

شاحنات مُبردة في الأسبوع الماضي أو ما شابه".

صمت، صمت مطبَق غبي، كقطيع صامت من البقر، لم يفهموا الأمر، الحمقى، ولم تجعلهم ديبرا يدركون مدى حماقتهم، تركت الصمت ينمو، صمت غذَّته لاجويرتا بعبوسٍ فاتنٍ، قبل أن تُرسِل نظرة حائرة حول الغُرفة لترى إذا ما كان أي شخص آخر يُتابِع الأمر، ثم ابتسمت ابتسامة مُهذَّبة إلى ديبرا.

قالت لاجويرتا: "شاحِنة.. مبرِدة؟".

بدت ديبرا في حالة تأثُّر تام، المسكينة، لم تكُن هذه الفتاة تستمتِع بالحديث أمام العامة، قالت: "هذا صحيح".

تركت لاجويرتا الأمر مُعلَّقًا، كانت مُستمتِعة وهي تقول: "إمممم".

أظلم وجه ديبرا، لم تكُن تلك علامة جيدة، تنحنحتُ، وحين لم يُفد ذلك.. سعلت، بصوتٍ عالٍ بما يكفي ليُذكِّرها أن تظل هادئة، نظرت لي، وكذلك فعلت لاجويرتا، قُلت: "آسف، أعتقِد أنني سأصاب بالبرد".

هل يُمكِن لأي شخص حقًّا أن يطلب أخًا أفضل؟

صاحت ديبرا وهي تتمسَّك بحبل نجاتي: "الـ. برد، من المُحتمَل أن تُسبِّب الشاحنة المُبردة هذا النوع من تلف الأنسِجة، وهي مُتحرِّكة، لذلك سيكون من الصعب الإمساك بها، أما التخلُّص من الجُثة فسيكون أسهل كثيراً، لذلك.. إذا سرقها أحدهم، أعني الشاحنة المبردة، فربما يعطينا هذا دليلًا".

حسنًا، كان هذا مُعظَم الأمر، وقد نَجَحَت في نشره هناك، انتشرت نظرة عابِسة أو اثنتان على وجوه تدرس الأمر في الغُرفة، كان بإمكاني سماع صوت التروس وهي تدور.

أومأت لاجويرتا وهي تقول: "هذه فكرة.. مُثيرة للاهتمام للغاية أيتها الضابِطة".

نطقت كلمة الضابِطة بأقل قدر مُمكِن من التأكيد، لتذكيرنا جميعًا بأنها كانت ديمقراطية بالقدر الذي يسمح لأي شخص بالتحدُّث، لكن في الحقيقة.. ابتسمت ابتسامة باردة خجولة وهي تقول: "لكنني ما زلت أعتقِد أن أفضل رهان بالنسبة لنا هو أن نجد الشاهِد، نحن نعرف أنه هناك".

قبل أن تقول لتُثبِت لنا أن بإمكانها أن تبدو حادة: "أو أنها هناك، لكن شخصًا ما رأى شيئًا ما، نعرف هذا بفضل الأدلة، لذا دعونا نركِّز على ذلك، ونترك هذه المحاولة اليائِسة الضعيفة للرجال في بروارد، حسنًا؟".

توقَّفت مؤقتًا، في انتظار ضحكة خافتة لتدور في الغُرفة قبل أن تقول: "لكن أيتها الضابِطة مورجان، سأكون مُمتنةً لمُساعدتك المُستمِرَّة في التحدُّث إلى العاهرات، إنهم يعرفونكِ هناك".

يا إلهي، كانت جيدة، كانت قد مَنَعَت أي شخص من محاولة التفكير حتى في فكرة ديب، ألزَمت ديب حدودها، وقامَت بحشد الفريق خلفها مرة أخرى بالنكتة التي قالتها عن تنافسنا مع مُقاطعة بروارد، كُل هذا ببضع كلمات بسيطة، شعرت برغبةٍ في التصفيق.

باستثناء.. أنني بالطبع كُنت في فريق ديبرا المسكينة، التي دُمِّرَت للتو، فغرت فمها للحظةٍ، قبل أن تُغلِقه، راقبت عقدة عضلات فكّها، وهي تدفع وجهها ليعود ببطءٍ لطبيعته كشُرطية، بطريقتها الخاصة، وبأداءٍ جيدٍ، لكن في الحقيقة.. لم تكُن حتى في نفس مستوى لاجويرتا.

كان باقي الاجتماع هادئًا، لم يكُن هناك حقًّا ما يُمكِن أن يُقال

بعد ما قيل، لذلك.. بعد وقت قليل من قمع لاجويرتا البارِع، انتهى الاجتماع، وعدنا للرواق مرة أخرى.

تمتمت ديبرا بصوتٍ خافتٍ: "اللعنة عليها، اللعنة، اللعنة، اللعنة عليها!".

وافقتها قائلًا: "بالتأكيد".

حدَّقت في وجهي وهي تقول: "شكرًا يا أخي، قدمت لي ما يكفي من المُساعدة".

رفعت حاجبيّ في مواجهتها وأنا أقول: "لكننا اتفقنا أنني سأبقى خارج الموضوع، كي تحصلي على الفضل بأكمله".

نخرت وهي تقول: "الفضل! لقد جعلتني أبدو وكأنني مُغفّلة".

"مع كامل احترامي يا شقيقتي العزيزة.. أنتِ قابلتها في مُنتصف الطريق".

نظرت إليّ ديبرا قبل أن تنظُر بعيدًا، وهي تلوِّح بيديها في اشمئزازٍ وهي تقول: "ماذا كان من المُفترَض أن أقول؟ أنا حتى لست جزءًا من الفريق، أنا هنا فقط لأن النقيب طلب منهم إشراكي في الأمر".

قُلت: "ولم يقُل أن عليهم أن يستمِعوا إليكِ".

قالت بمرارة: "لم يفعلوا، ولن يفعلوا".

"وبدلًا من أن يدفعني هذا إلى وحدة جرائم القتل، سيقتل مسيرتي المهنية، سأموت وأنا مُفتّشة وقوف سيارات يا ديكستر".

قُلت: "هناك مخرَج يا ديب".

وكانت النظرة التي رمقتني بها تقول أن أملها كان قد قلَّ بمقدار الثلث، وهي تقول: "ماذا؟".

ابتسمت نحوها أكثر ابتساماتي المُريحة، المُتحديّة، وأنا أقول: "اعثري على الشاحِنة".

مـرَّت ثلاثـة أيـام قبـل أن أسـمَع مـن شـقيقتي العزيـزة بالتبنـي مـرة أخـرى، وهـي فـترة طويلـة لتمُـر دون أن تتحـدَّث معـي، أتـت إلى مكتبـي بعـد الغـداء مُبـاشرةً يـوم الخميـس، بـدت حزينـة وهـي تقـول: "وجدتهـا".

ولم أفهم ما تعنيه.

سألتها: "ماذا وجدت يا ديب؟ ينبوع الغضب؟".

قالت: "الشاحنة، الشاحنة المبردة".

قُلـت: "لكـن هـذه أخبـارًا رائعـة، لمـاذا تبديـن وكأنـكِ تبحثـين عـن شـخص مـا لصفعـه؟".

قالت: "لأنني كذلِك".

ألقـت بأربـع أو خمـس صفحـات مُدبَّسـة عـلى مكتبـي، وهـي تقـول: "انظـر إلى هـذا".

تناولتها وأنا أنظر للورقة العلوية وأقول: "أوه، كم عددها؟".

قالـت: "ثلاثـة وعـشرون، في الشـهر المـاضي تـم الإبـلاغ عـن سرقـة ثلاثـة وعشريـن شـاحِنة مـبردة، يقـول رجـال المـرور أن مُعظمهـم انتهـى بـه الأمـر في القنـاة، محروقًـا مـن أجـل الحصـول عـلى أمـوال التأمـين، لا يوجـد أي شـخص مُهتَـم حقًّـا بالعثـور عليهـا، لذلـك لـن يقـوم أي شـخص بذلـك".

قُلت: "مرحبًا بكِ في ميامي".

تنهَّـدت ديـبرا وهـي تأخـذ القائمـة منـي، اسـترخَت في كرسـيها وكأنهـا فقـدت لتوهـا كُل عظامهـا، قالـت: "مُسـتحيل أن أسـتطيع التحقُّـق منهـا جميعًـا، ليـس بمُفـردي، سيسـتغرِق الأمـر شـهورًا، اللعنـة يـا ديكـس، والآن.. مـاذا سـنفعل؟".

هــزت رأسي وأنــا أقــول: "أنــا آســف يــا ديــب، لكــن الآن.. علينــا

الانتظـار فحسـب".

"هذا كُل ما في الأمر؟ الانتظار؟".

قُلت: "هذا كُل ما في الأمر".

وقـد كان، لمُـدة أسبوعين، كان هـذا كُل مـا في الأمـر، انتظرنـا، وبعـد ذلـك..

الفصل التاسع

استيقظت مُغطى بالعرق، لست متأكدًا من مكان تواجدي، لكنني كُنت مُتأكِّدًا أن جريمة أخرى على وشك أن تحدُث، في مكانٍ ما ليس ببعيدٍ كان يبحث عن ضحيته التالية، ينزلِق عبر المدينة مثل قرش وسط الشِّعاب المرجانية، كُنت على يقينٍ أنني على وشك سماع صوت خرخرة الشريط اللاصِق، كان هناك، يُطعِم راكِبه المُظلِم، الذي كان يتحدَّث مع راكبي المُظلِم، وفي نومي.. كُنت أركَب معه، قرش رامورة شبحي في دوائره البطيئة الكبيرة.

جلست في فراشي الصغير وأبعدت الملاءات الملتويّة، الساعة الموجودة بجوار الفراش أخبرتني أن الساعة كانت ٣:٤١، بعد أربع ساعات فقط منذ دخولي للفراش، شعرت وكأنني كُنت أركُض في الغابة طوال الوقت مع بيانو على ظهري، كُنت مُتعرِّقًا، مُتصلِّبًا، وغبيًّا، غير قادِر على تكوين أي أفكار على الإطلاق تتجاوَز اليقين أن هذا كان يحدُث بالخارِج بدوني.

كان النوم قد بات مُستحيلًا في تلك الليلة بلا شك، أشعلت الضوء، كانت يداي مُتعرِّقتين وترتجفان، مسحتهما في الملاءة، لكن هذا لم يُساعد، كانت الملاءة مُبتلَّة تمامًا، ترنَّحت نحو الحمَّام كي أغسل يديّ، وضعتهما تحت الماء الجاري، أطلَق الصنبور دفقة من الماء الدافئ، بدرجة حرارة الغُرفة، وللحظةٍ.. كُنت أغسِل يديّ بالدم، تحوَّل لون الماء للأحمر، لثانية واحدة فقط.. وفي ضوء الحمَّام الخافِت، امتلأ الحوض بالدماء.

أغلقت عينيّ.

تحوَّل العالم.

كُنت قد قصدت التخلُّص من هذه الحيلة التي سبَّبها الضوء وعقلي نصف النائم، أغلق العينين، ومن ثمَّ أفتحهما، سينتهي الوهم وببساطة.. ستكون المياه الموجودة في الحوض نظيفة، لكن بدلًا من ذلك.. كان الأمر أشبه بأن إغلاق عينيّ فَتَح زوجًا من العيون على عالمٍ آخر.

عُدت إلى حلمي، أطفو كنصل سكين فوق أضواء جادة بيسكاين، يطير بحدةٍ، وقسوة متوجّهًا إلى هدفي، و...

فتحت عينيّ مرة أخرى، كان الماء مُجرَّد ماء، لكن ماذا كُنت أنا؟

هززت رأسي بعُنفٍ، بهدوء أيها الولد الكبير، ليس ديكستر الفاقِد للسيطرة على نفسه، أرجوك، أخذت نفسًا عميقًا ونظرت إلى نفسي، بدوت في المرآة بالطريقة التي من المُفترض أن أبدو بها، الملامح الهادئة للغاية؛ عينان زرقاوان هادئتان وساخرتان، تقليد مثالي لحياة البشر، باستثناء أن شعري كان منتصِبًا للأعلى مثل شعر ستان لوريل، لم تكُن هناك أي علامة على ما مرَّ سريعًا للتو عبر عقلي نصف النائم وأخرجني من سُباتي.

أغمضت عينيّ مرة أخرى بحرصٍ، ظلام.

ظلام عادي، بسيط، دون طيران، دون دماء، دون أضواء المدينة، ديكستر القديم الجيد فقط، بعينين مُغلقتين أمام المرآة، فتحتهما مرة أخرى، مرحبًا أيها الولد العزيز، من الجيد للغاية أنك عُدت، لكن أين كُنت بحق السماء؟

كان هذا -بالطبع- هو السؤال، لقد أمضيت مُعظم حياتي دون أن أنزعِج من الأحلام أو الهلوسة، دون رؤى لنهاية العالم بالنسبة لي، دون أيقونات مُزعِجة لكارل يونج تنطلِق من عقلي الباطِن، دون صور مُتكرِّرة غامِضة تنجرِف عبر اللا وعي الخاص بي، دون أي

صـدام مـع ليلـة ديكسـتر، عندمـا أذهَـب للنـوم، ينـام كُل شيء فيّ.

إذن.. ما الذي حَدَث للتو؟ لماذا بدأت هذه الصور في الظهور لي؟

رشـشـت وجهـي بالمـاء ودفعـت شـعري إلى الأسـفل، بالطبـع هـذا لم يُجِـب عـلى السـؤال، لكنـه جعلنـي أشـعر بقليـلٍ مـن التحسُّـن، مـا مـدى سـوء الأمـور إذا مـا كان شـعري أنيقًـا؟

في الحقيقـة.. لم أكُـن أعلـم، يُمكِـن أن تسـوء الأمـور للغايـة، مـن المُمكِـن أن أفقِـد كُل.. أو العديـد مـن أفـكاري، مـاذا لـو كُنـت أنزلِـق في الجنـون قطعـة في كُل مـرة لسـنواتٍ، وكان هـذا القاتـل الجديـد قـد تسـبَّب ببسـاطةٍ في سـقوطي النهـائي في جنـونٍ مُطبَـق؟ كيـف لي أن آمـل في الاتـزان العقـلي لشـخصٍ مثـلي؟

بـدت الصـور وكأنهـا حقيقيـة للغايـة، لكنهـم لا يُمكِـن أن يكونـوا كذلِـك، كُنـت هنـا في فـراشي، ورغـم ذلـك.. كـدت أكـون قـادرًا عـلى شـم رائحـة المـاء المالِـح، العـادِم، والعطـور الرخيصـة فـوق جـادة بيسـكاين، كان الأمـر حقيقيًّـا تمامًـا، لكـن أوليسـت تلـك واحـدة مـن علامـات الجنـون، أن الأوهـام لا يُمكِـن تمييزهـا عـن الواقِـع؟ ليـس لـديّ إجابـة، ومـن المُسـتحيل أن أجـد أيًّـا منهـا، التحـدُّث لطبيـبٍ نفـسي لم يكُـن أمـرًا مطروحًـا بالطبـع، سـأخيف المسـكين حتـى المـوت، وقـد يشـعُر بالفخـر بعـد أن يجعلنـي محبوسًـا في مـكانٍ مـا.

بالتأكيـد لم أسـتطِع أن أجـادِل حكمـة هـذه الفكـرة، لكـن إذا كُنـت عـلى وشـك أن أفقِـد سـيطرتي عـلى سـلامة عقـلي كـما بنيتـه، فهـذه مُشـكلتي تمامًـا، والجـزء الأول مـن المُشـكلة كان أنـه لا توجـد طريقـة للتأكُّـد مـن ذلـك.

على الرغم من ذلك.. حين تُفكِّر في الأمر، فهناك طريقة واحدة.

بعـد عـشر دقائِـق كُنـت أقـود سيارتي بجـوار ديـنر كي، قُـدت ببـطءٍ، بمـا أننـي لم أكُـن أعـرِف في الواقـع مـا الـذي أبحـث عنـه، كان هـذا الجُـزء

من المدينة قد نام، بقدر ما نام في أي وقت مضى، لا يزال عدد قليل من الناس يتجوَّلون في المناطِق السياحية ذات المناظر الطبيعية الرائعة لميامي؛ السياح الذين تناولوا الكثير من القهوة الكوبية ولم يستطيعوا النوم، أشخاص من ولاية أيوا يبحثون عن محطة وقود، أجانب يبحثون عن ساوث بيتش، والمُجرمون بالطبع، البلطجية، اللصوص، المُدمنون، مصاصو الدماء، الغيلان، والوحوش المُختلِفة.. مثلي، لكن في هذا المكان.. وفي هذا الوقت.. هناك قلة قليلة منهم، كانت هذه هي ميامي المهجورة، التي أصبحت مهجورة، مكان جعله شبح حشد النهار وحيدًا، كانت مدينة حوَّلت نفسها لأرض صيد، دون التنكُّر الصارخ لأشعة الشمس والقُمصان الزاهية.

لذا بدأت بالصيد، تتبعتني عيون الليل الأخرى وطردتني عندما مررت بها دون أن أبطئ، قدت سيارتي شمالًا، فوق الجسر المُتحرِّك القديم، وسط مدينة ميامي، ما زلت غير مُتأكِّد مما أبحث عنه وما زلت لا أراه، ورغم ذلك.. لسببٍ ما غير مُريح، كُنت مُتأكِّدًا تمامًا من أنني سأجده، وأنني أسير في الاتجاه الصحيح، أنه ينتظرني هناك.

بعد أومني انتعشَت الحياة الليلية، المزيد من النشاط، المزيد من الأمور لرؤيتها، نداءات من على الرصيف، موسيقى رخيصة تأتي وتذهَب عبر نوافِذ السيارات، خرجت فتيات الليل للخارِج في أسراب، في أركان الشوارع، يضحكن معًا، أو يحدِّقن بغباءٍ في السيارات المارَّة، تباطأت بعض السيارات لتحدِّق فيهن، يحدقون ببله في الأزياء وفيما تركوه مكشوفًا، أمامي.. على بُعد مبنيين توقَّف الطريق، وخرجت مجموعة من الفتيات من الظلال، من على الرصيف، انطلاقًا إلى الشارع، أحطن بالسيارة على الفور، تعثَّرت حركة المرور، انفجرت الأبواق، وجلس مُعظَم السائقين لدقيقةٍ، كانوا

راضين بالمُشاهدة، لكن شاحنة نفد صبرها التفَّت حول مجموعة من السيارات، ودلفت إلى الحارة المُقابلة.

شاحنة مبردة.

قُلت لنفسي: هذا لا يعني شيئًا، ربما توصيل شُحنة من الزبادي ليلًا، نقانق لحم الخنزير من أجل الإفطار، لضمان أن تكون طازِجة، اتجهت الشاحِنة المُحمَّلة شمالًا نحو المطار، كانت الشاحنات المبردة تتحرَّك عبر ميامي على مدار الساعة، حتى الآن.. حتى في ساعات الليل.. هذا كُل شيء ولا شيء آخر.

لكنني وضعت قدمي على دواسة الوقود على أي حال، تحرَّكت للأمام، خارِج الازدحام المروري، عبرت ثلاث سيارات كانت متوقِّفة في الطريق بسائقيهم المحاصرين، توقَّفت الحركة المرورية، نظرت إلى الأمام، نحو الشاحنة، كانت تسير بشكلٍ مُستقيمٍ في بيسكاين، تعبر مجموعة من إشارات المرور، سأفقِده إن تأخَّرت أكثر من ذلك، وفجأة.. أردت بشدةٍ ألا أفقِده.

انتظرت وجود فجوة في الازدحام المروري لأعبرها سريعًا نحو الحارة المُقابِلة، دُرت حول الطريق قبل أن أزيد من سُرعتي، اقتربت من الشاحنة، حاولت عدم التحرُّك بسُرعةٍ كبيرةٍ، حاولت ألا أبدو واضحًا، لكنني بدأت بتقليل المسافة بيننا ببطءٍ، كان يسبقني بثلاث إشارات مرورية، ثم اثنتين.

ثم تحوَّل ضوؤه للون الأحمر، وقبل أن أشعر بالسعادة وألحق به، تحوَّل ضوئي أيضًا، توقَّفت، أدركت بقليلٍ من الدهشة أنني أمضغ شفتي، كُنت متوتِّرًا؛ أنا، ديكستر مكعَّب الثلج، كُنت أشعر بقلقٍ بشري، يأس، وضيق عاطفي حقيقي، أردت أن ألحَق بالشاحنة وأرى بنفسي، كيف أردت أن أضع يديّ على الشاحنة، أفتح باب الكابينة، أنظر بداخلها..

وماذا بعد؟ سأعتقله بمُفردي؟ سآخذه من يده للمُحقِّقة العزيزة لاجويرتا؟ هل رأيتِ ما أمسكت به؟ هل يُمكنني الاحتفاظ به؟ على الأرجَح هو من سيحتفِظ بي، كان في وضع الصيد الكامل، بينما أنا ألحق به من الخلف مثل أخ صغير غير مرغوب فيه فقط، ولماذا كُنت ألحَق به؟ هل أردت فقط أن أثبِت لنفسي أنه هو، المقصود، أنه بالخارِج يتجوَّل وأنني لم أكُن مجنونًا؟ وإن لم أكُن مجنونًا.. فكيف عَرِفت؟ ما الذي يحدُث في عقلي؟ ربما كان الجنون حلًّا أكثر سعادة بعد كُل شيء.

اندفَع رجل عجوز أمام سيارتي، عبر الشارِع ببطءٍ لا يُصدَّق وبخطواتٍ مؤلِمةٍ، راقبته لدقيقةٍ، تعجَّبت كيف ستكون الحياة حينما أتحرَّك بهذا البطء، قبل أن أنظر نحو الشاحِنة المبردة.

تحوَّل ضوؤه للون الأخضر، لكن ضوئي لم يفعَل.

زادت سُرعة الشاحنة، تحرَّكت شمالًا نحو الطرف العلوي بسُرعتها القصوى، أصبحت المصابيح الخلفية أصغر بينما كُنت أراقِبه، أنتظِر لون ضوئي ليتغيَّر.

وهو الأمر الذي لم يفعله، عضضت على أسناني، برفقٍ يا ديكس! عبرت الضوء، تفاديت الرجل العجوز بالكاد، لم ينظُر للأعلى أو يخطو خطوة.

كان الحد الأقصى للسرعة على امتداد جادة بيسكاين هو خمسة وثلاثين، في ميامي.. هذا يعني أنه في حال لم تتجاوز الخمسين.. سيخرجونك عن الطريق، زدت سُرعتي إلى خمسة وستين، تحرَّكت عبر الزحام الخفيف، أتوق لتقليل المسافة، خفتت أضواء الشاحِنة وهو يدور عبر منحنى.. أم تراه استدار؟ زدت سرعتي إلى خمسة وسبعين، تجاوزت مُنعطف جسر الطريق رقم ٩٧، عبرت المُنعطف الموجود بجوار بابليكس ماركت، قبل أن أسير في طريق مُستقيم،

أبحـث بقلـقٍ عـن الشـاحنة.

ورأيتها، هناك.. أمامي.. تتحرّك نحوي.

انقلَـب الوغـد علـيّ، هـل شـعر بي وأنـا أتعقَّبـه؟ هـل شـمَّ رائحـة عادمـي وهـي تطير نحـوه؟ لا يهـم.. إنـه هـو، نفـس الشـاحنة بـلا شـك، وبينـما كُنـت أطـارده تحـوَّل نحـو طريـق الجـسر.

دخلـت إلى موقـف سـيارات المركـز التجـاري وأبطـأت، أدرت السـيارة وانطلقـت خروجًـا مـن جـادة بيسـكاين، اتجـه جنوبًـا الآن، بعـد أقـل مــن مبنــى اســتدرت نحــو الجــسر أيضًــا، بعيــدًا.. بعيــدًا في الأمــام، بالقُـرب مـن الجـسر الأول، رأيـت الضـوء الأحمـر الصغير، يغمـز، يسـخر منـي، دعسـت دواسـة الوقـود بقدمـي وانطلقـت للأمـام.

كان الآن عـلى المُنحـدر العلـوي للجـسر، يزيـد مـن سرعتـه، ليُحافِـظ عـلى المسـافة ثابِتـة بيننـا، الـذي لا بـد أن يعنـي أنـه يعـرف، أنـه يُـدرِك أن شـخصًا مـا يتبعـه، دفعـت سـيارتي أكـثر قليـلًا، اقتربـت، شـيئًا فشـيئًا، بمسـافاتٍ قصـيرةٍ.

وبعـد ذلـك.. اختفـى، فـوق الحدبـة الموجـودة في أعلى الجـسر، هبوطًا نحـو الجانـب البعيـد، مُتجهًـا بسرعـةٍ كبيرةٍ جـدًّا نحـو قريـة نـورث باي، كانـت منطقـة مُشـدَّدة الحراسـة، لـو زاد مـن سرعتـه فسـيتم مُلاحظتـه وإيقافـه، ثم..

كُنت في أعلى الجسر، فوق الحدبة الآن، وتحتي..

لا شيء، طريق فارِغ.

أبطـأت، بحثـت في جميـع الاتجاهـات مـن أعـلى نقطـة فـوق الجـسر، تحرَّكـت سـيارة نحـوي، لم تكُـن الشـاحنة، مُجـرَّد سـيارة ميركـوري ماركيز بحاجـزٍ مُحطَّـمٍ، حدَّقـت للأسـفل نحـو الجانـب الآخـر مـن الجـسر.

في الجـزء السـفلي مـن الجـسر، قسـم الجـسر قريـة نـورث بـاي إلى

منطقتين سكنيتين، خلف محطة الوقود ناحية اليسار، هناك صف من الشُّقق والوحدات السكنية يُمثِّل دائرة صغيرة، أما ناحية اليمين فبيوت صغيرة لكن باهِظة الثمن، لا يتحرَّك أي شيء في كلا الجانبين، لا توجد أي أضواء ظاهرة، لا علامة على وجود أي شيء، سواء سيارات أو حياة.

تحرَّكت ببطءٍ عبر القرية، فارغة، كان قد اختفى، في جزيرة بها شارع واحد فقط، أضاعني، لكن كيف؟

عُدت إلى الخلف، انطلقت في حارة الطوارئ على جانب الطريق وأغلقت عينيّ، لم أعرف لماذا، ربما كُنت آمل أن أرى شيئًا ما مرة أخرى، لكنني لم أفعل، ظلام فقط، وأضواء ساطعة صغيرة تتراقَص داخل جفني، كُنت مُتعبًا، شعرت بالغباء، أجل، أنا: ديكستر الطائش، يحاول أن يكون الولد المعجزة، مُستخدمًا قواي النفسية العظيمة لأتعقَّب العبقري الشرير، أطارده في سيارتي السريعة مُحاربة الجريمة، وفي أغلَب الظن.. كان مُجرَّد صبي توصيل مُتحمِّس يلعب ألعابًا نفسية مع السائق الآخر الوحيد الموجود على الطريق في هذه الليلة، شيء خاص بميامي يحدُث كُل يوم مع كُل سائق في مدينتنا الجميلة، طاردني، لن تستطيع أن تُمسِك بي، إصبع مرفوع، وتلويح على شكل مُسدَّس، همهمات، ثم عودة للعمل.

مُجرَّد شاحنة مُبردة، لا شيء أكثر من ذلك، تُسرِع الآن بعيدًا عبر ميامي بيتش مع صوت موسيقى هيفي ميتال تمزِّق الصمت عبر مُكبِّر صوت الراديو، وليس قاتلي، ليس هناك أي رابط غامض يسحبني من السرير عبر المدينة في جوف الليل، لأن هذه كانت مُجرَّد كلمات سخيفة للغاية، وسخيفة جدًّا بالنسبة لديكستر صاحب القلب الفارغ.

تركت رأسي يسقُط على عجلة القيادة، كم هو رائع أن يكون

لديك مثل هذه التجربة الإنسانية الأصيلة، الآن عَرِفت كيف كان الشعور بأنني أحمق تمامًا، كان بإمكاني سماع الجرس على الجسر المُتحرّك من مسافةٍ قريبةٍ، يدق مُحذرًا أن الجسر على وشك الصعود، دينج دينج دينج، جرس إنذار لعقلي مُنتهي الصلاحية، تثاءبت، حان وقت العودة للمنزل، العودة للفراش.

سمعت صوتًا يدور من خلفي، نظرت للخلف.

من خلف محطة الوقود الموجودة في نهاية الجسر خرج سريعًا في دائرة ضيقة، اجتازني وهو يحتك بالأرض كما لو كان قد فقد عجلاته الخلفية، زاد من سُرعته، وعبر الحركة غير الواضحة رأيت خارج نافذة السائق شكلًا يدور في اتجاهي، جامحًا وقاسيًا، انحنيت، ارتطم شيء ما بجانب سيارتي، تاركًا من خلفه صوت انبعاج باهظ الثمن، انتظرت للحظةٍ، فقط كي أكون بأمان، ثم رفعت رأسي ونظرت، كانت الشاحنة تُسرِع مُبتعدة، تحطّم حاجز الجسر المُتحرّك الخشبي وتمر عبره، قفزت عبر الجسر الذي بدأ في الارتفاع، وطارت نحو الناحية الأخرى بسهولةٍ، الأمر الذي جعل عامل الجسر ينحني وهو يصرخ، ثم ذهبت الشاحنة، أسفل الجانب الآخر من الجسر، عائدة نحو ميامي، بعيدًا في الجانِب الآخر عبر الفجوة المُتسِعة والجسر المُرتفِع، ذهب، ذهب بلا أمل، ذهب كأن لم يكُن، ولن أعرف أبدًا إذا ما كان هو القاتِل أم أنه مُغفّل عادي آخر من مُغفّلي ميامي.

خرجت من سيارتي لألقي نظرة على الانبعاج، كان كبيرًا، نظرت حولي لأري ما ألقى به.

كان قد تدحرج على بُعد عشرة أو خمسة عشر قدمًا قبل أن يتهادى إلى مُنتصف الطريق، حتى من هذه المسافة.. لم يُمكنني أن أخطئها، لكن فقط لأتأكّد أنني على يقينٍ تام دون أدنى شك، أضواء

سـيارة أماميـة قادمـة أنارتهـا، انحرفـت السـيارة واصطدمـت بالسـياج، وفـوق صـوت بوقهـا الـذي لم يتوقُّـف، كان بإمـكاني أن أسـمع صراخ السـائق، مشـيت نحـو ذلـك الـشيء لأتأكّـد.

نعم، هذا بالفعل ما كان عليه الأمر، رأس امرأة.

انحنيت لألقي نظرة، كان جرحًا نظيفًا للغاية، عمل رائِع جدًّا.

لم تكُـن هنـاك أي دمـاء تقريبًـا عـلى حافـة الجـرح، قُلـت: ”حمـدًا للـه“.

قبل أن أدرِك أنني كُنت أبتسِم، ولماذا لا أفعل؟

أوليس هذا لطيفًا؟ لم أكُن مجنونًا بعد كُل شيء.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل العاشر

بعد الثامنة صباحًا بقليل، اقتربَت مني لاجويرتا حيث كُنت جالسًا فوق صندوق سيارتي، وضعت مؤخرتها المثالية على السيارة وانزلقت حتى تلامس فخذانا، انتظرتها لتقول شيئًا ما، لكنها لم تبدُ وكأنها تمتلك أي كلمات خاصة بهذه المُناسبة، وكذلك كُنت أنا، لذلك جلست هناك لعدة دقائق وأنا أنظُر نحو الجسر، أشعر بحرارة ساقها على ساقي وأتساءل أين ذهب صديقي الخجول بشاحنته، لكنني أفقت من حلمي الهادئ حين شعرت بضغطة على فخذي.

نظرت إلى ساق سروالي، كانت لاجويرتا تعجن فخذي كما لو كان قطعة من العجين، نظرت إلى وجهها، بادلتني النظر، قالت: "وجدوا الجُثة، كما تعرف.. بقية الجسد الذي يتماشى مع الرأس».

وقفت وأنا أسألها: "أين؟".

نظرت لي بالطريقة التي ينظُر بها الشُّرطي إلى شخص ما وجد رأسًا بلا جُثة في الشارِع، لكنها أجابت قائلة: "مكتب مركز المستودعات".

سألتها وأنا أشعر بقشعريرة باردة تجتاح جسدي: "في المكان الذي يلعب فيه فريق الفهود؟ في الثلج؟".

أومأت لاجويرتا وهي لا تزال تُراقبني قائلةً: "فريق الهوكي، هل اسمه فريق الفهود؟".

قُلت دون أن أستطيع تمالُك نفسي: "أعتقِد أن هذا ما يُطلَق عليهم».

زمَّت شفتيها وهي تقول: "وجدوها محشورة في شبكة المرمى".

سألتها: "شبكة مرمى الزوَّار أم أصحاب الأرض؟".

قالت بدهشة: "هل يصنع هذا فارقًا؟".

هززت رأسي وأنا أقول: "مُجرَّد مزحة أيتها المُحقِّقة".

قالـت وعيناهـا تبتعـدان عنـي لتتجهـا نحـو الحشـد وهـي تقـول: "لأنـه ليـس بإمـكاني معرفـة الفـارِق، يجـب أن أجـد شـخصًا مـا هنـاك يعـرف عـن الهـوكي".

قبـل أن تُضيـف وهـي تنظُـر نحـو شـخص مـا يحمـل قُـرص هـوكي: "سـعيدة أن بإمكانـك المـزاح حـول الأمـر".

تجهَّمت وهي تحاول التذكُّر: "ما هي.. السامبولي؟".

"ماذا؟".

رفعـت كتفيهـا وهـي تقـول: "نـوع مـن الآلات، يسـتخدمونه لكسـح الجليـد».

"زامبوني؟".

"أيًّـا كان، الرجـل الـذي يقودهـا، كان يكسـح الجليـد اسـتعدادًا لتدريـب هـذا الصبـاح، اثنـان مـن اللاعبـين، يبـدو أنهـما يُحبـان الحضور مُبكِّـرًا؟ ويحبـان الثلـج طازجًـا، لذلـك قـام هـذا الشـخص، سـائق الـ..".

تـردَّدت قليـلًا قبـل أن تُكمِـل: "سـائِق السـامبولي؟ يحـضر مُبكِّـرًا في أيـام التدريـب، وبينـما يقـود هـذا الـشيء عـلى الجليـد؟ رأى هـذه الحـزم مُكدَّسـة، في الأسـفل هنـاك داخـل شـبكة المرمـى؟ هبـط مـن مركبتـه ليُلقـي نظـرة".

هـزَّت كتفيهـا وهـي تقـول: "دوكـس هنـاك الآن، يقـول أنهـم ليـس بإمكانهـم أن يجعلـوا الرجـل يهـدأ بمـا فيـه الكفايـة ليُخبرنـا بالمزيـد".

قُلت: "أعرِف القليل عن الهوكي".

نظـرت إليّ مـرة أخـرى بعينـين ثقيلتـين وهـي تقـول: "لا أعلـم عنـك الكثـير يـا ديكسـتر، هـل تلعـب الهـوكي؟".

قُلـت بتواضـع: "لا، لم ألعبـه قـط، ذهبـت إلى قليـلٍ مـن المُباريـات فحسـب".

لم تقُل أي شيء، اضطـررت لعـض شـفتي لأخفـي توتُّـري، في الحقيقـة.. كان لـدى ريتـا تذاكـر موسـمية لمُباريـات فهـود فلوريـدا، ولدهشـتي الشـديدة اكتشـفت أننـي أحـب الهـوكي، لم تكُـن الفـوضى القاتلـة والحـماس المسـعور هـي الأمـور التـي اسـتمتعت بهـا، كان هنـاك شيء مـا في الجلـوس في الصالـة الضخمـة الرائعـة، شيء وجدتـه مريحًـا، وكان مـن دواعـي سروري الذهـاب إلى هنـاك لمُشـاهدة الجولـف، في الواقـع.. كُنـت سـأقول أي شيء لأجعـل لاجويرتـا تأخـذني إلى حلبـة التزلُّـج، أردت الذهـاب للحلبـة بشـدة، أردت أن أرى هـذه الجُثـة مُكدَّسـة في الشـبكة عـلى الجليـد أكـثر مـن أي شيء آخـر يُمكننـي التفكـير فيـه، أردت أن أفـض التغليـف الأنيـق وأرى اللحـم الجـاف النظيـف، كُنـت أرغَـب في رؤيتـه بشـدة لدرجـة أننـي شـعرت وكأننـي رسـم كارتـوني لكلـب يتـوق للذهـاب إلى هنـاك، أردت أن أكـون هنـاك معهـا لدرجـة أننـي شـعرت باغـترار النفـس والرغبـة في تملُّـك الجسـد.

في النهاية قالت لاجويرتا: "حسنًا".

كُنـت عـلى وشـك الانسـلاخ عـن جلـدي، ابتسـمت نحـوي ابتسـامة صغـيرة غريبـة، كان جـزء منهـا رسـميًا، لكـن مـاذا كان الجـزء الآخـر؟ شيء آخـر تمامًـا، شيء بـشري، للأسـف.. كان هـذا يفـوق مسـتوى فهمـي، أكملـت حديثهـا قائلـة: "امنحنـا فرصـة للحديـث".

قُلت بطريقةٍ ساحرةٍ: "سأحب هذا كثيراً".

لم تـرد لاجويرتـا، ربمـا لم تسـمعني، لكـن هـذا لم يكُـن مُهـمًّا، كانـت تتخطـى تمامًـا أي شـعور بالسُّـخرية حينـما يتعلَّـق الأمـر بصورتهـا

الذاتيـة، يُمكِنـك أن تثنـي عليهـا بأبشـع إطـراء في العـالم وسـتتقبله عـلى النحـو الـذي تسـتحقّه، لا أسـتمتع حقًّـا بمُغازلتهـا، لا يوجـد مـرح حيـث لا يوجـد تحـدٍ، لكننـي لم أكُـن أعـرِف مـاذا أيضًـا يُمكننـي أن أقـول، مـا الـذي تخيَّلـت أننـا سـنتحدَّث بشـأنه؟ لقـد اسـتجوبتني بالفعـل بـلا رحمـة عندمـا وصلَـت إلى مـسرح الجريمـة لأول مـرة.

وقفنـا بجانـب سـيارتي المسـكينة المُنبعِجـة وشـاهدنا شروق الشـمس، كانـت قـد نظـرت نحـو الجـسر وسـألتني سـبع مـرات إذا مـا كُنـت قـد رأيـت سـائق الشـاحنة، لـكُل مـرة منهـم تأثـير مُختلِـف، عبسـت بـين الأسـئلة، كانـت قـد سـألتني خمـس مـرات إذا مـا كُنـت مُتأكِّـدًا مـن أنهـا شـاحنة مـبردة، أنـا متأكِّـد مـن أن هـذا كان دقيقًـا مـن جانبهـا، أرادت أن تسـأل عـن ذلـك أكـثر قليـلًا، لكنهـا تراجعـت خشـية أن تبـدو واضحـةً، حتـى أنهـا نسـيت نفسـها مـرة وسـألت بالإسـبانية، أجبتهـا بالإسـبانية أننـي كُنـت مُتأكِّـدًا، نظـرت إليّ ولمسـت ذراعـي، لكنهـا لم تسـأل مـرة أخـرى.

ونظـرت إلى مُنحـدر الجـسر ثـلاث مـرات، هـزَّت رأسـها وقالـت بصـوتٍ خافـتٍ وهـي تبصـق: "كلبـة".

مـن الواضِـح أن تلـك كانـت إشـارة للضابِطة الكلبـة، شـقيقتي العزيزة ديـبرا، نحـن في مواجهـة شـاحنة مـبردة حقيقيـة كـما توقَّعـت ديـبرا، كان مـن الـضروري القيـام بقـدرٍ مُعـينٍ مـن التفكـير، ونظـرًا للطريقـة التـي كانـت لاجويرتـا تعـض شـفتها السُّـفلى بهـا فإنهـا كانـت تعمـل بجـد لحـل المُشـكِلة، كُنـت متأكِّـدًا تمامًـا مـن أنهـا سـتأتي بـشيءٍ مـا غـير مُريـح لديـب -كان هـذا شـيئًا تُجيـد فعلـه- لكـن في الوقـت الحـالي.. كُنـت آمـل في ارتفـاع متواضـع في أسـهم شـقيقتي، ليـس مـع لاجويرتـا بالطبـع، لكـن يُمكِـن للمـرء أن يأمـل في أن يلاحِـظ الآخـرون أن الجـزء العظيـم مـن محاولـة عمـل الشُّرطـة كان قـد انتهـى.

مـن الغريـب.. أن لاجويرتـا لم تسـألني عـمّا كُنـت أفعلـه بالقيـادة في مثـل تلـك السـاعة، بالطبـع أنـا لسـت مُحقِّقًـا، لكنـه بـدا أنـه سـؤال واضـح إلى حـدٍّ مـا، ربمـا سـيكون مـن القـاسي قـول أن إشرافهـا كان نموذجيًـا، لكـن هـا هـي ببسـاطة.. لم تسـأل.

ورغـم ذلـك.. عـلى مـا يبـدو كان هنـاك الكثـير لنتحـدَّث عنـه، لـذا تبعتهـا إلى سـيارتها، سـيارة شـيفروليه كبـيرة زرقـاء عُمرهـا سـنتان كانـت تقودهـا أثنـاء الخدمـة، بعـد سـاعات العمـل كانـت لديهـا سـيارة WMB صغـيرة لم يكُـن مـن المُفـترض أن يعـرف عنهـا أحـد.

قالت: "اركب".

دلفت إلى الكرسي الأمامي الأزرق الأنيق.

قـادت لاجويرتـا سـيارتها سريعًـا، داخـل وخـارج الزحـام المـروري، وفي دقائـق قليلـة كُنـا فـوق طريـق الجسـر المـؤدي إلى جانِـب ميامـي مـرة أخـرى، عـبر بيسـكاين، وبعـد نصـف ميـل أو نحـو ذلـك كُنـا في الطريـق إل - ٥٩، قـادت سـيارتها في الطريـق السريـع، توجَّهـت شـمالًا وسـط الزحـام المـروري في سُرعـة مُبالـغ فيهـا قليـلًا حتـى في ميامـي.

لكـن بمُجـرَّد وصولنـا للطريـق ٥٩٥ اتجهنـا غربًـا، نظـرت لي بشـكلٍ جانبـي ثـلاث مـرات، بطـرف عينيهـا، قبـل أن تتحـدَّث في النهايـة قائلـة: "قميـص جميـل".

نظـرت إلى قميـصي الجميـل، كُنـت قـد ارتديتـه عـلى عجـل وأنـا أغـادر شـقتي، ورأيتـه الآن للمـرة الأولى، قميـص بولينـج مـن البوليسـتر مطبـوع عليـه تنـين أحمـر فاتـح، كُنـت قـد ارتديتـه طـوال اليـوم في العمـل، كان بسـيطًا وواسـعًا، لكـن أجـل.. كان نظيفًـا إلى حـدٍّ مـا، وجميـلًا بشـكلٍ مـا بالطبـع، لكنـه لا يـزال.

هـل تقـوم لاجويرتـا بمُحادثـة صغـيرة كي أشـعر بالراحـة بمـا يكفـي لأعـترِف اعترافًـا مُدمّـرًا؟ هـل تشُـك في أنـني أعـرف أكـثر مـما أقـول

وتظُـن أن بإمكانهـا اسـتدراجي للتحـدُث؟

قالت: "لطالما ارتديت مثل هذه الملابس الجميلة يا ديكستر".

طالعتنـي بابتسـامةٍ ضخمـةٍ بلهـاءٍ، غـير مُدركـة أنهـا عـلى وشـك أن تصـدم بسـيارتها شـاحنة عملاقـة، نظـرت للأمـام في الوقـت المُناسِـب لتُحـرِّك عجلـة القيـادة بإصبعٍ واحـدٍ، تحرّكنـا بجـوار الشـاحنة، غربًـا في الطريـق ٥٩٥.

فكـرت في الملابِـس الجميلـة التـي لطالمـا ارتديتهـا، حسـنًا.. بالطبـع كُنـت أفعَـل، كُنـت أفتخِـر بكـوني الوحـش الأكـثر أناقـةً في مُقاطعـة ديـد، أجـل.. بالطبـع.. قـام بتقطيـع السـيد دوارتي اللطيـف، لكنـه كان أنيقًـا للغايـة! ارتـدى الملابـس المُناسِـبة لـكُل المُناسـبات، لكـن مـاذا يرتـدي المـرء عندمـا يذهـب لقطـع رأس شـخص مـا في الصبـاح الباكـر؟ قميـص بولينـج جديـدًا وسروالًا طبيعيًـا، كُنـت أرتـدي ملابـسي عـلى الموضـة، لكـن بـصرف النظـر عـما ارتديتـه عـلى عجـل هـذا الصبـاح، لطالمـا كُنـت حريصًـا، كان هـذا واحـدًا مـن دروس هـاري؛ تأنّـق، ارتـدِ أزيـاء جميلـة، تفـادى لفـت الانتبـاه.

لكـن لمـاذا يجـب عـلى مُحقّقـة جرائـم بعقليـةٍ سياسـيةٍ مثلهـا أن تُلاحِـظ أو تهتـم؟ لم يكُـن الأمـر كـما لـو أنهـا...

أم تراهـا كانـت؟ بـدأت فكـرة صغـيرة سـيئة في النمـو، شيء مـا في الابتسـامة الغريبـة التـي مـلأت وجههـا قبـل أن تنظُـر بعيـدًا منحنـي الإجابـة التـي أبحـث عنهـا، كان الأمـر سـخيفًا، لكـن مـاذا يُمكِـن أن يكـون أيضًـا؟ لم تكُـن لاجويرتـا تبحـث عـن طريقـة لإجبـاري عـلى أن أسـقِط دفاعـاتي لتطـرَح مزيـدًا مـن الأسـئلة الثاقِبـة عـما رأيتـه، ولم تكُـن تهتـم حقًّـا بخـبرتي في لعبـة الهـوكي.

كانت لاجويرتا اجتماعية، وكانت تحبني.

هـا أنـا لا زلـت أحـاول التعـافي مـن الصدمـة المروّعـة لهجومـي

الغريب المُفاجئ على ريتا، والآن.. هذا؟ لاجويرتا تحبني؟ هل ألقى الإرهابيون شيئًا ما في منبَع الماء في ميامي؟ هل أفرِز نوعًا ما من الفيرمونات الغريبة؟ هل أدرَكَت فجأة كُل امرأة في ميامي مدى يأس الرجال الحقيقيين، هل أصبحت جذابًا بشكلٍ ما؟ بمُنتهى الجديّة.. ما الذي يحدُث هنا بحق الجحيم؟

بالطبع قد أكون مُخطِئًا، اندفعت هذه الفكرة نحوي مثلما تفعل أسماك الباراكودا مع الملاعق الفضية، بعد كُل شيء.. يا لها من أنانيةٍ مُطلقةٍ أن أعتقِد أن امرأة رائعة، رفيعة الطراز، ذات وظيفة ناجحة مثل لاجويرتا قد تُظهِر أي نوع من أنواع الاهتمام بي، ألم يكُن من المُرجَح أن...

أن ماذا؟ على الرغم من أنه كان أمرًا مؤسفًا، لكنه كان منطقيًا، كنا في نفس مجال العمل، وبالتالي.. كما نصَّت الحكمة البوليسية القديمة، من المُرجَّح أن نفهم ونغفِر لبعضنا البعض، يُمكِن لعلاقاتنا أن تنجو رغم ساعات عمل الشُّرطة ونمط الحياة المُتعَب، وعلى الرغم من أنني لم أنسب فضل هذا لنفسي، لكنني أنيق بما فيه الكفاية، نظيف بشكلٍ جيدٍ، كما يُحِب القدماء أن يقولوا، وقد جعلت نفسي ساحرًا لعدة سنوات حتى الآن، كان حديثًا سياسيًا بحتًا، لكن لم يجب عليها أن تعرف ذلك، كُنت جيدًا في البقاء ساحرًا، واحد من الأمور القليلة للغاية التي أفتخِر بها، درست بجدٍّ وتدرَّبت لفترةٍ طويلةٍ، وعندما قدَّمت نفسي للناس، لم يستطِع أيهم أن يعرف أنني كُنت أزيِّف الأمر، كُنت جيدًا للغاية في نثر بذور السحر، ربما كان من الطبيعي أن تنبت البذور في النهاية.

لكن أن تنبت في ذلك؟ وماذا بعد؟ هل ستدعونني لتناول عشاء هادئ في ليلة ما؟ أو بضع ساعات من النعيم المليء بالعرق في فندق كاشيك؟

مـن حُسـن الحـظ أننـا وصلنـا للملعب قبـل أن يتملَّكنـي الذعـر تمامًا، دارت لاجويرتـا حـول المبنـى مـرة، باحثـةً عـن المدخـل الصحيـح، الـذي لم يكُـن مـن الصعـب إيجـاده، وقفـت مجموعـة مـن سـيارات الشُّرطـة مُتناثـرة خـارج صـف مـن الأبـواب المزدوجـة، صفَّـت سـيارتها الكبـيرة بينهـم، قفـزت خـارِج السيارة سريعًـا، قبـل أن تتمكَّـن مـن وضـع يدهـا عـلى ركبتـي، حرجـت ونظـرت إليّ لدقيقـةٍ، وارتعـش فمهـا.

قُلت: "سألقي نظرة".

لم أركـض نحـو الملعـب، بالتأكيـد.. كُنـت أشـعر بلاجويرتـا، لكننـي كُنـت مُتلهّفًـا للدخـول إليهـا؛ لأرى مـا فعلـه صديقـي اللعـوب، لأكـون بالقُـرب مـن عملـه، لأستنشِـق عجائبـه، لأتعلَّـم.

بالداخِـل.. تـردَّد صـدى الهـرج النموذجـي المُميَّـز لأي مـسرح جريمـة قتـل، ومـع ذلـك.. بـدا لي وكأن هنـاك كهربـاء خاصـة في الهـواء، شـعور هـادئ بالإثـارة والتوتُّـر لـن تجـده في أي جريمـة قتـل عاديـة، شـعور بأن هـذا كان مُختلِفًـا لحـدٍّ مـا، قـد تحـدُث هـذه الأشـياء الجديـدة والرائعـة لأننـا كُنـا في الطليعـة هنـا، لكـن ربمـا كان هـذا أنـا فحسـب، وقفـت مجموعـة مـن النـاس حـول شـبكة المرمـى القريبـة، ارتـدى العديـد منهـم الـزي الرسـمي لـبروارد، طـووا أيديهـم وهـم يراقبـون النقيـب ماثيـوس وهـو يُجـادل رجـلًا يرتـدي حلـة مُفصَّلـة حـول السُّـلطة القضائيـة، حينـما اقتربـت وجـدت أنجيـل -لسـت قريبـه- في وضـعٍ غـير عـادي، يقـف فـوق رجـل أصلـع مُنحـنٍ عـلى ركبـةٍ واحـدةٍ يعبَـث في كومـة مـن العبـوات الملفوفـة بعنايـةٍ.

توقَّفـت عنـد الدرابزيـن للنظـر مـن خـلال الزجـاج، وهـا قـد كانـت، عـلى بُعـد عـشرة أقـدام فقـط، بـدت مثاليـة للغايـة في الثلـج النقـي لحلبـة الهـوكي المكسـوحة مؤخـرًا، سـيُخبِرك أي صائـغ أن العثـور عـلى الإعـدادات المُناسـبة أمـر مهـم للغايـة، وهـذا.. كان مُذهِـلًا، مثاليًّـا

تمامًا، شعرت بقليلٍ من الدوار، لم أكُن مُتأكِّدًا إذا ما كان الدرابزين سيتحمَّل ثِقل وزني، كما لو كان بإمكاني المرور مُباشرةً عبر الخشب الصلب مثل الضباب.

وحتى من فوق الدرابزين كان بإمكاني القول أنه أخذ وقته، فعل ذلك بطريقةٍ صحيحةٍ، على الرغم مما بدا وكأنه لقاء قريب للغاية قد حدث منذ دقائق قليلة على الجسر، أم أنه يعرف بطريقةٍ ما أنني لم أقصد أي ضرر؟

وبما أنني طرحت الأمر على أي حال، فهل قصدت في الواقع ألا أؤذيه؟ هل قصدت حقًّا تتبّعه إلى مخبئه والتوصُّل لكُل ما يُمكنني التوصُّل إليه لدعم مسيرة ديبرا المهنيَّة؟ هذا بالطبع ما اعتقدت أنني أفعله، لكن هل سأكون قويًّا بما فيه الكفاية لأستمر في ذلك إذا ما استمرَّت الأمور في أن تُصبِح مُمتعة للغاية؟ كُنا هنا في حلبة الهوكي حيث قضيت العديد من الساعات المُمتِعة في التأمُّل؛ ألم يكُن هذا دليلًا أكبر على كون هذا الفنان، معذرة.. أقصد "القاتل» بالطبع كان يتحرَّك في مسارٍ موازٍ لي؟ انظر فقط للعمل الرائع الذي قام به هنا.

والرأس.. كان هو المُفتاح، من المؤكَّد أنه كان مُهِمًّا للغاية أن يترك خلفه جزءًا مما يفعله، هل ألقى به ليُخيفني، ليُصيبني بنوباتٍ من الرعب، الفزع، والهلع؟ أم أنه عَرِف بطريقةٍ ما أنني شعرت بنفس الإحساس الذي يشعُر به؟ هل يُمكِن أن يشعُر بدوره بالرابط بيننا، أم تُراه يريد فقط أن يكون مرحًا؟ هل يغيظني؟ كان يجب أن يكون لديه سبب مُهِم لتركه مثل هذا التذكار، كُنت أشعُر بأحاسيس قوية ومُذهِلة، كيف يُمكنه ألا يشعُر بشيءٍ؟

وقفت لاجويرتا بجواري وهي تقول وقد تغيَّرت نبرة صوتها قليلًا: "تبدو في عجلةٍ من أمرك".

أشـارت برأسـها نحـو كومـة أجـزاء الجسـد المُكدَّسـة وهـي تُضيـف: "هـل تخـشى أن تهـرب؟".

كُنـت أعلـم أن في داخـلي بمـكانٍ مـا إجابـة ذكيـة، شيء مـن شـأنه أن يجعلهـا تبتسِـم، أن يسـحرها أكـثر قليـلًا، أن يُمهِـد طريـق هـروبي المُحرِج مـن بـين براثنهـا، لكـن الوقـوف هنـاك بجـوار الدرابزيـن، النظـر للأسـفل نحـو الجسـد الموجـود عـلى الجليـد، في شـبكة المرمـى، في ظـل هـذه العظمـة، يُمكِـن للمـرء أن يقـول.. مـن الصعـب إيجـاد رد ذكي، نجحـت في السـيطرة عـلى نفـسي كيـلا أصرُخ بهـا أن تخـرَس، لكننـي كُنـت عـلى وشـك القيـام بالأمـر.

قُلت بصدقٍ: "كان عليّ أن أرى".

قبـل أن أتعـافى بمـا يكفـي لأضيـف: "إنهـا شـبكة مرمـى الفريـق المضيـف".

ضربتني على ذراعي بغنجٍ وهي تقول: "أنت فظيع".

مـن حُسـن الحـظ.. اقـترَب الرقيـب دوكـس منـا، ولم تملُـك المُحقِّقـة الوقـت الـكافي لتضحـك ضحكـة مليئـة بالمـرح، الأمـر الـذي كان سـيُصبِح فـوق قـدرتي عـلى التحمُّـل، وكـما هـو الحـال دائمًـا.. بـدا دوكـس أكـثر اهتمامًـا بالعثـور عـلى طريقـة يقبـض بهـا عـلى ضلوعـي ويشـق جسـدي أكـثر مـن أي شيء آخـر، رمقنـي بنظـرة ترحيـب حـادة للدرجـة التـي جعلتنـي أرحـل سريعًـا لأتركـه مـع لاجويرتـا، حـدَّق في ظهـري، راقبنـي بتعبـيرٍ يقـول أننـي يجـب أن أكـون مُذنبًـا بـشيءٍ مـا، وسـيود بشـدةٍ أن يتمكَّـن مـن فحـص أحشـائي ليكتشِـفه، أنـا مُتأكِّـد أنـه سـيكون أكـثر سـعادة في مـكانٍ يُسـمَح فيـه للشرطـة بكـسر عظمـة سـاق أو عظمـة فخـذ، ابتعـدت عنـه في حركـةٍ دائريـةٍ، تحرَّكـت ببـطءٍ إلى الحلبـة نحـو أقـرب مـكان يُمكننـي الدخـول منـه، كُنـت قـد وجدتـه للتـو عندمـا هاجمنـي شيء مـا مـن جانبـي الأعمـى واصطـدم بي بشـدةٍ في ضلوعـي.

استدرت لمواجهة الشخص الذي اعتدى عليّ بكدمةٍ وابتسامةٍ متوتِّرةٍ وأنا أقول: "مرحبًا يا أختي العزيزة، من الجيد رؤية وجه مألوف".

قالت في همسٍ غاضبٍ: "وغد!".

قُلت: "على الأرجح، لكن لماذا تخبرينني بهذا الآن؟".

"لأن كان لديك دليل أيها الوغد ابن العاهرة، ولم تتصل بي!".

تأتأت قائلًا: "دليل؟ ما الذي جعلكِ تعتقدين...".

نخرت قائلة: "كف عن العبث يا ديكستر، لم تكُن تتسكَّع في الرابعة بعد مُنتصف الليل بحثًا عن العاهرات، كُنت تعرف أين كان، اللعنة".

فهمت الأمر فجأة، كُنت مُنغمِسًا في مشاكلي الخاصة، بدءًا من الحلم، وحقيقة أنه من الواضِح أن الأمر كان أكثر من ذلك، مرورًا بمواجهتي الكابوسية مع لاجويرتا، لم يخطُر ببالي أنني ظلمت ديبرا، بالطبع لم أشاركها بذلك، كانت لتغضب، قُلت محاولًا تهدئة مشاعرها قليلًا: "لم يكُن دليلًا يا ديبرا، لم يكُن أمرًا قاطِعًا، مُجرَّد.. شعور، فكرة، هذا كُل شيء، لم يكُن شيئًا حقًّا".

قالت بكُرهٍ مرة أخرى: "باستثناء أنه كان شيئًا، لقد وجدتَه".

قُلت: "في الحقيقة.. لست مُتأكِّدًا، أعتقِد أنه هو من وجدني".

قالت: "توقَّف عن التذاكي".

مددت يدي في إشارةٍ لمدى استحالة ذلك، قالت: "لقد وعدتني، عليك اللعنة».

لم أتذكَّر أنني قدمت أي نوع من أنواع الوعود يشمل الاتصال بها في مُنتصف الليل لإخبارها عن أحلامي، لكن هذا لم يكُن شيئًا جيدًا لقوله، لذلك لم أفعَل، وبدلًا من ذلك قُلت: "أنا آسف يا

ديـب، لم أتوقَّـع أن الأمـر سـينجَح، كان مُجـرَّد.. حـدس، حقًّـا".

بالتأكيـد لم أحـاول العثـور عـلى أي تفسـير يتضمَّـن علـم التخاطُـر، حتـى مـع ديـب، أو ربمـا ليـس معهـا عـلى وجـه الخصـوص، لكـن خطـرَت لي فكـرة أخـرى، خفضـت صـوتي وأنـا أقـول: "ربمـا يُمكِنـكِ مُسـاعدتي قليـلًا، مـا الـذي يُفـترَض بي أن أخبرهـم بـه حـين يسـألونني عـما كُنـت أفعلـه بالقيـادة هنـاك في الرابعـة بعـد مُنتصـف الليـل؟".

"هل قامَت لاجويرتا باستجوابك بعد؟".

قُلت وأنا أحاول منع قشعريرة تنتابني: "بكثافةٍ".

ظهر الاشمئزاز على وجه ديب وهي تقول: "ولم تسأل".

لم يكُن هذا سؤالًا.

قُلـت: "أنـا مُتأكِّـد أن المُحقِّقـة لديهـا الكثـير في ذهنهـا في الوقـت الحـالي".

لم أضـف أنـه عـلى مـا يبـدو أن بعضًـا مـن هـذا كان أنـا، قبـل أن أضيـف: "لكـن آجـلًا أم عاجـلًا، سيسـأل شـخص مـا".

نظـرت إلى حيـث تُـدار العمليـة وأنـا أقـول بفـزعٍ حقيقـي: "عـلى الأرجَـح سـيكون الرقيـب دوكـس".

أومـأت برأسـها وهـي تقـول: "إنـه ضابِـط جيـد، عليـه فقـط أن يسـترخي قليـلًا".

قُلـت: "ربمـا يكـون هـذا هـو كُل مـا يملكـه، لكنـه لا يحبنـي لسـببٍ مـا، سـوف يسـأل عـن أي شيء يظُـن أنـه سـيثير ارتبـاكي".

قالت ديبرا فورًا: "إذًا أخبره بالحقيقة، لكن أولًا.. أخبرني بها".

وخزتنـي مـرة أخـرى في نفـس المـكان، قُلـت: "أرجـوكِ يـا ديـب، أنـتِ تعرفـيَن مـدى سـهولة إصابتـي بالكدمـات".

"لا أعلم، لكنني أعتقِد أنني سأحب أن أعرِف".

وعدتها قائلًا: "لن يحدث هذا مرة أخرى، كانت مُجرَّد لحظة من لحظات إلهام الثالثة بعد مُنتصف الليل يا ديبرا، ماذا كُنتِ ستقولين إذا ما اتصلت بكِ بشأنها، قبل أن يتضِح أنها لا شيء؟".

قالت وهي تدفعني مرة أخرى: "لكنها لم تكُن، اتضح أنها شيء ما".

"لم أعتقِد أنه سيكون شيئًا، وكُنت لأشعر بالغباء في حال جررتكِ إلى ذلك".

قالت: "تخيَّل كيف كُنت سأشعر إذا ما قام بقتلك".

باغتني الأمر، لم أستطِع حتى أن أتخيَّل بما كانت ستشعُر، الندم؟ خيبة الأمل؟ الغضب؟ هذا النوع من الأشياء فوق مستوى إدراكي، أنا خائِف، لذا كرَّرت: "أنا آسف يا ديب".

وبعد ذلك.. ولأنني شخص مُبتهِج ومُتفائِل ويعرف دائمًا كيف يجد الجانِب المُشرِق، أضفت: "لكن على الأقل كانت الشاحنة المبردة هناك".

تطلَّعت في وجهي وهي تقول: "أين كانت الشاحنة؟".

قُلت: "ألم يخبروكِ يا ديب؟".

ضربتني بقوةٍ أكبر في نفس المكان وهي تقول بغضبٍ: "اللعنة يا ديكستر، ماذا عن الشاحنة؟".

قُلت: "كانت هناك يا ديب".

كُنت مُحرجًا إلى حدٍّ ما من رد فعلها العاطفي، وأيضًا بالطبع.. من حقيقة أن امرأة جميلة كانت تضربني بشدةٍ، قبل أن أضيف: "كان يقود شاحنة مبردة، عندما ألقى الرأس".

أمسَكت بذراعي وحدَّقت بي قبل أن تقول في النهاية: "ماذا تقول بحق اللعنة".

"الذي قُلته بحق اللعنة".

قالت: "اللعنةَ".

حدَّقت في الفراغ، لا شك أنها رأت ترقيتها تتأرجح في مكانٍ ما فوق رأسي، وعلى الأرجح كانت ستستمِر، لكن في اللحظة نفسها رفع أنجيل -لست قريبه- صوته عاليًا ليتردَّد صداه في الحلبة بأكملها وهو يصيح: "أيتها المُحقِّقة؟".

نظر نحو لاجويرتا، كان صوته يبدو غريبًا وغير واعٍ، صراخ نصف مُختنِق لرجلٍ لا يصنع ضوضاء عالية في الأماكِن العامة، وجلب شيئًا ما بخصوص صوته الهدوء في المكان بأكمله، كانت النبرة مزيجًا بين صدمة جزئية وانتصار جزئي، كأنه يقول وجدت شيئًا مهمًا لكن يا إلهي، اتجهَت كُل الأنظار إلى أنجيل الذي أومأ برأسه نحو الرجل الأصلع الرابِض بأسفله، والذي بدأ ببطءٍ وحرصٍ في إزالة شيء ما من العبوة العلوية.

أخيرًا.. سحب الرجل هذا الشيء للخارِج، قبل أن يتعثَّر ويسقطه، لينزلِق عبر الجليد، مدّ يده نحوه وهو ينزلِق بدوره، انزلق بجوار الشيء اللامِع الذي أخرجه من العبوة حتى استقرّ كلاهما بجوار حدود الملعب، بأيدٍ مُرتعدةٍ.. مدّ أنجيل يده نحوه، أمسك به ورفعه للأعلى لنتمكَّن جميعًا من رؤيته، الهدوء المُفاجئ الذي ساد في المبنى كان مُلهمًا، مُذهِلًا، جميلًا، مثل موجة من التصفيق العارم المُلازِم لإزاحة الستار عن أي عمل عبقري.

كانت المرآة الخلفية للشاحنة.

الفصل الحادي عشر

ساد ستار من الصمت المُطبق لمُدة دقيقة واحدة فقط، ثم أخذ ضجيج الكلام في حلبة الملعب الأمر لبُعد جديد بينما كان الناس يجتهدون للتكهُّن بالأمر.

مرآة، ماذا يعني ذلك بحق الجحيم؟

سؤال جيد، على الرغم من تأثُّري الشديد بهذا الشيء، لم يكُن لديّ أي نظريات فوريّة عما يعنيه هذا، في بعض الأحيان.. يكون الفن العظيم على هذه الشاكِلة، يؤثِّر عليك دون أن تعرف سببًا لذلك، هل كانت هذه رمزيّة عميقة؟ رسالة مُشفَّرة؟ استجداء موجعًا للمُساعدة والتفاهُم؟ من المُستحيل القول، وبالنسبة لي.. لم يكُن هذا هو الأمر الأكثر أهمية في البداية، أردت فقط أن أستنشِقه، وأن أدع الآخرين يقلقون بشأن كيفية وصوله إلى هناك، ففي النهاية.. ربما سقطَت منه وقرَّر أن يلقي بها في أقرب كيس قمامة.

غير مُمكِن، بالطبع غير مُمكِن، والآن.. لا يسعني إلا التفكير في الأمر، كانت المرآة هنا لسببٍ مُهمٍ للغاية، ولم تكُن هذه مُجرَّد أكياس قمامة بالنسبة له، نظرًا لكونه أثبت في الوقت الحالي فطنته بإعداد حلبة الهوكي، أسلوب العرض كان جزءًا مُهمًّا مما يفعله، لن يكون هذا أمرًا عرضيًا بمثل هذه التفاصيل، وبسبب ذلك.. بدأت أفكِّر عما يُمكِن أن تعنيه المرآة، عليّ أن أصدِّق ذلك.. بقدر ما يُمكِن أن يكون الأمر مرتجلًا، إلا أن وضعه مع أجزاء الجسد كان متعمّدًا للغاية، وكان لديّ شعور إضافي، في مكانٍ ما بداخلي، أن هذه كانت رسالة حذِرة للغاية، رسالة خاصة للغاية.

لي؟

وإذا لم تكُن لي، إذا فلمَن؟ كان ما تبقى من الأمر يتحدَّث للعالم بأسره: انظُر إلى ما أنا عليه، انظر إلى ما نحن كُلنا عليه، انظر ماذا أفعَل حيال الأمر، مرآة الشاحِنة لم تكُن جزءًا من هذا البيان، تقطيع الجسد، تجفيف الدماء.. كانت هذه أمورًا ضرورية ورائعة، لكن المرآة -وخاصةً إذا ما اتضح أنها جزء من الشاحِنة التي طاردتها- كانت أمرًا مُختلِفًا، رائعًا، أجل؛ لكن ماذا تقول عن الطريقة التي تتم بها الأمور حقًّا؟ لا شيء، لقد وُضِعت هنا من أجل هدف مُختلِف، وهذا الهدف يجب أن يكون بيان من نوع آخر جديد ومُختلِف، استطعت أن أشعُر بقوة الأفكار وهي تتدفَّق عبري، إذا ما كانت جزءًا من الشاحنة، فلا يُمكِن أن تكون إلا لي.

لكن ماذا يعني ذلك؟

سألت ديب بجانبي: "ما هذا بحق الجحيم؟ مرآة! لماذا؟".

قُلت وأنا ما زلت أشعُر بالقوة تتدفَّق عبري: "لا أعرِف، لكنني مُستعِد للمُراهنة على عشاء في مطعم ((Joe's Stone Crabs أنها جزء من الشاحنة المُبردة".

قالت: "دون رهان، لكن على الأقل يطرَح هذا سؤالًا مُهِمًا".

حدّقت بها مُندهشًا، هل كان بإمكانها القيام حقًّا بهذه القفزة البديهية التي أغفلتها، سألتها: "أي سؤال يا شقيقتي؟".

أومأت برأسها إلى مجموعة من رجال الشُّرطة العاملين في الإدارة، والذين كانوا لا يزالون يتشاجرون بجوار أطراف حلبة الهوكي وهي تقول: "السُّلطة القضائية، هذه قضيتنا، بحقهم".

من الواضِح.. أن المُحقِّقة لاجويرتا لم تكُن مُعجبةً بهذا الدليل الجديد، ربما كانت تُخفي اهتمامًا عميقًا ودائمًا برمزية المرآة، وكُل

ما ينطوي عليه ذلك من واجهةٍ مصنوعةٍ بعنايةٍ من اللا مُبالاة، إما هذا أو أنها كانت غبية حقًا كصندوق من الصخور، كانت لا تزال تقف مع دوكس، الذي يُحسَب له أنه بدا مُضطرِبًا، لكن ربما كان وجهه قد سئم ببساطةٍ من وهج تصلّبه الدائم، وقرَّر أن يُجرِب شيئًا جديدًا.

قالت لاجويرتا لديب: "مورجان، لم أميّزكِ وأنتِ ترتدين هذا الزي".

قالت ديب قبل أن أتمكَّن من إيقافها: "أعتقِد أنه من المُمكِن ألا تُميّزي الكثير من الأشياء الواضِحة".

قالت لاجويرتا: "هذا مُمكِن، لهذا لا يستطيع بعضنا أن يُصبِح مُحققًا".

لقد كان هذا انتصارًا كاملًا وسهلًا، ولم تطِق لاجويرتا ذرعًا أن ترى حتى التسديدة وهي ترتد إليها، استدارت بعيدًا عن ديب وبدأت تتحدَّث إلى دوكس: "لتعرِف من لديه مفاتيح الحلبة، من يُمكِنه الدخول إلى هنا وقتما أراد".

قال دوكس: "حسنًا، سنفحص كُل الأقفال، هل نرى إذا ما كان شخص ما قد تم ضبطه؟".

أجابت لاجويرتا بعبوسٍ ضئيلٍ: "لا، لدينا اتصال مُباشِر بالجليد هنا".

نظرت إلى ديبرا قبل أن تعود إلى دوكس وهي تقول: "هذه الشاحنة المُبردة كانت فقط لإرباكنا".

نظرت إلى ديبرا مرة أخيرة وهي تقول: "من المؤكَّد أن تلف الأنسجة حدث بسبب الجليد، من هنا، إذًا القاتِل مُرتبِط بشكلٍ مُباشرٍ بهذا المكان، وليس بالشاحِنة".

لم يبد دوكس مُقتنعًا، لكنه لم يكُن مسؤولًا على أي حال، قال: "حسنًا".

نظرت لاجويرتا إليّ وهي تقول: "أعتقِد أن بإمكانك العودة للمنزل يا ديكستر، أعرِف أين تعيش في حال احتجتك".

على الأقل قالتها دون أن تغمِز، قادتني ديبرا إلى أبواب الحلبة المزدوجة الكبيرة وهي تقول بغضبٍ: "إذا استمرّ هذا الأمر، سينتهي بي المطاف كضابطة مرور في أقل من عام".

قُلت: "هذا هراء يا ديب، خلال شهرين كحد أقصى".

"شكرًا"

"حسنًا، حقًّا.. لا يُمكنكِ تحديها علانية بهذه الطريقة، ألم ترى كيف أخفى الرقيب دوكس الأمر؟ تحلي ببعض الذكاء بحق الله".

توقَّفت في مكانها وهي تُمسِك بي قائلةً: "ذكاء، اسمع يا ديكستر، هذه ليست لعبة من نوعٍ ما".

"لكنها كذلك يا ديب، لعبة ذكاء، وعلى الأرجح.. أنتِ لا تلعبينها بشكلٍ صحيحٍ".

نخرَت وهي تقول: "أنا لا ألعَب أي لعبة، هناك أرواح بشرية على المَحك، هناك جزار حر طليق، وسيبقى طليقًا ما دامت لاجويرتا متوسّطة الذكاء هي من يُدير الأمر".

قاومت موجة من الأمل وأنا أقول: "قد يكون الأمر كذلك».

أصرَّت ديب قائلة: "إنه كذلك".

"لكن ديبرا.. لن يُمكِنك تغيير ذلك من خلال إبعاد نفسكِ إلى قسم المرور في كوكونوت جروف".

قالت: "لا، لكن بإمكاني تغيير الأمر بالعثور على هذا القاتل".

حسنًا.. هناك الكثير من الناس لا يملكون أي فكرة عن كيفية

عمـل العـالم، باسـتثناء ذلـك.. كانـت شـخصًا ذكيًّـا للغايـة، كانـت كذلـك حقًّـا، كانـت قـد ورثـت ببسـاطة كُل صراحـة هـاري، طريقتـه المُبـاشِرة في التعامُـل مـع الأشـياء، دون التمسُّـك بـأي نـوع مـن أنـواع الحكمـة المُرافِقـة، مـع هـاري.. كانـت الصراحـة هـي وسيلته لاخـتراق كُل الأمـور السـيئة، لكـن طريقـة ديـبرا.. كانـت التظاهُـر بعـدم وجـود أي شيء.

عُـدت إلى سـيارتي بصُحبـة واحـدة مـن سـيارات الدوريـة التـي كانـت موجـودة خـارج الحلبـة، قُدتهـا إلى المنـزل، تخيَّلـت لـو كان بإمـكاني الاحتفـاظ بالـرأس، لففتهـا بعنايـةٍ في مناديـل ورقيـة، ووضعتهـا عـلى المقعـد الخلفـي لأصحبهـا إلى المنـزل، أمـر فظيـع وسـخيف.. أعـرِف ذلـك، للمـرة الأولى كان بإمـكاني فهـم الرجـال الحزينـين، عـادةً مـن العاملـين في (Shriners)، الذيـن يداعِبـون أحذيـة النسـاء أو يحملـون الملابِـس الداخليـة المُتسِـخة، شـعور فظيـع جعلنـي أشـعُر بالرغبـة في الاسـتحمام بنفـس قـدر شـعوري بالرغبـة في ضرب الـرأس.

لكنـه لم يكُـن معـي، لم أملـك سـوى العـودة للمنـزل، قُـدت ببـطءٍ، عـدة أميـال في السـاعة أقـل مـن الحـد الأقـصى للسُّرعـة، في ميامـي.. هـذا مثـل ارتـداء لافتـة «اركلنـي» عـلى ظهـرك، لم يركلنـي أحـد بالفعـل، لأنـه سـيتحتَّم عليـه أن يبطـئ ليفعـل ذلـك، لكنهـم ضغطـوا النفـير سـبع مـرات مـن أجـلي، وثمـاني مـرات مـن أجـل إزعاجـي، زأرت خمـس سـيارات وهـي تتجـاوزني، إمـا عـبر الحـارة المُقابِلـة أو مـن فـوق الرصيـف.

لكـن اليـوم.. حتـى الـروح المعنويـة المُرتفِعـة للسـائقين لم تنجَـح في إبهاجـي، كُنـت ميتًـا مـن التعـب ومُرتبِـكًا وبحاجـةٍ للتفكـير، بعيـدًا عـن صـدى ضجيـج الحلبـة وثرثـرة لاجويرتـا.

منحتنـي القيـادة ببطءٍ الوقـت الـكافي لأتسـاءل، لأبحـث عـن معنـى كُل مـا حَـدَث، ووجـدت أن عبـارة سـخيفة واحـدة ظلَّـت تـتردَّد في

رأسي، تتقافز على الصخور وعبر الشقوق الموجودة في عقلي المُنهَك، استغرقت ما يكفيها من الوقت، وكلما سمعتها تتردَّد في أفكاري، بدا الأمر أكثر منطقية، وبعيدًا عن المنطق، تحوَّل الأمر لنوعٍ من المانترا المُغريَّة*، تحوَّلت لمُفتاح التفكير في القاتِل، الرأس الذي تدحرَج في الشارِع، مرآة الرؤية الخلفية التي وضعت بعيدًا عن أجزاء الجسد الجافة الرائعة.

لو كُنت أنا..

مثل.. «لو كُنت أنا، ماذا سأريد القول بالمرآة؟» و«لو كُنت أنا، فماذا سأفعَل بالشاحِنة؟».

بالطبع لم أكُن أنا، وهذا النوع من الغيرة سيئ جدًّا للروح، لكن بما أنني لم أدرِك أن لديّ واحدة، فالأمر لم يكُن مُهِمًّا، لو كُنت أنا.. لكانت الشاحِنة ستقع في خندَق في مكان ما ليس ببعيدٍ للغاية عن الحلبة، ومن هناك كُنت سأغادر سريعًا في.. سيارة مُخبأة؟ مسروقة؟ على حسب، لو كُنت أنا.. هل كُنت سأخطِّط لترك الجُثة في الحلبة طوال هذا الوقت، أم أن ذلك جاء كرد فعل للمُطاردة التي حدثت في طريق الجسر؟

إلا أن هذا لم يكُن منطقيًّا، لم يكُن بإمكانِه الاعتماد على أي شخص يُطارده إلى قرية نورث باي.. أليس كذلِك؟ لكن رغم ذلك.. لماذا كان الرأس جاهزًا للرمي؟ ولماذا أخذ الباقي للحلبة؟

بدا وكأنه اختيار غريب، أجل، هناك كم كبير من الثلج، والبرودة كانت أمرًا جيدًا، لكن تلك المساحة الشاسِعة لم تكُن مُناسبةً حقًّا لنوعي من اللحظات الحميمية.. لو كُنت أنا، كانت هناك كآبة

---

*المانترا في الحضارة الهندية، هي كلمة سنسكريتية تعني تعويذة إما صوتية أو من كلمة أو من جملة تساعد في خلق تحوُّل نفسي.

فظيعـة واسِـعة النطـاق غـير مواتيـة عـلى الإطـلاق للإبـداع الحقيقـي، زيارتهـا مرحــة.. لكنهـا ليسـت اسـتوديو فنـان حقيقـي، أرض نفايـات، وليسـت مسـاحة عمـل، لم تكُـن تملـك الشـعور المُناسِـب لذلِـك.

لو كُنت أنا.. فهذا هو.

إذا كانـت الحلبـة ضربـة جريئـة في منطقـة غـير مُستكشـفة، وهـو أمـر مـن شـأنه أن يُضلِّـل الشرطـة، أن يقودهـم عـلى الأرجَـح إلى الاتجـاه الخاطـئ، إذا مـا أدركـوا يومًـا أن هنـاك اتجاهًـا يجـب أن يذهبـوا إليـه، وهـو أمـر غـير مُرجّـح.

وبإضافـة المـرآة إلى الأمـر.. إذا مـا كُنـت مُحقًّـا بشـأن أسـباب اختيـاره للحلبـة، فـإن إضافـة المـرآة مـن شـأنها أن تدعـم هـذا الأمـر بالطبـع، سـتكون تعليقًـا عـلى مـا حَـدَث للتـو، مُرتبِطًـا بمُغـادرة الـرأس، سـيكون بيانًـا يجمَـع كُل الخيـوط الأخـرى معًـا، يغلّفهـا بدقـةٍ مثـل أجزاء الجسـد المُكدّسـة، تأكيـد دقيـق لعمـل كبـير، والآن.. مـاذا سـيكون البيـان، لـو كُنـت أنـا؟

أنا أراك.

حسـنًا، بالطبـع كان الأمـر كذلـك، عـلى الرغـم مـن كونـه واضحًـا إلى حـدٍّ مـا، أنـا أراك، أعلـم أنـك خلفـي، وأنـا أراقِبـك، لكننـي متفـوِّق عليـك بفـارقٍ كبـيرٍ أيضًـا، أتحكَّـم في مسـارك، أضبـط سُرعتـك، وأراقِبـك وأنـت تلاحقنـي، أنـا أراك، أعـرف مـن أنـت وأيـن أنـت، وكُل مـا تعرفـه عنـي هـو أننـي أراقِبـك، أنـا أراك.

بـدا هـذا صحيحًـا، لمـاذا لم يجعلنـي هـذا أشـعر بحـالٍ أفضـل؟ عـلاوة عـلى ذلـك.. كـم مـن هـذا يجـب أن أخـبِر بـه ديـبرا المسـكينة؟ لقـد أصبـح هـذا شـخصيًّا لدرجـة أنـه كان مـن الصعـب تذكُّـر أن هنـاك جانبًـا عامًّـا للأمـر، جانبًـا كان مُهـمًّا بالنسـبة لأختـي ولمسـيرتها المهنيّة، لم أسـتطِع أن أبـدأ بإخبارهـا -أو لأي شـخص آخـر- أن القاتِـل كان يحـاوِل

أن يخبرني بشيءٍ ما، إذا كان لديّ الفطنة لأسمع وأجيب، لكن الباقي.. هل هناك شيء أحتاج لأن أخبرها به، وهل أردت حقًّا أن أفعل ذلك؟

كان هذا أكثر من اللازِم، أحتاج للنوم قبل أن أتمكَّن من حل كُل ذلك.

لم أتذمَّر حينما زحفت إلى فراشي، لكنني كُنت قريبًا من ذلك، سمحت للنوم أن يتمكَّن مني سريعًا، غرقت في الظلام فحسب، حصلت على ما يُقارِب الساعتين والنصف من النوم قبل أن يرن الهاتف.

سمعت الصوت القادِم من الجهة الأخرى يقول: "إنه أنا".

قُلت: "بالطبع أنتِ، ديبرا.. أليس كذلِك؟".

"وجدت الشاحنة المبردة".

"حسنًا، تهانينا يا ديب، هذه أخبار جيدة للغاية".

كان هناك صمت طويل نوعًا ما على الجهة الأخرى قبل أن أقول في النهاية: "ديب؟ هذه أخبار جيدة، أليس كذلِك؟".

قالت: "لا".

شعرت بالحاجة للنوم وهي تضرب رأسي كمضرب سجاد على سجادة صلاة، حاولت التركيز وأنا أسألها: "ديب، ماذا فعلتِ.. ماذا حدث؟".

قالت: "لقد قُمت بالمُطابقة، كُنت متيقّنة تمامًا، الصور، أرقام الأجزاء، وكل شيء، لذا أخبرت لاجويرتا مثل فتاة كشّافة جيدة".

سألتها بريبةٍ: "ولم تُصدقكِ؟ على الأرجَح فعلت".

حاولت أن أرمِش، لكن عيني ظلتا مُغلقتين، لذا تخلّيت عن الأمر، قُلت: "أنا آسف يا ديب، واحد منا لا يبدو منطقيًّا لحدٍ

كبيرٍ، أهو أنا؟".

قالت ديبرا بصوتٍ ضعيفٍ مُتعبٍ للغاية، صوتها جعلني أشعر أنني غريق لا يجد قشّة يتعلّق بها: "حاولت أن أشرَح لها الأمر، وضحت لها كُل شيء، حتى أنني كُنت مُهذّبة".

قُلت: "هذا جيد للغاية، ماذا قالت؟".

قالت ديب: "لا شيء، لا شيء على الإطلاق".

قالت مُكرِّرة: "لا شيء على الإطلاق، باستثناء فقط أنها قالت شكرًا، وكأنها تشكُر المسؤول عن صف سيارتها، ابتسمت نحوي تلك الابتسامة الصغيرة المرحة قبل أن ترحل".

قُلت: "حسنًا، لكن يا ديب، لا يُمكنكِ أن تتوقعي منها أن...".

قالت ديب: "ثم اكتشفت لماذا ابتسمت لي بهذه الطريقة، كما لو كُنت شخصًا متوسط الذكاء، وقد أدركَت أخيرًا أين ستحتفِظ بي".

قُلت: "لا، هل تقصدين أنكِ خارج القضية؟".

قالت ديب بصوتٍ مُتعبٍ: "جميعنا خارج القضية يا ديكستر، اعتقلت لاجويرتا شخصًا ما".

ساد صمت طويل على الخط فجأة، لم أستطِع التفكير على الإطلاق، لكنني على الأقل كُنت مستيقظًا تمامًا وأنا أقول: "ماذا؟".

"ألقت لاجويرتا القبض على شخصٍ ما، رجل يعمل في المضمار، لقد احتجزته، وهي مُتأكِّدة تمامًا من أنه القاتِل".

قُلت: "هذا غير مُمكِن".

على الرغم من معرفتي بكونه مُمكِنًا، العاهرة ذات الدماغ الميت، لاجويرتا وليس ديب.

"أعرِف ذلك يا ديكستر، لكن لا تحاوِل أن تُخبِر لاجويرتا، لأنها

مُتأكِّـدة أنهـا أمسـكَت بالرجـل الصحيـح".

سألتها: "كيف تكون مُتأكِّدة؟".

كان رأسي يـدور، شـعرت برغبـةٍ قليلـةٍ في التقيـؤ، لم أسـتطِع معرفـة السـبب، نخـرت ديـب وهـي تقـول: "سـتُقيم مؤتمـرًا صحفيًّـا خـلال سـاعة واحـدة، بالنسـبة لهـا.. هـذا أمـر إيجـابي".

كان صـوت الخفقـان في رأسي مُرتفِعًـا لدرجـة أنـه لم أتمكَّـن مـن سـماع مـا قالتـه ديـب بعـد ذلـك، هـل قامَـت لاجويرتـا باعتقـال؟ مـن يُمكِـن أن يكـون متورّطًـا في الأمـر؟ هـل يُمكِنهـا تجاهُـل كُل هـذه الأدلـة، رائحـة، إحسـاس، وطعـم عمليـات القتـل تلـك، واعتقـال شـخص مـا؟ لأنـه لا يُمكِـن لأي شـخص أن يفعـل مـا فعلـه هـذا القاتِـل.. مـا يفعلـه! أن يسـمح لبـثرة مثـل لاجويرتـا بالقبـض عليـه، مُسـتحيل، سـأراهِن بحيـاتي عـلى ذلـك.

قُلـت: "لا يـا ديـبرا، لا، غـير مُمكِـن، لقـد قبضـت عـلى الشـخص الخطـأ".

ضحكـت ديـبرا، ضحكـة شرطـي مُتعبـة قـذرة، وقالـت: "أجـل، أنـا أعـرِف ذلـك، وأنـت تعـرِف ذلـك، لكنهـا لا تعـرف ذلـك، وهـل تُريـد أن تعـرف شـيئًا مُضحـكًا؟ ولا هـو كذلـك يعـرف".

لم يكُـن هـذا معقـولًا، سـألتها: "مـاذا تقولـين يـا ديـب؟ مـن الـذي لا يعـرِف؟".

ضحكـت ضحكتهـا المُريعـة مـرة أخـرى وهـي تقـول: "الرجـل الـذي اعتقلتـه، أعتقـد أنـه مُرتبِـك بنفـس قـدر ارتبـاك لاجويرتـا يـا ديكـس، لأنـه اعـترف".

"ماذا؟".

"لقد اعترف يا ديكستر، الوغد اعترف".

الفصل الثاني عشر

كان اسـمه داريـل إيـرل ماكهيـل وكان مــن النــوع الــذي نُحِــب أن نُطلِـق عليـه خــاسر مرتــين*، قـضى اثنتــي عــشرة ســنة مــن ســنواته العشريـن الأخـيرة كضيـف عـلى ولايـة فلوريـدا، تمكَّـن الرقيـب دوكـس العزيـز في اسـتخراج اسـمه مـن سـجل موظفـي المضمار، عـبر فحـص الكمبيوتـر عـن الموظَّفـين الذيـن لديهـم سـابقة عُنـف أو جنايـة، ظَهَـر اسـم ماكهيـل مرتـين.

كان داريـل إيـرل سـكيرًا يـضرب زوجتـه، عـلى مـا يبـدو.. كان أحيانًـا مـا يسـطو عـلى محطـات الوقـود أيضًـا، عـلى سـبيل المُتعـة. يُمكِـن الاعتـماد عليـه للاحتفـاظ بوظيفـة مـن وظائـف الحـد الأدنى للأجـور لشـهر أو اثنـين فقـط، لكـن بعـد ذلـك.. في بعـض ليـالي الجُمعـة الجيـدة كان يـشرب مجموعـة مكوَّنـة مـن سـت عبـوات جعـة قبـل أن يعتقِـد أنـه غضـب اللـه، بعدهـا كان يقـود سـيارته إلى أن يجـد محطـة وقـود تُثير غضبـه، يلـوّح بالسـلاح، يأخـذ النقـود، ويقـود مُبتعـدًا، بعـد ذلـك يسـتخدم غنيمتـه البالغـة ٨٠ أو ٩٠ دولارًا ليشـتري المزيـد مـن العبـوات ليشـعر بالرضـا عـن نفسـه لدرجـة أنـه يشـعر أنـه مضطـر لـضرب شـخص مـا، لم يكُـن داريـل إيـرل رجـلًا ضخـمًا؛ يبلـغ طولـه خمسـة أقـدام وهزيـل، لذلـك كان يختـار الاختيـار الآمـن، الشـخص الـذي يضربـه عـادةً مـا يكـون زوجتـه.

كانـت الأشـياء عـلى مـا هـي عليـه، نجـح في التملُّـص مـن العقـاب

---

*تُطلَق عـلى الشـخص الـذي دخـل السـجن مرتـين مُختلفتـين، لا سـيما في ارتـكاب جريمـة أخـرى خصوصًـا في الـدول التـي يكـون فيهـا الحُكـم الثالـث هـو السـجن المؤبَّـد.

عـددًا مـن المـرات، لكـن في ليلـة مـن الليـالي تمـادى في الأمـر قليـلًا مـع زوجتـه، ووضعهـا في جبـيرة لمُـدة شـهر، اتخـذت إجـراءً قانونيًـا، وبمـا أن سـجل داريـل إيـرل لم يكُـن خاليًـا، اضطـرّ لقضـاء بعـض الوقـت الجـاد.

لا يـزال يـشرب، وعـلى مـا يبـدو أنـه تـم تخويفـه في رايفـورد بمـا يكفـي لتقويمـه قليـلًا، حصـل عـلى وظيفـة عامـل نظافـة في الحلبـة، وتمسَّـك بهـا بالفعـل، وعـلى حـد علمنـا.. لم يـضرب زوجتـه منـذ وقـت طويـل.

بالإضافـة إلى ذلـك.. حصـل ولدنـا عـلى دقائـق قليلـة مـن الشُّـهرة عندمـا فـاز الفهـود بـكأس سـتانلي، جـزء مـن عملـه كان أن يهـرع إلى داخـل الملعـب ليُنظِفـه في كُل مـرة يلقـي فيهـا المُشـجعون بأشـياء عـلى الجليـد، في كأس سـتانلي لهـذا العـام، كانـت هـذه وظيفـة ضخمـة، لأنـه في كُل مـرة كان الفهـود يسـجلون فيهـا هدفًـا، يلقـي المشـجعون بثلاثـة أو أربعـة آلاف جـرذ بلاسـتيكي عـلى مضـمار التزلُّـج، كان عـلى داريـل إيـرل أن يهـرع ليلتقطهـا جميعًـا، وهـو عمـل مُمِـل بـلا شـك، وبتشـجيع مـن بضعـة أكـواب مـن الفـودكا الرخيصـة في واحـدةٍ مـن الليـالي، التقط واحـدًا مـن تلـك الفـئران البلاسـتيكية وأدى القليـل مـن رقصـة الفـئران، أعجـب بـه المشـجعون وصرخـوا مـن أجـل المزيـد، وبـدأوا في المُطالبـة بهـا في كُل مـرة دخـل فيهـا داريـل إيـرل إلى الجليـد، وقـام داريـل إيـرل بـأداء الرقصـة لبقيـة الموسـم.

الفـئران البلاسـتيكية كانـت ممنوعـة هـذه الأيـام، بـل وحتـى مطلوبـة بموجـب القانـون الفيـدرالي، لـذا لـن يقـوم أي شـخص برميهـا، لم يُسـجِّل الفهـود هدفًـا منـذ آخـر مـرة كان لـدى ميامـي عمـدة نزيـه، في وقـتٍ مـا مـن القـرن المـاضي، لكـن ماكهيـل مـا زال يحـضر المباريـات عـلى أمـل أن يحظـى برقصـةٍ أخـيرةٍ أمـام الكامـيرا.

في المؤتمـر الصحفـي، لعبـت لاجويرتـا هـذا الـدور بشـكلٍ جميـلٍ،

جعلَت الأمر يبدو وكأن ذكرى شهرته القليلة هي دافعه إلى القتل، وبالطبع مع سكره وسجله العنيف ضد النساء، كان المُشتبه به المثالي في هذه السلسلة من جرائم القتل الغبية والوحشية، لكن بائعات الهوى في ميامي سُرعان ما شعرن بالراحة، انتهت فورة القتل، اعترف داريل إيرل، مدفوعًا بضغطٍ هائلٍ من تحقيقٍ مُكثَّف لا يرحم، أغلِقت القضية، عدن للعمل يا فتيات.

ابتهجت الصحافة بالخبر، أفترض أنه لا يُمكِنك أن تلومهم حقًّا، قامت لاجويرتا بعملٍ بارعٍ في تقديم ما يكفي من الحقائق الملوّنة بأفكارٍ شديدة اللمعان، التي كانت قادرةً على إقناع أي شخص تقريبًا، وبالطبع لا يتعيَّن عليك حقًّا القيام باختبار ذكاء لتُصبِح مُراسلًا، ورغم ذلك.. كُنت آمل في الحصول على بصيصٍ صغيرٍ، ودائمًا ما كُنت أصاب بخيبة الأمل، ربما رأيت الكثير من الأفلام بالأبيض والأسود عندما كُنت طفلًا، ما زلت أعتقِد أنه كان من المُفترض أن يطلب من الشخص المُتشائِم المُرهَق من جريدة العاصمة الكُبرى أن يطرح سؤالًا مُحرجًا ليُجبِر المُحقّقين على إعادة فحص الأدلة بعنايةٍ.

لكن للأسف.. لا تُقلِّد الحياة الفن دائمًا، وفي مؤتمر لاجويرتا الصحفي، لعبت سلسلة من العارضين من الذكور والإناث بقصات شعر مثالية وبدلات مضبوطة دور سبينسر تريسي*، وأتت أسئلتهم الثاقِبة على غرار: «كيف شعرتم حينما وجدتم الرأس؟» و«هل يُمكِننا الحصول على بعض الصور؟".

واحد من المُراسلين المُنفردين، نيك (لست مُتأكِّدًا من باقي اسمه) من شبكة NBC TV المحليّة، سأل لاجويرتا عما

* سبينسر تريسي: مُمثّل أمريكي شهير تميز بأسلوبه الطبيعي وأدواره المتنوعة.

إذا مـا كانـت متيقّنـة مـن أن ماكهيـل هـو القاتِـل، لكـن عندمـا قالـت أن الغالبيـة السـاحِقة مـن الأدلـة تُشـير إلى ذلـك، وعـلى أي حـال.. كان الاعـتراف قاطعًـا، تـرك الأمـر، إمـا أنـه كان راضيًـا أو أن الكلـمات كانـت كبـيرة للغاية.

وبهـذه الطريقـة، تـم إغـلاق القضيـة، وتحقيـق العدالـة، انتـصرت الآليـة الجبّـارة لجهـاز مُكافحـة الجريمـة الرائـع في قسـم شرطـة ميامـي مـرة أخـرى عـلى قـوى الظـلام التـي تُحاصِر مدينتنـا العادِلـة، كان عرضًـا رائعًـا وَزعَـت فيـه لاجويرتـا بعـض الصـور الشريـرة للغايـة لداريـل إيـرل والتـي تـمّ تدبيسـها في صورهـا الرائِعـة الجديـدة وهـي تُحقِّـق مـع مصـوّر فوتوغـرافي للأزيـاء الراقيـة بقيمـة ٢٥٠ دولارًا في السـاعة في سـاوث بيتـش.

صنعـا معًـا حزمـة رائعـة مـن السُّـخرية؛ ظهـور الخطـر والواقِـع المُميـت، أمـران مُختلفـان تمامًـا، لأنـه مهـما بـدا داريـل إيـرل فظًّـا ووحشـيًّا، كان التهديـد الحقيقـي للمُجتمـع هـو لاجويرتـا، لقـد ربطـت كلاب الصيـد، أوقفـت الخـوف والبـكاء، وأرسـلت النـاس مـرة أخـرى إلى فـراشٍ في مبنـى مُحـترِق.

هـل كُنـت أنـا الوحيـد الـذي كان بإمكانـه رؤيـة أن داريـل إيـرل ماكهيـل لا يُمكِـن أن يكـون القاتِـل؟ أن هنـاك أسـلوبًا وذكاء لا يسـتطيع أحمـق مثـل ماكهيـل أن يفهمـه؟

لم أكُـن أبـدًا وحيـدًا مثلـما كُنـت عليـه في إعجـابي بعمـل هـذا القاتـل الحقيقـي، بـدت أجـزاء الجسـد وكأنهـا تغنـي لي، افتتـاني بالأعجوبـة الخاليـة مـن الدمـاء أضـاء قلبـي وغمـر عروقـي بإحسـاسٍ أثملتـه الرهبـة، لكـن مـن المؤكّـد أنـه لـن يتدخّـل في حماسـتي للقبـض عـلى القاتـل الحقيقـي، جـلّاد الأبريـاء البـارد الوحـشي الـذي يجـب حتـمًا تقديمـه للعدالـة، أليـس كذلـك يـا ديكسـتر؟ أليـس كذلـك؟ مرحبًـا؟

جلسـت في شـقتي، أفـرك عينـيّ الناعسـتين مـن أثـر النـوم وأفكّـر بشـأن العـرض الـذي شـاهدته لتـوي، كان أقـرب مـا يكـون للمؤتمـر الصحفـي المثـالي دون طعـام مجـاني أو عـري، مـن الواضـح أن لاجويرتـا جذبـت كُل خيـط طالتـه يدهـا لجعلـه أكـبر مؤتمـر صحفـي مُمكِـن، وقـد كان كذلِـك، ولأول مـرة في مسـيرتها المهنيّـة المُطعّمـة بمُنتجـات جوتـشي، كانـت لاجويرتـا مُقتنِعـة تمـام الاقتنـاع أنهـا قبضـت عـلى الرجـل الصحيـح، كان عليهـا أن تُصـدِّق ذلـك، وكان هـذا مُحزنًـا نوعًـا ما، في الحقيقـة.. اعتقـدت أنهـا قامَـت بـكُل شيء بطريقـةٍ صحيحـةٍ هـذه المـرة، لم تكُـن تقـوم بخطـواتٍ سياسـيةٍ فحسـب؛ في عقلهـا.. كانـت تقوم بعمـلٍ نظيـفٍ، جيـدٍ، وذكي، قامَـت بحـل الجريمـة، بطريقتهـا الخاصـة؛ أمسـكت بالرجـل السيئ، أوقفـت جرائـم القتـل، ستُلاقي استحسـانًا في كُل مـكان عـن عملهـا الجيـد، ويـا لهـا مـن مُفاجـأة رائعـة سـتنتظرها حـين تظهـر الجُثـة القادمـة.

لأننـي كُنـت أعـرف بمـا لا يَـدَع مجـالًا للشـك أن القاتـل لا يـزال طليقًـا، عـلى الأرجَـح يُشـاهِد المؤتمـر الصحفـي عـلى القنـاة السـابعة، القنـاة المُفضّلـة للأشـخاص المُهتمـين بالمجـازِر، في الوقـت الحـالي.. سـيضحك بشـدةٍ لدرجـة أن لـن يسـتطيع أن يُمسِـك بالنصـل، لكـن هـذا سـيمُر، وعندمـا يحـدُث ذلـك.. سـتدفعه روح الدعابـة لديـه للتعليـق عـلى الأمـر دون شـك.

لسـببٍ مـا.. تغمـرني الفكـرة بالخـوف، البغـض، والعـزم الـشرس عـلى إيقـاف هـذا الرجـل المجنـون قبـل فـوات الأوان، وبـدلًا مـن ذلـك.. شـعرت بارتفـاعٍ طفيـفٍ في الترقُّـب، كُنـت أعلـم أن هـذا خاطئًـا تمامًـا، وربمـا جعلـه هـذا يشـعُر بأنـه أفضـل قليـلًا، أريـد إيقـاف هـذا القاتِـل، تقديمـه للعدالـة، أجـل.. بالتأكيـد، لكـن هـل يجـب أن يكـون هـذا قريبًـا؟

كانـت هنـاك أيضًـا مُقايضـة صغـيرة يجـب القيـام بهـا، إذا كُنـت سـأقوم بـدوري الصغـير لإيقـاف القاتِـل الحقيقـي، فحينئـذ ينبغـي عـلى الأقـل أن أجعـل شـيئًا إيجابيًـا يحـدُث في الوقـت نفسـه، وكـما توقّعـت.. رنّ هاتفـي.

قُلت عبر جهاز الاستقبال: «أجل، رأيت الأمر».

قالـت ديـبرا مـن الجهـة الأخـرى: «اللعنـة، أعتقِـد أننـي سـأصاب بالمـرض».

«حسـنًا، لـن أمسَـح جبينـكِ المحمـوم يـا أختـي، هنـاك عمـل يتعـيَّن علينـا القيـام بـه».

كرَّرت: «اللعنة، أي عمل؟».

سألتها: «أخبريني، هل تشعرين بالمرض حقًّا يا أختي؟».

«أنـا مُتعبـة يـا ديكسـتر، غاضبـة أكـثر مـما كُنـت عليـه طـوال حيـاتي، مـاذا يطلقـون عـلى ذلـك في اللغـة الإنجليزيـة؟».

"أسـألكِ إذا مـا كُنـت تمريـن بالحـال الـذي كان والـدي يُطلِـق عليـه (بيـت الكلـب)، هـل تلـوَّث اسـمكِ في القسـم؟ هـل تلوَّثـت سُـمعتكِ المهنيـة، تدمَّـرِت، تلطَّخـت، سـاءت، أو أصبحـت عرضـة للشـك؟".

قالـت بصـوتٍ أكـثر حزنًـا مـما توقَّعـت أن بإمـكان شـخص صغـير أن يشـعُر بـه: "مـا بـين طعـن لاجويرتـا لي في الظهـر ومسـألة لقـب آينشـتاين؟ سُـمعتي المهنيـة سـيئة".

"جيد، من المُهِم ألا يكون لديكِ أي شيء لتخسريه".

نخـرت قائلـة: "سـعيدة أن بإمـكاني المُسـاعدة، لأننـي هنـاك يـا ديكسـتر، إذا تراجعـت أكـثر مـن ذلـك في القسـم، فسـأقوم بعمـل القهـوة لقسـم العلاقـات العامـة، إلى أيـن يذهَـب هـذا يـا ديكـس؟".

أغلقـت عينـيّ وأسـندت ظهـري عـلى مقعـدي، وقُلـت: "سـتُخبرين

النقيب، والقسم بأكمله، أنكِ تعتقدين أن داريل إيرل هو الرجل الخاطئ، وأن هناك جريمة قتل أخرى ستقع، وستقدمين بضعة أسباب مُقنِعة كان قد تم استبعادها من تحقيقكِ، وستكونين أضحوكة قسم شُرطة ميامي لبعض الوقت".

قالت: "لا يهم، أنا بالفعل كذلك، لكن هل هناك سبب لذلك؟".

هززت رأسي، من الصعب عليّ أحيانًا أن أصدِق أنها قد تكون ساذجة لهذه الدرجة، قُلت: "يا شقيقتي العزيزة، أنتِ لا تصدقين أن داريل إيرل مُذنِب حقًّا، أليس كذلك؟".

لم تُجِب، كان بإمكاني سماع صوت تنفسها، خَطَر لي أنها يجب أن تكون مُتعبة أيضًا، مثلي تمامًا، لكن بدون دفقة الطاقة التي أحصل عليها من كوني مُتأكدًا من أنني كُنت على حق.

"ديب؟".

كان بإمكاني سماع الإرهاق الحاد في صوتها وهي تقول في النهاية: "لقد اعترَف الرجل يا ديكستر، أنا لا.. لقد كُنت مُخطِئة من قبل، حتى عندما.. أقصد.. لكنه اعترف، أليس ذلك.. ذلك.. اللعنة، ربما يجب أن نستسلِم يا ديكس".

قُلت: "تحلي ببعض الإيمان، لقد قبضتُ على الرجل الخاطئ يا ديبرا، وأنتِ الآن بصدد إعادة كل شيء لنصابه الصحيح".

"بالطبع سأقوم بالأمر".

قُلت: "داريل إيرل ليس القاتِل، لا يوجد شك في ذلك على الإطلاق".

قالت: "حتى لو كُنت على حق، فماذا في ذلك؟".

والآن جاء دوري لأتعجَّب: "معذرة؟".

"حسنًا، انظر، لو كُنت أنا القاتلة، فكيف لي ألا أدرِك أنني في أمان

الآن؟ خصوصًا مع اعتقال هذا الرجل الآخر، انتهى الأمر، فلماذا لا أتوقَّف فحسب؟ أو حتى أذهَب لمكانٍ آخر لأبدأ من جديد؟".

قُلت: "مُستحيل، أنتِ لا تفهمين كيف يُفكِّر هذا الرجل؟".

قالت: "أجل، أنا أعرِف ذلك، لكن كيف لك أن تفهم؟".

اخترت تجاهُل هذا وأنا أقول: "سيبقى هنا، وسيقتُل مرة ثانية، عليه أن يُظهِر لنا كُل ما يُفكِّر به".

"وما هو؟".

قُلت مُعترفًا: "هذا ليس جيدًا، لقد فعلنا شيئًا غبيًّا بإلقاء القبض على شخص أحمق بوضوح مثل داريل إيرل، هذا مُضحِك".

قالت ديب دون استمتاع: "ها ها".

"لكننا أيضًا قُمنا بإهانته، لقد منحنا هذا المُتخلِّف التافه ذو العقل الميت كُل الفضل في عمله، وهو الأمر الذي يُشبه إخبار جاكسون بولوك أن ابنك ذا الست السنوات بإمكانه رسم هذا".

"جاكسون بولوك؟ الرسَّام؟ هذا الرجل جزَّار يا ديكستر".

"إنه فنان بطريقته الخاصة يا ديبرا، وهو يُفكِّر في نفسه بهذه الطريقة".

"بحق المسيح، هذا هو أغبى شيء...".

"ثقي بي يا ديب".

"بالطبع أثق بك، لماذا لا أثق بك؟ إذًا لدينا فنان مُستمتع غاضِب لن يذهب إلى أي مكان، أليس كذلك؟".

قُلت: "أجل، سيتحتَّم عليه القيام بذلك مرة أخرى، ويجب أن يتم الأمر تحت أنوفنا، وعلى الأرجَح سيكون أكبر قليلًا".

"هل تقصد أنه سيقتل عاهرة سمينة هذه المرة؟".

"أكبر في القيمة يا ديبرا، أكبر في المفهوم، شيء لافِت للنظر أكثر".

"بالطبع لافت للنظر أكثر، مثل شخص أكثر انتشارًا".

"زادت المخاطِـر يـا ديبـس، لقـد دفعنـاه وأهنـاه قليـلًا، وسـتكون جريمـة القتـل التاليـة انعكاسًـا لذلـك".

قالت: "حسنًا، وكيف سيحدث هذا؟".

اعترفت قائلًا: "لا أعرف حقًّا".

قالت: "لكنك مُتأكِّد".

"هذا صحيح".

"حسنًا، الآن أنا أعرف ما الذي أنتظره".

الفصل الثالث عشر

عَرِفت عندما دخلت من بابي الأمامي بعد عودتي من العمل يوم الاثنين أن أمرًا ما قد حدث، كان هناك شخص ما في شقتي.

لم يكُن الباب مكسورًا، لم تكُن النوافِذ مخلوعة، ولم أستطِع رؤية أي علامات اقتحام، لكنني عَرِفت، سَمِّها الحاسة السادسة أو أي شيء تُريده، كان شخصًا ما هنا، ربما كُنت أشم رائحة الفيرمونات التي تركها المُقتحِم مُعلَّقة في جزيئات الهواء، أو ربما كانت هالة كرسي الليزي بوي الخاص بي مُضطرِبة، لا يهم كيف عَرِفت، لكنني عَرِفت، كان هناك شخص ما في شقتي أثناء تواجدي في العمل.

قد يبدُو الأمر وكأنها ليست مُشكلة كبيرة، ففي النهاية.. هذه هي ميامي، يعود الناس لمنازلهم كُل يوم ليكتشفوا سرقة أجهزة التلفاز الخاصة بهم، ليجدوا أن مجوهراتهم وأجهزتهم الإلكترونية قد اختفت، أن مساحتهم الشخصية تم انتهاكها، وأن مُمتلكاتهم تم السطو عليها، وأن الكلبة الخاصة بهم حامِل، لكن هذا كان مُختلِفًا، حتى عندما أجريت بحثًا سريعًا في شقتي، كُنت أعرِف أنني لن أجد أي شيء مفقود.

وكُنت مُحقًّا، لم يكُن هناك شيء مفقود.

لكن تم إضافة شيء ما.

استغرقني الأمر بضع دقائق لأجده، أفترِض أن بعض الاستنتاجات الناتِجة عن العمل جعلتني أتحقَّق من الأشياء الواضِحة أولًا، عندما يقوم مُقتحِم بزيارتك، من الطبيعي للغاية أن تختفي أشياؤك؛ الألعاب، المُقتنيات الثمينة، الأشياء الخاصة، وآخر قطع بسكويت

رقائـق الشـوكولاتة، لـذا تحقَّقـت منهـا.

لكـن كُل أشـيائي كانـت عـلى مـا يُـرام؛ الحاسـوب، نظـام الصـوت، التلفـاز، وجهـاز الفيديـو، كُل شيء كان في المكان الـذي تركتـه بـه، حتـى مجموعتـي الصغـيرة مـن الشرائـح الزجاجيـة الثمينـة كانـت مُخبـأة بعيـدًا في خزانــة الكتــب، وبــكُل واحــدة منهــم.. كانــت قطــرة مــن الدمـاء الجافـة في مكانهـا، كان كُل شيء كـما تركتـه تمامًـا، تحقَّقـت مـن المناطِـق الخاصـة بعـد ذلـك، فقـط لأتأكَّـد؛ الحـمَّام، غرفـة النـوم، كابينـة الأدويـة، كان كُل شيء عـلى مـا يُـرام أيضًـا، عـلى مـا يبـدو فـكُل شيء بخـير، ورغـم ذلـك.. كان هنـاك شـعور مُعلَّـق في الهـواء فـوق كُل غـرض منهـا أنـه تـم فحصـه، لمسـه، ووضعـه مكانـه مـرة أخـرى بحـرصٍ بالـغٍ ، بالرغـم مـن أن حتـى ذرات الغبـار كانـت في مكانهـا الصحيـح.

عُـدت إلى غُرفـة المعيشـة، غرقـت في مقعـدي، وبـدأت أتلفَّـت حـولي، شـعرت فجـأة بالشـك، أنـا مُتأكِّـد تمامًـا أن شـخصًا مـا كان هنـا، لكـن لمـاذا؟ ومـن في مُخيلتـي كان مُهتـمًّا للغايـة بي لدرجـة أن يـأتي ويُغـادِر منـزلي المتواضِـع تـاركًا كُل شيء كـما كان عليـه تمامًـا؟ لأنـه لا يوجـد أي شيء مفقـود، لا شيء مُضطـرِب، قـد تكـون كومـة الصحـف الموجـودة في صنـدوق إعـادة التدويـر مائلـة قليـلًا إلى اليسـار.. لكـن هـل هـذه مُخيلتـي فحسـب؟ هـل يُمكِـن أن يكـون نسـيم هـواء المُكيِّـف هـو مـن حرَّكهـا؟ لم يكُـن هنـاك شيء مُختلـف، لم يكُـن هنـاك شيء مُتغـيِّر أو مفقـود، لا شيء.

ولمـاذا قـد يقتحـم أي شـخص شـقتي مـن الأسـاس؟ لا يوجـد أي شيء مُميَّـز بهـا، لقـد حَرِصـت عـلى ذلـك، كان هـذا جـزءًا مـن بنـاء هـاري لمظهـري، اندمـج، تـصرَّف بشـكلٍ طبيعـي، بـل حتـى كُـن مُمـلًّا، لا تفعـل أو تمتلِـك أي شيء قـد يكـون سـببًا في لفـت الأنظـار، وهـذا مـا فعلتـه، لم يكُـن لـديّ أي أشـياء ثمينـة باسـتثناء جهـاز سـتريو وجهـاز كمبيوتـر،

كانـت هنـاك أهـداف أخـرى أكـثر جاذبيـة في الحـي نفسـه، وعـلى أي حـال.. لمـاذا يقتحِـم شـخص مـا مكانـًا ثـم لا يأخـذ أي شيء، لا يفعـل أي شيء، ولا يـترك أي علامـة؟ أسـندت ظهـري إلى الكـرسي وأغلقـت عينـيّ؛ مـن شـبه المؤكَّـد أننـي أتخيَّـل الأمـر برمتـه، هـذا بالتأكيـد مُجـرَّد أعصـاب مشوَّشـة، أحـد أعـراض قلـة النـوم والقلـق الشـديد بشـأن إصابـة مسـيرة ديـبرا المهنيـة بإصابـاتٍ بالغـةٍ، مُجـرَّد علامـة صغـيرة أخـرى عـلى أن ديكسـتر العجـوز المسـكين ينجـرِف إلى الميـاه العميقـة، ليجعـل هـذا الانتقـال الأخـير غـير مـؤلم مـن مُختـل اجتماعيًّـا إلى مُختـل نفسـيًّا، ليـس مـن الجنـون بالـضرورة في ميامـي أن تظُـن أن لديـك أعداء مجهولـين، لكـن التـصرُّف عـلى هـذا النحـو.. أمـر غـير مقبـول اجتماعيًّـا، وسـيضطرون لوضعـي في مصحـة نفسـية في النهايـة.

ورغـم ذلـك.. كان الشـعور قويًّـا للغايـة، حاولـت أن أتخلَّـص منـه؛ مُجـرَّد وهـم، توتُّـر في الأعصـاب، عـسر هضـم عابِـر، وقفـت، مطَّـت جسـدي، أخـذت نفسًـا عميقًـا، حاولـت التفكـير في أفـكارٍ جميلـةٍ، لكـن لم يخطُـر لي شيء، هـززت رأسي وذهبـت إلى المطبـخ للحصـول عـلى كـوب مـاء، وكان هنـاك.

كان هناك.

وقفـت أمـام الثلاجـة ونظـرت، لا أعلـم لكـم مـن الوقـت كُنـت أحـدِّق بغبـاء.

مُعلَّـق عـلى الثلاجـة، مُثبَّـت مـن الشـعر بإحـدى قطـع مغناطيـس الفاكهـة الاسـتوائية الصغـيرة الخاصـة بي، كان رأس دميـة بـاربي، لا أتذكَّـر أننـي تركتـه هنـاك، لا أتذكَّـر أننـي أمتلِـك واحـدة مـن الأسـاس، تبـدو مـن الأمـور التـي سـأتذكَّرها.

لمسـت الـرأس البلاسـتيكي الصغـير، تأرجـح برفـقٍ قبـل أن يصطـدِم ببـاب المُـبرِّد مُسـبِبًا صوتًـا خافتًـا، دار في ربـع دائـرة صغـيرة قبـل أن

تنظُـر لي بـاربي مُحـذرةً، وبفضـول كلـب.. نظـرت للخلـف.

ودون أن أعـرِف مـا كُنـت أفعـل أو لمـاذا أفعلـه، فتحـت بـاب المُبرِّد، وبالداخِـل.. كان جسـد بـاربي يرقـد بحـذرٍ فـوق قمـة سـلة الثلـج، تـم خلـع السـاقين والذراعـين، وتـم قطـع الجسـد عنـد الخـصر، كُدِّسـت الأجـزاء بشـكلٍ مُرتـبٍ، لُفَّـت بدقـةٍ، ورُبِطَـت بشريـطٍ وردي، في واحـدة مـن أيـدي بـاربي كان هنـاك مُلحـق إضـافي صغـير، مـرآة زينـة خاصـة بهـا.

بعـد فـترة طويلـة أغلقـت بـاب المُبرِّد، كُنـت أرغَـب في الاسـتلقاء، في ضغـط خـدي عـلى المشـمَّع البـارِد.

بـدلًا مـن ذلـك.. مـددت خنـصري لأديـر رأس بـاربي، اصطـدم مـرة أخـرى ببـاب المبرِّد، أدرتـه ثانيـةً، واصطـدم ثانيـةً، مرحـى.. لـديّ هوايـة جديـدة.

تركـت الدميـة حيـث كانـت وعُـدت إلى مقعـدي، غرقـت بعُمـقٍ في الوسـائد وأنـا أغلِـق عينـيّ، أعلـم أنـه يجـب عـليّ أن أشـعر بالحنـق، بالضيـق، بالخـوف، وبالانتهـاك، أن أمتلـئ بالعـداء، بجنـون العظمـة، أو بالغضـب العـارِم، لكننـي لم أفعَـل، وبـدلًا مـن ذلـك.. شـعرت بالـ.. ماذا؟ شيء أكـثر بقليـلٍ مـن الـدوار، القلـق، أم تُـراني كُنـت مبتهجًـا؟

بالطبـع لم يكُـن هنـاك شـك في هويـة مـن كان في شـقتي، لم أتمكَّـن من اسـتيعاب فكـرة أن شـخصًا غريبًـا، لسـببٍ غـير مفهـوم، اختـار شـقتي بشـكلٍ عشـوائي لتكـون المـكان المثـالي لعـرض دميـة بـاربي مقطوعـة الـرأس.

لا، لقـد زارني فنـاني المُفضّـل، لم يكُـن مُهـمًّا كيـف وجـدني، كان مـن السـهل تدويـن رقـم لوحتـي ليلـة المُطـاردة عـلى طريـق الجـسر، كان لديـه مُتسـع مـن الوقـت ليُراقبنـي مـن مخبئـه خلـف محطـة الوقـود، ومـن ثـمّ.. يُمكِـن لأي شـخص لديـه خـبرة لا بـأس بهـا بأجهـزة الكمبيوتر

أن يجد عنواني، وبعد أن يعثُر عليه، سيكون من السهل بما فيه الكفاية أن يقتحِم المكان، يتفحَّص المكان بحرصٍ، ثم يترك رسالة.

وها هي الرسالة؛ الرأس المقطوع مُعلَّق، أجزاء الجسد مُكدَّسة بعنايةٍ في علبة الثلج الخاصة بي، وتلك المرآة اللعينة مرة أخرى، إلى جانِب النقص الحاد في الاهتمام بكُل شيء آخر في الشقة، كُل هذا بالإضافة لشيءٍ واحدٍ فقط.

لكن ماذا؟

ماذا يقول؟

كان بإمكانه ترك أي شيء أو لا شيء، كان بإمكانه طعن قلب بقرة بسكين لحم لعين على مفرشي، كُنت مُمتنًا أنه لم يفعَل -يا لها من فوضى- لكن لماذا باربي؟ بغض النظر عن الحقيقة الواضحة المُتمثّلة في أن تلك الدمية كانت انعكاسًا لجريمة قتله الأخيرة، فلماذا يُخبرني عنها؟ وهل كانت هذه رسالة أكثر شرًّا من الأخريات، أكثر صرامة.. أم أقل؟ هل هي رسالة (أنا أراقِبك وسأمسِك بك)؟

أم تُراه يقول (مرحبًا! هل تريد اللعب؟)، أريد، بالطبع أريد.

لكن ماذا عن المرآة؟ وجودها هذه المرة يعطي الأمر معنى يفوق الشاحنة والمُطاردة على طريق الجسر، يجب أن يعني هذا أكثر بكثير الآن، كُل ما استطعت التوصُّل له هو (انظر إلى نفسك) وكيف يكون هذا منطقيًّا؟ لماذا يجب أن أنظر إلى نفسي؟ لست مغرورًا بما فيه الكفاية لأتمتَّع بذلك، على الأقل.. أنا لست مغرورًا بشأن مظهري الجسدي، لماذا يجب عليّ أن أنظر إلى نفسي؟ بينما كان كُل ما أريده حقًّا هو رؤية القاتل؟ لذلك كان لا بُد من وجود معنى آخر للمرآة لم أستطِع فهمه.

لكن حتى هنا لم أستطِع أن أكون مُتأكِّدًا، من المُمكِن ألا يكون هناك أي معنى على الإطلاق، ويُمكِن أن تكون الرسالة خاصة،

مشوّهة، وشريرة، لم يكُن هناك أي طريقة لمعرفة ذلك، وبالتالي.. لم تكُن هناك أيضًا أي طريقة لمعرفة ما يجب أن أفعله حيال هذا الأمر، هذا في حال كان عليّ فعل أي شيء من الأساس.

اتخذت الاختيار الآدمي، من المُضحِك أن تُفكِّر في الأمر؛ أنا، أتخذ خيارًا آدميًّا، كان هاري سيكون فخورًا، آدميًّا.. قرَّرت ألا أفعل أي شيء، أنتظر وأرى، لن أبلِّغ عمّا حدث، ففي النهاية.. ما الذي كان هناك لأبلِّغ عنه؟ لا شيء مفقود، لا يوجد أي شيء ليُقال رسميًّا باستثناء: "يا كابتن ماثيوس، اعتقدت أنه يجب أن تعرف أنه على ما يبدو هناك شخص ما اقتحم شقتي، وترك دمية باربي في المُبرِّد الخاص بي".

سيحظى هذا بشهرةٍ واسعةٍ، كُنت على يقين أنه سينتشِر للغاية في القسم، ربما حتى سيقوم الرقيب دوكس بالتحقيق في الأمر بنفسه، وأخيرًا.. سيُسمَح له أن يُظهِر مواهبه المكبوتة في فن الاستجواب دون قيود، وربما سيقومون ببساطة بوضعي ضمن قائمة غير القادرين نفسيًّا على القيام بالعمل، جنبًا إلى جنب مع ديبرا المسكينة، حيث إن القضية مُغلقة بشكلٍ مبدئي، وحتى لو كانت لا تزال مفتوحة، فلا علاقة للأمر بدُمى باربي.

لا، لا يوجد حقًّا ما يُقال، وليس بأي طريقةٍ يُمكنني تفسيرها، لذلك.. ومع وجود خطر أن تضربني ديبرا بالكوع مرة أخرى، فلن أخبرها، لأسبابٍ لم أتمكَّن من البدء في شرحها، حتى لنفسي، كان هذا شخصيًّا، وبإبقائه شخصيًّا، ستكون هناك فرصة أكبر للتقرُّب من زائري، من أجل تقديمه للعدالة بالطبع، وبطبيعة الحال.. شعرت بالدوار قليلًا بعد أن اتخذت قراري، دائخ بعض الشيء، ليس لديّ أي فكرة عما قد يحدُث، صاحبني الشعور طوال الليل، وحتى في اليوم التالي في العمل، بينما كُنت أقوم بتجهيز تقرير معملي،

طمأنـت ديـب، وسرقـت كعكـة مُحـلاة مـن فينـس ماسـوكا، صاحبنـي أثنـاء قيـادتي لسـيارتي نحـو البيـت مـن خـلال الزحـام المـروري المسـائي الـذي قـد يدفَـع للقتـل، كُنـت في حالـة تأهُّـب هـادئ، مُسـتعِد لأي مُفاجـأة.

أو هكذا اعتقدت.

كُنـت قـد عُـدت لتـوي إلى شـقتي، جلسـت عـلى مقعدي، واسـترخيت، عندمـا رن هاتفـي، تركتـه يـرن، كُنـت أرغَـب في التنفُّـس لبضـع دقائـق، ولم أكُـن أفكّـر في أي شيء لا يسـتطيع الانتظـار، بالإضافـة إلى ذلـك.. كُنـت قـد دفعـت قُرابـة الخمسـين دولارًا مـن أجـل جهـاز الـرد عـلى المُكالمـات، لأتركـه يسـتحِق مـا دُفـع بـه.

رنتـان، أغلقـت عينـيّ، شـهيق، اسـترخ أيهـا الولـد الكبـير، ثـلاث رنـات، زفـير، عمـل جهـاز الـرد عـلى المُكالمـات وسـمعت رسـالتي اللبقـة المؤدّبة تعمل :

(مرحبًـا، أنـا لسـت موجـودًا الآن، لكننـي سـأعود إليـك فـورًا إذا مـا تركـت رسـالة بعـد الصفـارة، شـكرًا لـك).

يـا لهـا مـن نـبرة صـوت رائعـة! يـا لهـا مـن رسـالة مرحـة! رسـالة عظيمـة للغايـة حقًّـا، تبـدو وكأنهـا رسـالة آدميـة، كُنـت فخـورًا للغايـة، شـهيق آخـر، قبـل أن أسـتمِع للصفـارة! ومـن بعدهـا الرسـالة.

"مرحبًا، إنها أنا".

صـوت أنثـوي، ليسـت ديـبرا، شـعرت بأحـد جفنـيّ ينتفِـض في توتُّـر، لمـاذا يبـدأ الكثـير مـن الأشـخاص رسـائلهم لـ (إنـه أنـا)؟ بالطبـع إنـه أنـت، نعلـم هـذا جميعًـا، لكـن مـن أنـت بحـق الجحيـم؟ في حالتـي.. كانـت الخيـارات محـدودة نوعًـا مـا، كُنـت أعـرِف أنهـا ليسـت ديـبرا، ولا تبـدو مثـل لاجويرتـا، عـلى الرغـم مـن أن كُل شيء كان مُمكِنًـا، لذلـك تبقَّـت فقـط..

ريتا؟

تنفَّست بعُمق قبل أن تُضيف: "أنا آسفة، اسمع يا ديكستر، أنا آسفة، اعتقدت أنك ستتصل بي، وعندما لم تفعل، أنا فقط...".

صمتت وهي تتنفَّس بعُمقٍ مرة أخرى وتقول: "على أي حال، أنا بحاجة للتحدُّث، لأنني أدركت.. أقصِد.. اللعنة، هل بإمكانِك أن.. أن تتصل بي؟ إذا ما كُنت.. أنت تعرف".

لم أكُن أعرِف، لم أكُن أعرِف على الإطلاق، لست مُتأكِّدًا حتى من هويتها.

هل يُمكِن أن تكون هذه هي ريتا بالفعل؟

تنهيدة طويلة أخرى قبل أن تقول: "أنا آسفة على...".

لحظة صمت طويلة، نفسان عميقان كاملان، شهيق، زفير، شهيق، ثم زفير كالانفجار وهي تقول: "أرجوك اتصل بي يا ديكستر، فقط...".

لحظة صمت، تنهيدة أخرى، ثم أنهت الاتصال.

شعرت وكأنني أفتقِد لشيءٍ ما مرات عديدة في حياتي، يحمل الجميع قطعة أساسية من اللُغز معهم دون أن يُفكِّروا بالأمر، عادةً.. أنا لا أمانِع الأمر، لأن في مُعظَم تلك الأوقات يتضح أنها قطعة غبية من الإنسانية بشكلٍ لا يُصدَّق مثل فهم قاعدة ميدانية، أو عدم المضي قدمًا في الموعد الأول.

لكن في أوقات أخرى أشعر وكأنني أفتقِد مخزونًا كبيرًا من الحكمة، مُعتقَدًا لا أملكه، الذي يشعُر به البشر بعُمقٍ للدرجة التي تجعلهم لا يحتاجون للتحدُّث عنه، ولا يُمكِنهم حتى صياغته بالكلمات.

كان هذا هو أحد تلك الأوقات.

أعلم أنه من المُفترَض أن أفهم أن ريتا كان تحاول أن تقول شيئًا مُحددًا للغاية، وأن توقّفها وتلعثمها أضافا شيئًا رائعًا وعظيمًا يُمكِن للذكر البشري أن يفهمه بشكلٍ غريزي، لكن ليس لديّ أي فكرة عما قد يكونه الأمر، أو كيفية اكتشافه، هل يجب أن أحصي الأنفاس؟ أقدر توقيت الوقفات وأحولها إلى أرقام آيات من الكتاب المُقدَّس من أجل الوصول لرمزٍ سري؟ ماذا كانت تحاوِل أن تخبرني؟ ولماذا كانت تحاول أن تخبرني بأمرٍ ما في هذا الصدد على الإطلاق؟

على حد فهمي للأمور، عندما قبّلت ريتا بهذا الدافِع الغبي والغريب، تجاوزت حدًّا كُنا قد اتفقنا على عدم تجاوزه، لكن بالقيام بهذا الأمر، لا مجال للتراجع، بالنسبة إليها كانت القبلة نوعًا من الجريمة، على أي حال.. كان من المُريح التفكير بذلك، لقد قتلت علاقتنا الحذرة عن طريق حشر لساني في قلبها قبل أن أدفعها من فوق جرف، وفجأة.. علاقة ميتة، لم أفكِّر حتى في ريتا منذ هذا الحين، كانت قد انتهت، ودُفعَت خارج حياتي بسبب نزوة غير مفهومة، وها هي الآن تتصل بي وتترك لي تسجيلًا لأنفاسها كنوع من أنواع التسلية.

لماذا؟ هل أرادت أن تعاقبني؟ أن تنعتني بألقاب، تفرك أنفي في حماقتي، تجبرني على فهم مدى ضخامة إهانتي؟

بدأ الأمر برمته يزعجني بشكلٍ كان فوق قدرتي على الاحتمال، تجوّلت في شقتي، لماذا يجب عليّ التفكير في ريتا على الإطلاق؟ لديّ مخاوف أكثر أهمية في الوقت الحالي، كانت ريتا تنكري، زيًّا تنكريًّا لطفلٍ سخيفٍ أرتديه في عطلات نهاية الأسبوع لإخفاء حقيقة أنني من النوع الذي يفعل تلك الأشياء المُثيرة للاهتمام التي يفعلها زميلي هذا، بينما لم أكُن كذلك.

هل كانت هذه غيرة؟ بالطبع لم أكُن أفعل تلك الأمور، كُنت

قـد انتهيـت منهـا للتـو في الوقـت الحـالي، وبالتأكيـد لـن أفعـل هـذا في أي وقـت قريـب، مُخاطـرة كبـيرة، كـما أننـي لم أقُـم بتحضـير أي شيء.

ورغم ذلك..

عُـدت إلى المطبـخ، ونقـرت رأس بـاربي، اصطـدم مرتـين، يبـدو أننـي أشـعر بـشيءٍ مـا هنـا، مـزاج؟ قلـق عميـق ودائـم؟ غـيرة مهنيـة؟ ليـس بإمـكاني القـول، وبـاربي ليـس بإمكانهـا التحـدُث.

كان هــذا مُبالغًــا فيــه، الاعــتراف المُزيَّــف بشــكلٍ واضــحٍ، انتهــاك حرمتـي الداخليـة، والآن ريتـا؟ يُمكِـن للمـرء أن يتحمَّـل بمـا فيـه الكفاية، حتـى لـو كان رجـلًا مُزيفًـا مثـلي، بـدأت أشـعر بعـدم الاسـتقرار، الـدوار، الارتبـاك، النشـاط المُفـرِط، والخمـول في الوقـت ذاتـه، مشـيت نحـو النافـذة ونظـرت للخـارِج، حـلّ الظـلام، وبعيـدًا في السـماء لمـع ضـوء مـا، هنـاك فـوق المـاء، وعـلى مـرأى مـن ذلـك.. ارتفـع صـوت صغـير وشريـر ليلتقـي بـه في مـكانٍ مـا بداخلـه.

القمر.

همـس في أذني، لم يرتـق حتـى ليكـون صوتًـا، مُجـرّد إحسـاس طفيـف لشــخصٍ مــا يهمــس باســمك، بالــكاد مســموع، في مــكان مــا قريــب، قريـب للغايـة، وربمـا أقـرب، دون كلـمات عـلى الإطـلاق، مُجـرَّد حفيـف جــاف دون صــوت، نغمــة غــير مســموعة، فكــرة في نَفَــس، شــعرت بوجهـي يسـخَن، وكان بإمـكاني فجـأة أن أسـمَع صـوت تنفـسي، تـردَّد الصـوت مـرة أخـرى، صـوت خافـت يسـقُط عـلى الحافـة الخارجيـة لأذني، اسـتدرت، عـلى الرغـم مـن معرفتـي بأنـه ليـس هنـاك أحـد، وأنهـا ليسـت أذني، بـل هـو صديقـي العزيـز الموجـود بالداخِـل، يعـود للحيـاة بفضـل شيء لا أعرفـه وبفضـل القمـر.

يـا لـه مـن قمـر ثرثـار سـعيد وسـمين، كان لديـه مـا يريـد قولـه، وبقــدر مــا حاولــت أن أخــبره أن الوقــت غــير مُناسِــب، وأنــه مُبكِّــر

للغايـة، وأن هنـاك أشـياء أخـرى يجـب القيـام بهـا، أشـياء أكـثر أهميـة، كان القمـر لديـه مـن الكلـمات مـا يكفـي كُل ذلـك ويزيـد، وعـلى الرغم مـن أننـي وقفـت هنـاك لمُـدة ربـع سـاعة وجادلتـه، فـإن الأمـر لم يكُـن موضِـع تسـاؤل قـط.

زاد يـأسي، قاومتـه بـكُل الخـدع التـي أملكهـا، وعندمـا فشـل هـذا، فعلـت شـيئًا هـزّني مـن داخـلي، اتصلـت بريتـا.

قالــت: "ديكســتر، أنــا فقــط.. كُنــت خائفــة، شــكرًا لاتصالــك، أنــا فقــط...".

قُلت: "أعرِف".

عـلى الرغـم مـن كـوني لا أعـرِف، قبـل أن تُضيـف: "هـل بإمكاننـا أن.. لا أعـرف مـا الـذي.. هـل يُمكننـي أن أراكَ في وقـتٍ لاحـقٍ و.. أود حقًّـا التحـدُّث إليـكَ".

أجبتها قائلًا: "بالطبع".

اتفقنـا عـلى أن نلتقـي في وقـتٍ لاحـقٍ في منزلهـا، تسـاءلت عـما قـد يـدور في خلدهـا، عنـف؟ دمـوع ظلـم؟ تهديـد؟ حديـث جـاف؟ كُنـت عـلى أرضٍ غريبـةٍ هنـا، بإمـكاني أن أقـع في أي فـخ.

بعـد أن أنهيـت المُكالمـة، شـتتني الأمـر برمتـه بشـكلٍ رائـعٍ لمـدة نصـف سـاعة تقريبًـا قبـل أن يعـود الصـوت الداخـلي الخافِـت ليتسـلَّل إلى عقـلي بـإصراره الهـادئ عـلى أن هـذه الليلـة يجـب أن تكـون ليلـة مُميَّـزة.

شـعرت بنفـسي أعـود للنافـذة مـرة أخـرى، وهـا هـو ثانيـةً، الوجـه السـعيد الضخـم الموجـود في السـماء، القمـر الضاحِـك، سـحبت السـتارة واسـتدرت، بـدأت بالتجـوّل في شـقتي مـن غرفـةٍ لأخـرى، ألمـس الأشـياء، أخـبر نفـسي أننـي أتفحَّصهـا مـرة أخـرى بحثًـا عـن أي شيء مفقـود،

رغـم علمـي أن لا شيء مفقـود، ومعرفـة سـبب ذلـك أيضًـا، وفي كُل مـرة كُنـت أدور فيهـا حـول الشـقة، كُنـت أقـترِب أكـثر وأكـثر مـن المكتـب الصغـير الموجـود في غُرفـة المعيشـة حيـث أحتفِـظ بحاسـوبي، عالمًـا بمـا أريـد القيـام بـه وغـير راغِـب في فعـل ذلـك، في النهايـة.. بعـد ثلاثـة أربـاع سـاعة، كان الأمـر أقـوى منـي، شـعرت بـدوار شـديد لم أقـدر معـه عـلى الوقـوف، فكَّـرت في الجلـوس عـلى المقعـد لأنـه كان قريبًـا بمـا فيـه الكفايـة، وبمـا أننـي كُنـت هنـاك عـلى أي حـال، قُمـت بفتـح جهـاز الكمبيوتـر، وبمُجـرَّد أن بـدأ التشـغيل..

لكن لم يتم هذا، فكَّرت أنني لست مُستعدًا.

وبالطبـع.. لم يكُـن ذلـك مُهـمًّا، سـواء كُنـت مُسـتعدًّا أو لا، لم يُشـكِّل هـذا أي فـارِق عـلى الإطـلاق، كان هـو مسـتعدًّا.

الفصل الرابع عشر

كُنت على يقين من أنه المنشود، تقريبًا، لم أكُن متأكِّدًا بشكلٍ تقريبي من قبل، شعرت بالضعف، بالسُّكْر، بقليل من المرض، مع مزيج من الإثارة، عدم اليقين، والخطأ التام، لكن بالطبع.. كان الراكِب المُظلِم يتولى القيادة من المقعد الخلفي الآن، ولم يكُن مهمًّا كيف أشعر، لأنه كان يشعُر بالقوة، البرد، التوق، والاستعداد، كان بإمكاني أن أشعر به يتضخَّم بداخلي، يتصاعد من أركان ديكستر المُظلِمة الموجودة في عقلي، وهو ارتفاع وتورُّم لا يُمكِن أن ينتهي إلا في اتجاهٍ واحدٍ، ولأن هذا هو الحال.. فيجب أن يتم الأمر بهذه الطريقة.

كُنت قد وجدته من عدة شهور، لكن بعد قليل من المُراقبة قرَّرت أن الكاهِن هو المنشود، وأن بإمكان هذا أن ينتظر قليلًا إلى أن أكون متأكِّدًا تمامًا.

كم كُنت مخطئًا، وجدت الآن أنه لا يستطيع أن ينتظر على الإطلاق.

يعيش في شارعٍ صغيرٍ في كوكونوت جروف، على بعد بضع بنايات من منزله الصغير المتواضِع يتحوَّل الحي إلى مساكِن سوداء خاصة بذوي الدخل المُنخفِض، حدائق للشواء، وكنائس مُتداعية، وعلى بُعد نصف ميل في الجهة المُقابِلة.. يعيش المليونيرات في منازِل حديثة ضخمة، وكانوا قد قاموا ببناء أسوار مرجانية اللون لإبعاد من هم على شاكلته، لكن جيمي جاورسكي كان في المُنتصف، يقيم في منزل يتقاسمه مع مليون صرصور بالميتو ومع أبشع كلب رأيته في حياتي.

ورغم ذلك.. كان لا يزال هذا منزلًا لم يجب أن يكون قادِرًا على تحمُّل تكلفته، كان جاورسكي يعمل عامل نظافة بدوامٍ جزئي في مدرسة بونس دي ليون جونيور الثانوية، وعلى حد علمي.. كان هذا هو مصدر دخله الوحيد، كان يعمل ثلاثة أيام في الأسبوع، وهذا بالكاد قد يكفيه للعيش، لكن ليس أكثر من ذلك، بالطبع لم أكُن مهتمًّا لأمره، لكنني كُنت مهتمًّا جدًّا بحقيقة أن هناك زيادة صغيرة لكنها مهمة في اختفاء الفتيات من بونس منذ بدأ جاورسكي في العمل هناك، كلهن فتيات من ذوات الشعر الفاتِح، وتتراوَح أعمارهن بين الثانية عشرة والثالثة عشر.

ذوات شعر فاتح، كان هذا مُهمًّا، ولسببٍ ما.. كان هذا هو نوع التفاصيل التي تتجاهلها الشُّرطة، لكنها تلقي القبض دائمًا على شخص مثلي، ربما لا يبدو هذا صحيح أخلاقيًّا، لكن ذوات الشعر الداكِن، وصاحبات البشرة الداكنة، يجب أن يحظين بفرصٍ متساويةٍ للاختطاف، الاعتداء الجنسي، والقتل أمام الكاميرات، ألا تعتقد هذا؟

جاورسكي أيضًا غالبًا ما يكون آخر من شاهد الطفل المفقود، تحدَّثت إليه الشُّرطة، احتجزوه طوال الليل، استجوبوه، ولم يتمكَّنوا من إلصاق أي تهمة به، بالطبع يجب عليهم تلبية بعض المتطلبات القانونية البسيطة، مثل التعذيب كمثال، لكن هذا كان موضع استياء في الآونة الأخيرة، لذلك في مُعظم الأوقات، ودون بعض الإقناع القوي للغاية، لم يتحدَّث جيمي جاورسكي عن هوايته، أعلم أنه لم يكُن ليفعل.

لكنني كُنت أعرِف أنه يفعل ذلك، كان يُساعِد تلك الفتيات على الاختفاء سريعًا وبشكلٍ نهائي، كُنت مُتأكِّدًا تقريبًا، لم أجد أي أجزاء جسد بعد ولم أره يفعل الأمر، لكن كُل شيء يُشير إليه، وقد تمكَّنت من تحديد بعض الصور المُتلاعَب بها بشكلٍ خاص لثلاث من تلك

الفتيات المفقودات، لم يبدوا سعيدات للغاية في تلك الصور، على الرغم من أن بعض الأشياء التي كُن يفعلنها كان من المُفترض بها أن تجلب لهن الفرح، كما قيل لي.

لم أستطِع الربط بين جاورسكي وبين الصور بشكلٍ كاملٍ، لكن عنوان صندوق البريد كان جنوب ميامي، على بُعد عدة دقائِق من المدرسة، بالإضافة لكونه يعيش فوق إمكانياته، على أي حال.. كان الراكِب المُظلِم يذكرني بإلحاحٍ شديدٍ من الخلف بأن الوقت قد نفد، وبأنه في هذه القضية.. لم يكُن تمام اليقين مُهِمًّا للغاية.

لكنني كُنت قلِقًا من الكلب القبيح، لطالما كانت الكلاب مُشكلة، لا يحبونني وغالبًا ما يرفضون ما أفعله بأسيادهم، خاصةً وأنني لا أشاركهم القطع الجيدة، كان عليّ أن أجِد طريقة لتفادي كلب جاورسكي، ربما خَرَج، لكن لو لم يفعل، سيتحتَّم عليّ إيجاد طريقة للدخول.

مررت بجوار منزل جاورسكي ثلاث مرات لكن لم يخطُر ببالي أي شيء، كُنت بحاجة لقليلٍ من الحظ، وكُنت بحاجة إليه قبل أن يجعلني الراكِب المُظلِم أفعل شيئًا طائشًا، وبينما بدأ صديقي العزيز يهمس بمُقترحات تفتقِر إلى الحكمة، حالفني القليل من الحظ، خَرَج جاورسكي من منزله وركب شاحنته التويوتا الصغيرة الحمراء بينما كُنت أقود سيارتي، أبطأت من سرعتي قدر الإمكان، وفي أقل من دقيقة كان قد انطلَق بشاحنته الصغيرة نحو طريق دوجلاس، استدرت وتبعته.

لم يكُن لديّ أي فكرة عن كيفية القيام بذلك، لم أكُن مُستعدًّا، ليس لديّ غرفة آمنة، لا معاطِف نظيفة، ولا شيء سوى بكرة من الشريط اللاصِق وسكين تحت مقعدي، عليّ أن أظل خفيًّا، غير مرئي، غير مُلاحَظ، ومثاليًّا، ولم يكُن لديّ أي فكرة عن كيفية القيام

بذلـك، أكـره الارتجـال، لكنـه لم يـترك لي أي خيـار.

ومـرة أخـرى.. كُنـت محظوظًـا، كان الزحـام المـروري خفيفًـا بينـما كان جاورسـكي يقـود سـيارته جنوبًـا نحـو طريـق أولـد كاتلـر، وبعـد ميـل أو مـا يُقـارِب ذلـك اسـتدار يسـارًا نحـو المـاء، كان هنـاك تطويـر جديـد ضخـم آخـر لتحسـين الحيـاة لنـا جميعًـا عـن طريـق تحويـل الأشـجار والحيوانـات إلى كُتـل إسـمنتية يعيـش بهـا كبـار السـن مـن نيـو جيرسي، قـاد جاورسـكي سـيارته ببـطء بـين البنايـات، عبر نصـف ملعـب جولـف عـارٍ مـن العشـب لكـن الأعـلام كانـت في مكانهـا، إلى أن وصـل تقريبًـا إلى المـاء، طمـس الهيـكل العظمـي لكتلـةٍ كبـيرةٍ نصـف مُكتمِلـةٍ مـن الوحـدات السـكنية ضـوء القمـر، تراجعـت للخلـف، أطفـأت المصابيـح الأماميـة، ثـم اقتربـت قليـلًا بمـا يكفـي لأرى مـا كان ولـدي عـلى وشـك القيـام بـه.

توجَّـه جاورسـكي إلى جانـب مـا سـيكون وحـدات سـكنية قريبًـا قبـل أن يتوقَّـف، نـزل ووقـف بـين شـاحنته الصغـيرة وكومـة ضخمـة مـن الرمـال، ولدقيقـة كاملـة ظـلّ يتلفَّـت حولـه، انحنيـت للأسـفل وأغلقـت المُحـرِّك، حـدَّق جاورسـكي في الوحـدة السـكنية ثـم في الطريـق نحـو المـاء، بـدا راضيًـا وهـو يتوجَّـه نحـو البنايـة، كُنـت مُتأكِّـدًا للغايـة أنـه يبحَـث عـن حارسـها، لأننـي كُنـت أفعـل هـذا بـدوري، كُنـت آمـل أن يكـون قـد قـام بالاسـتعداد جيـدًا، غالبًـا.. في مثـل هـذه التطويـرات الضخمـة، يتجـوَّل حـارِس واحـد مـن موقـعٍ إلى موقـع في سـيارة جولـف صغـيرة، يوفـر هـذا النقـود، وعـلى أي حـال.. هـذه ميامـي، نسـبة مُعيَّنة مـن النفقـات العامـة لأي مـشروع تُخصَّـص للمـواد التـي مـن المتوقَّـع لهـا أن تختفـي ببسـاطة، بـدا لي أن جاورسـكي خطَّـط لمُسـاعدة عـمّال البنـاء عـلى تلبيـة حصتهـم الكاملـة.

نزلـت مـن سـيارتي ووضعـت السـكين والشريـط اللاصِـق في حقيبـة

رخيصة كُنت قد أحضرتها معي، كُنت قد حشوتها ببعض قفازات البستنة المطاطية والقليل من الصور، ليس الكثير، مُجرَّد ثلاث صور قُمت بتنزيلها من على الإنترنِت، وضعت الحقيبة على كتفي وتحرَّكت بهدوء وسط ظلام الليل البهيم إلى أن وصلت لشاحنته الصغيرة، كان الصندوق خاليًا مثل الكابينة، أكوام من أكواب وأغلفة شطائر برجر كينج، علب سجائر كاميل خالية مُلقاة أرضًا، كُل شيء كان صغيراً وقذرًا، مثل جاورسكي نفسه.

نظرت إلى الأعلى، كان بإمكاني رؤية توهُّج القمر فوق حافة المبنى نصف الكامِل، هبَّت رياح ليلية على وجهي، مُعبَّقة بكُل روائح جنتنا الاستوائية الساحرة؛ زيت الديزل، النباتات المُتحلِّلة، والإسمنت، تنفَّست بعُمقٍ وأنا أعود بتفكيري نحو جاورسكي، كان موجودًا في مكانٍ ما داخل المبنى، لم أكُن مُتأكِّدًا من مقدار الوقت الذي أملكه، وحثَّني صوت صغير مُعيَّن على الإسراع، تركت الشاحنة ودخلت المبنى، وبمُجرَّد أن دخلت من الباب.. سمعته، أو بمعنى أصح.. سمعت صوت طنين غريب وغامض، كان لا بد أن يكون هذا صوته.

أو..

توقَّفت، أتى الصوت من جانِب واحد فحسب، شعرت بهمسه تحت قدمي، نظرت للأنبوب الموجود على الحائط، هذه قناة كهربائية، وضعت يدي على الأنبوب وشعرت به يهتز، كما لو كان هناك شيء ما بالداخِل يتحرَّك.

لمعت فكرة صغيرة في ذهني، جاورسكي يجذِب السلك، النحاس باهِظ الثمن، والسوق السوداء للنحاس بجميع أشكاله كانت مُزدهِرة، كانت تلك طريقة أخرى لزيادة راتبه الضئيل، تُساعده في تغطية الفترات الطويلة المليئة بالفقر التي يمُر بها بين شابة

مُختفيـة وأخـرى، يُمكنـه جنـي عـدة مئـات مـن الـدولارات مُقابـل حمولـة واحـدة مـن النحـاس.

الآن.. بعـد أن عَرِفـت مـا كان يفعـل، بـدأ مُخطَّـط غامـض لفكـرة تولـد في ذهنـي، طبقًـا للصـوت، فهـو فوقـي في مـكانٍ مـا، كان بإمـكاني تعقّبـه بسـهولةٍ، تتبعـه إلى أن يحـين الوقـت المُناسِـب، ثـم الانقضـاض، لكـن عمليًّـا.. كُنـت عاريًـا تمامًـا هنـا، مكشـوفًا للغايـة وغـير جاهِـز، اعتـدت عـلى فعـل تلـك الأمـور بطريقـةٍ مُعينـةٍ، الخـروج مـن حـدودي الدقيقـة جعلنـي أشـعر بعـدم الارتيـاح لحـدٍ بعيـدٍ.

قشـعريرة صغـيرة زحفـت عـلى عمـودي الفقـري، لمـاذا كُنـت أفعـل ذلـك؟

الإجابـة السريعـة بالطبـع كانـت أننـي لا أفعـل أي شيء مـن ذلـك عـلى الإطـلاق، صديقـي العزيـز الموجـود في المقعـد الخلفـي المُظلِـم هـو مـن كان يفعلهـا، كُنـت موجـودًا فقـط لأننـي أملـك رخصـة قيـادة، لكننا كُنـا قـد توصلنـا إلى تفاهـم، حقّقنـا أنـا وهـو وجـودًا دقيقًـا ومتوازنًـا، طريقـة لنعيـش معًـا، مـن خـلال حـل هـاري، والآن هـو هائـج خـارِج حـدود هـاري الجميلـة المرسـومة بالطبشـور بحـرصٍ، لمـاذا؟ هـل هـو الغضـب؟ هـل أغضبـه اقتحـام منـزلي للدرجـة التـي أيقظتـه ليُحقِّـق انتقامـه؟

لم يشعُر بالغضب تجاهي، كان رائعًا كما هو الحال دومًا.

كان مُستمتِعًا بمـا يحـدُث، حريـص عـلى فريسـته، كـما أننـي لم أشـعر بالغضـب بـدوري، شـعرت.. وكأننـي نصـف مخمـور، خفيـف كطائـرة ورقيـة، أتأرجَـح عـلى حافـة سـكين مـن فـرط النشـوة، أتأرجَـح عـبر سلسـلة مـن التموّجـات الداخليـة التـي شـعرت بالفضـول نحوهـا، كُنـت أعتقِـد أن هـذه هـي المشـاعر كـما يجـب أن تُشـعَر، دفعنـي الـدوار نحـو هـذا المـكان الخطـير، غـير النظيـف، وغـير المُخطَّـط لـه، لأفعـل

شيئًا ما فجأة قبل أن أخطِّط له بعناية، ورغم معرفتي بكُل ذلك.. كُنت أرغب بشدة في القيام بالأمر، كان عليّ أن أفعلها.

جيد جدًّا، لكن لم يكُن عليّ أن أفعلها دون أن أرتدي زيًّا مُناسبًا، تلفَّت حولي، كانت هناك كومة كبيرة من مواد البناء مكوَّمة في ركن الغرفة البعيد، ملفوفة بغطاء بلاستيكي شفَّاف، وفي أقل من لحظة.. كُنت قد قطعت لنفسي مئزرًا وقناعًا شفافًا من الغطاء البلاستيكي، قطعت مكانًا للأنف، الفم، والعينين كي أستطيع التنفُّس، التحدُّث، والرؤية، جذبته بشدةٍ، شعرت به يندمِج مع ملامحي ليحوِّلها إلى شيء لا يُمكِن تمييزه، جذبت الأطراف خلف رأسي وربطت عقدة خرقاء من البلاستيك، تخفٍّ مثالي، قد يبدو الأمر سخيفًا، لكنني اعتدت الصيد وأنا أرتدي قناعًا، وبغض النظر عن الهوس العصبي لتصحيح كُل شيء، كان هذا أمرًا يُزال من حيز التفكير، جعلني هذا أرتاح قليلًا، إذا كانت هذه فكرة جيدة، أخذت القفازات من الحقيبة وارتديتها، كُنت جاهزًا الآن.

وجدت جاورسكي في الطابِق الثالث، تجمَّعَت كومة من الأسلاك الكهربائية تحت قدميه، وقفت في ظلال الدرج وشاهدته وهو يسحَب الأسلاك، عدت إلى الدرج وفتحت حقيبتي، علَّقت الصور التي أحضرتها معي باستخدام الشريط اللاصِق، صورًا صغيرة لطيفة للفتيات الهارِبات، في مجموعة متنوّعة من الأوضاع المُحبَّبة والصريحة للغاية، ألصقتها بالجدران الخرسانية حيث كان بإمكان جاورسكي أن يراها بينما يخطو عبر الباب على الدرج.

نظرت إلى جاورسكي مرة أخرى، سَحَب عشرين قدمًا أخرى من السلك، تمسَّكت بشيء ورفضت أن تُجذَب أكثر من ذلك، جذبها جاورسكي بعُنفٍ مرتين، قبل أن يُخرِج زوجًا من القواطِع الثقيلة من جيبه الخلفي وقصَّ السلك، التقط السلك الساقِط تحت

قدميـه وبـدأ بلفـه حـول سـاعده في دائـرةٍ صغـيرةٍ، ثـم مـشى نحـو الـدرج.. نحـوي.

تراجعت إلى بئر السلم، وانتظرت.

لم يحـاول جاورسـكي أن يظـل هادئـًا، لم يكُـن يتوقَّـع أي مُقاطعـة، وبالتأكيـد لم يكُـن يتوقَّعنـي، اسـتمعت إلى صـوت خطـوات قدميـه، وصـوت حفيـف الأسـلاك التـي يجرَّهـا مـن خلفـه يقـترِب.

دَخَل من الباب وتجاوزني دون أن يراني، وبعد ذلك رأى الصور.

قال وكأنه تلقى ضربةً قويةً في معدته: "ويحي".

حـدَّق وهـو فاغِـر الفـاه، غـير قـادر عـلى الحركـة، ثـم وجـدني خلفـه وسـكيني عـلى حلقـه.

قُلنا: "لا تتحرَّك، ولا تصدِر أي صوت".

قال: "حسنًا، انظر...".

أدرت معصمــي قليـلًا ودفعــت السـكين قليـلًا إلى الجلـد الموجـود أسـفل ذقنـه، أصـدر صـوت هسـيس بينـما تدفَّقـت دفقـة صغـيرة مـن الـدم المهيـب، لا داعـي لذلـك، لمـاذا لا ينصِـت النـاس فحسـب؟

قُلنا: "قُلت لك لا تصدِر أي صوت".

الآن هـدأ، وبعـد ذلـك كان الصـوت الوحيـد هـو صـوت الشريـط اللاصِـق، صـوت تنفُّـس جاورسـكي، وضحكـة مكتومـة مـن ضحـكات الراكِـب المُظلِـم، أغلقـت فمـه بالشريـط اللاصِـق، ولففـت سـلكًا نحاسـيًا كان ثمينًـا بالنسـبة لـه حـول معصميـه، وسـحبته نحـو كومـة أخـرى مـن مـواد البنـاء، وفي غضـون دقائِـق قليلـة كُنـت قـد قُمـت بربطـه وتثبيتـه عـلى طاولـة مؤقتـة.

قُلنا بصوت الراكِب المُظلِم الهادئ والمُميَّز: "لنتحدَّث قليلًا».

لم يعـرف إذا مـا كان مسـموحًا لـه بالتحـدُّث، والشريـط اللاصِـق

سيجعل الأمر صعبًا على أي حال، لذلك التزمَ بالصمت.

قُلنا وأنا أجذِب الشريط اللاصِق عن فمه: "لنتحدَّث عن الهاربات".

قال دون إقناع: "ويحي، ماذا.. ماذا تقصد؟".

قُلنا: "أعتقِد أنك تعرف ماذا أقصِد".

قال: "لـ. لا".

قُلنا: "نـ. نعم".

كان يحاوِل التظاهُر بالذكاء، لكن توقيتي كان سيئًا، أمسيتي بأسرها كانت سيئة، لكنه كان يتحلى بالشجاعة، نظر إلى الأعلى، نحو وجهي اللامِع وهو يسأل: "ماذا تكون؟ هل أنت شُرطي أو شيء من هذا القبيل؟".

قُلنا: "لا".

قبل أن أقطع أذنه اليُسرى، كانت الأقرب لي، كان السكين حادًا، ولدقيقةٍ.. لم يُصدِّق ما حَدَث له، سيظل دائمًا وأبدًا دون أذن يسرى، لذلك وضعت أذنه فوق صدره لأجعله يُصدِّق، اتسعَت عيناه وكاد يصرخ بأعلى صوته، لكنني حشرت قطعة من الغطاء البلاستيكي في فمه قبل أن يفعل.

قُلنا: "هذا لا شيء مُقارنةً بالأمور السيئة التي من المُمكِن أن تحدُث".

وستحدُث، بالطبع ستحدُث، لكنه لم يكُن في حاجة لمعرفة ذلك بعد، سألناه بلُطفٍ وهدوء: "الهاربات؟".

انتظرنا لدقيقة، راقبنا فيها عينيه، لنتأكَّد أنه لن يصرُخ قبل أن نزيل قطعة الغطاء البلاستيكي.

قال بصوتٍ مليء بالألم: "يا إلهي، أذني...".

قُلنـا: "لديـك واحـدة أخـرى جيـدة تمامًـا، أخبرنـا عـن الفتيـات الموجـودات في هـذه الصـور".

ناح قائلًا: "أخبرنا؟ ماذا تقصد بـ (أخبرنا)؟ يا إلهي، هذا مؤلِم".

بعـض النـاس لا يسـتطيع فهـم الأمـر، حـشرت الغطـاء البلاسـتيكي في فمـه وشرعـت بالعمـل.

انجرَفـت بعيـدًا، وهـو أمـر كان سـهلًا في ظـل الظـروف الحاليـة، تسـارعت دقَّـات قلبـي كالمجنـون وأنـا أعمـل بجـدٍ لمنـع يـدي مـن الارتجـاف، لكننـي شرعـت في العمـل، في الاستكشـاف، في البحـث عـن شيء مـا كان دائمًـا بعيـد المنـال، مُثـيرًا لكنـه مُحبِـط للغايـة، كان ضغطـي يرتفِـع، يتصاعَـد إلى أذني ويـصرُخ مـن أجـل الخـلاص، لكنـه خـلاص لم يـأت، فقـط الضغـط المُرتفِـع، والشـعور بـأن هنـاك شـيئًا رائعًـا بعيـدًا عـن متنـاول يـدي، ينتظـرني لأجـده وأتعمَّـق بـه، لكننـي لم أجِـد ذلـك، ولم تمنحنـي معايـيري القديمـة أي مُتعـة عـلى الإطـلاق، مـا العمـل؟ فتحـت وريـدًا في خضـم حـيرتي، وراقبـت بركـة مهيبـة مـن الدمـاء تتكـوَّن عـلى الغـلاف البلاسـتيكي بجـوار عامـل النظافـة، توقَّفـت لحظـة للبحـث عـن إجابـة، لكننـي لم أجـد شـيئًا، أشـحت بنظـري، خـارِج إطـار النافـذة، حدَّقـت بعيـدًا، ونسـيت أن أتنفَّـس.

كان القمـر ظاهـرًا فـوق المـاء، ولسـببٍ مـا.. لم أتمكَّـن مـن شرحـه أبـدًا.. بـدا صحيحًـا للغايـة، ضروريًـا للغايـة، وللحظـةٍ.. حدَّقـت عـبر الميـاه، راقبـت تلألؤهـا، المثـالي للغايـة، ترنَّحـت واصطدمـت بطاولتـي المؤقتـة، عُـدت إلى رشـدي، لكـن القمـر..

أم تراها كانت المياه؟

قريبًـا للغايـة.. كُنـت قريبًـا للغايـة مـن شيءٍ مـا، كان بإمـكاني شـمّه، لكـن مـا هـو؟ سرت قشـعريرة بداخـلي، وكان ذلـك صحيحًـا بـدوره، صحيحًـا لدرجـة أنـه سـبَّب سلسـلة كاملـة مـن القشـعريرة التـي

جعلت أسناني تصطك، لكن لماذا؟ ماذا يعني ذلك؟ هناك شيء ما، شيء هام، النقاء والوضوح يمتطيان القمر والماء على حافة سكيني، لكنني لا أستطيع الإمساك بهما.

نظرت إلى عامل النظافة مرة أخرى، جعلني هذا غاضبًا للغاية، الطريقة التي رَقَد بها هناك، مُغطى بندبات مُرتجلة ودماء لا داعي لها، لكن كان من الصعب أن أبقى غاضبًا، وقمر فلوريدا الجميل يحتويني، والنسيم الاستوائي يهب من حولي، غطَّت أصوات الليل الرائعة على صوت الشريط اللاصِق والتنفُّس الفَزِع، كدت أضحك، يختار بعض الناس الموت من أجل أشياء غير عادية أبدًا، لكن هذه الحشرة الصغيرة الفظيعة، تموت من أجل الأسلاك النحاسية، والنظرة التي تعلو وجهه؛ مُتألِّم، مُرتبِك، ويائس، كان الأمر ليبدو مُضحكًا لو لم أكُن أشعر بالإحباط.

كان يستحِق مجهودًا أفضل قليلًا من ناحيتي، ففي النهاية.. لم يكُن خطؤه أنني كُنت بعيدًا عن مستواي المعهود، لم يكُن حتى حقيرًا بما يكفي ليحتل صدارة قائمة المهام الخاصة بي، كان مُجرَّد حقير مثير للاشمئزاز يقتل الأطفال من أجل المال والإثارة، وكانوا مُجرَّد أربعة أو خمسة على حد علمي، كدت أشعر بالأسى تجاهه، لم يكُن مُستعدًّا ليحتل صدارة المشهد حقًّا.

حسنًا.. حان وقت العودة للعمل، توجَّهت إلى جانب جاورسكي، لم يكُن ينتفِض بنفس القدر في الوقت الحالي، لكنه كان لا يزال نشيطًا للغاية بالنسبة لأساليبي المُعتادة، بالطبع لم يكُن لديّ كُل ألعابي الاحترافية التي أحتاجها الليلة، ولا بد أن الانسحاب كان صعبًا بما فيه الكفاية لجاورسكي، لكنه كان بطلًا حقيقيًّا، لم يشتك، شعرت بقليلٍ من المودة، أبطأت من سُرعتي المُعتادة، قضيت ما يكفيني من الوقت أعمل على يديه، استجاب بحماسٍ حقيقي بينما

انجرفـت بعيـدًا، تُهـت في بحـثٍ محمـومٍ عـن السـعادة.

في النهايــة.. أعادتنــي صرخاتــه المكتومــة وانتفاضاتــه العنيفــة إلى رشـدي، تذكَّـرت أننـي لم أتأكَّـد مـن خطيئتـه، انتظرتـه ليهـدأ قليـلًا، ثـم أزلـت الشريـط اللاصِـق عـن فمـه.

سألناه: ”الهاربات؟“.

قال بضعفٍ: ”يا إلهي، يا إلهي».

قُلنا: ”لا أعتقِد ذلك، أظن أننا تركناهم خلفنا“.

قال: ”أرجوك، من فضلك».

قُلنا: ”أخبرني عن الهاربات“.

مكتبة
t.me/t_pdf

قال: ”حسنًا“.

قُلنا: ”اختطفت تلك الفتيات؟“.

”أجل؟“.

”كم عددهن؟“.

تنفَّـس للحظـة، كانـت عينـاه مُغلقتـين، ظننـت أننـي ربمـا فقدتـه مُبكِّـرًا، فَتَـح عينيـه في النهايـة ونظـر لي وهـو يقـول: ”خمـس، خمـس جميـلات، ولسـت نادمًـا“.

قُلنا: ”بالطبع لست نادمًا“.

وضعـت يـدي عـلى ذراعـه، كانـت لحظـة جميلـة، قُلنـا: ”والآن.. أنـا لسـت نادمًـا بـدوري“.

حـشرت قطعـة الغطـاء البلاسـتيكي في فمـه وعُـدت إلى العمـل، كُنـت قـد بـدأت لتـوي في اسـتعادة إيقاعـي حينـما سـمعت الحـارس يصـل للطابـق السُّـفلي.

الفصل الخامس عشر

كان صوت شوشرة جهاز اللاسلكي الخاص به هو ما كَشَف وجوده، كُنت مُنخرِطًا بعُمق في شيءٍ لم أجرِّبه من قبل عندما سمعته، كُنت أعمل في الجذع بطرف السكين وكان بإمكاني الشعور بوخز الاستجابة الحقيقية في عمودي الفقري وعبر قدميّ، لم أُرِد التوقُّف، لكن لا سلكي.. كانت هذه أخبارًا أكثر سوءًا من مُجرَّد وصول الحارِس، إذا ما طَلَب دعمًا أو أمر بقطع طريق، فمن المُمكِن أن أجد القليل من الصعوبة في بعض الأشياء التي أفعلها.

نظرت إلى جاورسكي، كُنت قريبًا من الانتهاء الآن، ورغم ذلك.. لم أكُن سعيدًا بالطريقة التي جَرَت بها الأمور، كثير من الفوضى، ومع ذلك.. لم أجد ما كُنت أبحَث عنه، كانت هناك بعض اللحظات التي شعرت فيها بأنني على وشك القيام ببعض الأشياء الرائعة، بعض الوحي الرائع المُتعلِّق بـ. بماذا؟ انسياب المياه خارج النافِذة؟ لكن هذا لم يحدُث، أيًّا ما كان، كُنت عالقًا مع مُغتصِب أطفال غير مُكتمِل، غير نظيف، قذر، غير مُرتَّب، وغير راضٍ، بينما كان هناك حارس أمني في طريقه للانضمام إلينا.

أكرَه التعجُّل في الوصول إلى استنتاجات، كانت لحظة مهمة للغاية، مصدر ارتياح حقيقي لكلينا، أنا والراكِب المُظلِم، لكن ما الخيارات المُتاحة لي؟ للحظةٍ طويلةٍ.. طويلةٍ للغاية حقًّا، شعرت بالخجل بسببها، فكَّرت في قتل الحارس وإتمام الأمر، سيكون هذا سهلًا، وسيُمكنني مُتابعة الاستكشاف ببدايةٍ جديدةٍ.

لكن لا، بالطبع لا، لن أفعل، كان الحارس بريئًا، بريئًا مثل أي شخص عاش وسيعيش في ميامي، على الأرجح لم يفعل شيئًا أسوأ

مـن إطـلاق النـار عـلى السـائقين عـلى طريـق بالميتـو السريـع عـدة مـرات، بريئًـا كبيـاض الثلـج، لا.. كان علـيّ أن أتراجَـع سريعًـا، كان هـذا كُل مـا في الأمـر، وإذا مـا اضطـررت لـترك عامـل النظافـة هنـا غـير مُكتمِـل دون أن أشـعر بالرضـا، فحـظ أوفـر في المـرة القادمـة.

حدَّقـت في الحـشرة الصغـيرة القـذرة وشـعرت بالاشـمئزاز يغمـرني، كان لعـاب هـذا الـشيء يسـيل ليختلِـط مـع الـدم، السـائل الرطـب القبيـح يُبلِّـل وجهـه، خرجـت قطـرة مـن اللـون الأحمـر الفظيـع مـن فمـه، وفي لحظـة غضـب سريعـة.. قطعـت حلـق جاورسـكي، ندمـت عـلى اندفاعي في التـو، انفجَـرَت نافـورة مـن الـدم المهيـب لتجعـل كُل شيء في المـكان يبـدو مؤسِـفًا، خطـأ فوضـوي، شـعرت بالدَّنَـس وعـدم الرضـا، ركضـت نحـو بـئر السـلم، طـاردني تذمُّـر هـادئ وفاضـح مـن راكبـي المُظلِـم.

صعـدت إلى الطابـق الثـاني وانزلقـت نحـو نافـذة بـلا زجـاج، كان بإمـكاني رؤيـة سـيارة الجولـف الخاصـة بالحـارِس متوقِّفـة بالأسـفل، متوجِّهـة نحـو طريـق أولـد كاتلـر، مـما يعنـي أن -كـما كُنـت آمـل- أنـه أتى مـن الاتجـاه الآخـر، ولم يـر سـيارتي، وبجـوار العربـة.. وقـف شـاب سـمين داكِـن البـشرة، أسـود الشـعر، بشـاربٍ أسـودٍ ناعـمٍ ينظُـر نحـو المبنـى، لحُسـن الحـظ.. كان ينظُـر إلى الجهـة الأخـرى في الوقـت الحـالي.

مـاذا سَـمِع؟ أم تـراه كان في طريقـة المُعتـاد؟ كان علـيّ فقـط أن آمـل ذلـك، إذا مـا كان قـد سَـمِعَ شـيئًا.. إذا مـا وَقَـف في الخـارِج طالبًـا للدعـم، فعـلى الأرجـح سيتم القبـض علـيّ، وبقـدر مـا كُنـت ذكيًـا ولبِقًا، لم أعتقِـد أننـي كُنـت لبقًـا بمـا فيـه الكفايـة للخـروج مـن هـذا المـأزَق.

لمـس الحـارِس الشـاب شـاربه بإبهامـه، ربـت عليـه كأنـه يشـجّعه عـلى النمـو الكامِـل، عبـس وهـو يُمـرِّر بـصره عـلى طـول واجهـة المبنـى، تراجعـت للخلـف، وعندمـا اسـترقت النظـر ثانيـةً بعـد لحظـات، كان بإمـكاني رؤيـة الجـزء العلـوي مـن رأسـه، كان قادمًـا للأعـلى.

انتظـرت حتـى سـمعت صـوت خطـوات قدميـه عـلى السـلم، ثـم خَرَجـت عـبر النافِـذة، في مُنتصـف الطريـق بـين الطابقـين الأول والثـاني، تعلَّقـت بأطـراف أصابعـي عـلى الإسـمنت الخشـن لحافـة النافِـذة، ثـم سـقطت، أصِبـت بشـدةٍ، لويـت أحـد كاحـليّ عـلى صخـرةٍ، سـلخت جلـد أحـد مفاصـلي، لكننـي كُنـت في أفضـل وأسرَع حـالاتي، أسرعـت إلى الظـل متوجِّهًـا إلى سـيارتي.

كان قلبـي مـا زال يخفـق عندمـا انزلقـت في المقعـد الأمامـي في النهايـة، نظـرت للخلـف، لم أر أي أثـر للحـارِس، أدرت مُحـرّكي، وقُـدت سـيارتي بسُرعـة وهـدوء قـدر مـا اسـتطعت والمصابيـح الأماميـة مُغلَقـة مُتجِهًـا إلى طريـق أولـد كاتلـر، اتجهـت نحـو جنـوب ميامـي، أخـذت الطريـق الطويـل إلى المنـزل، عـلى طـول طريـق ديكـسي السريـع، ينبـض قلبـي بقـوة حتـى ليـكاد يخـترِق صـدري، يـا لهـا مـن مُخاطـرة غبيـة، لم أفعـل مـن قبـل أي شيء بمثـل هـذا الاندفـاع، ولم أفعَـل من قبـل أي شيء عـلى الإطـلاق دون تخطيـط دقيـق، كانـت هـذه هـي طريقـة هـاري: كُـن حـذرًا، كُـن آمنًـا، كُـن مُسـتعِدًا، تعليـمات الظـلام.

وبـدلًا مـن ذلـك.. كان مـن المُمكِـن أن يتـم القبـض عـليّ، كان مـن المُمكِـن أن يـراني الحـارِس، غبـاء، هـذا غبـاء، لـو لم أسـمَع الحـارِس الشـاب في الوقـت المُناسِـب لربمـا اضطـررت لقتلـه، كُنـت سـأقتل رجـلًا بريئًـا بطريقـةٍ عنيفـةٍ؛ كُنـت مُتأكِّـدًا أن هـاري كان سـيعارِض الأمـر، كان الأمـر فوضويًـا وغـير سـار كذلـك.

بالطبـع كُنـت لا أزال غـير آمـن، كان مـن المُمكِـن أن يكتـب الحـارس رقـم سـيارتي بسـهولة إذا مـا مـر بسـيارة الجولـف الخاصـة بـه بجـوار سـيارتي، تصرَّفـت بطيـش، قُمـت بمُخاطـرةٍ فظيعـةٍ، خالفـت كُل إجراءاتي الدقيقـة، قامـرت بأسـلوب حيـاتي المبنـي بعنايـة.. ولمـاذا؟ إثـارة القتـل؟ عـار عـليّ، ومـن قلـب الركـن المُظلِـم في عقـلي تـردَّد الصـدى، أجـل،

عـار، ثـم سـمعت ضحكـة مألوفـة.

تنفَّسـت بعُمـقٍ قبـل أن أنظـر إلى يـدي المُمسِـكة بعجلـة القيـادة، لكنهـا كانـت مُغامـرة مُثـيرة، أليـس كذلـك؟ كانـت مُثـيرة للغايـة، مُتخمـة بالحيـاة، الأحاسـيس الجديـدة، والإحبـاط العميـق، كانـت شـيئًا جديـدًا تمامًـا ومثـيرةً للاهتـمام، الإحسـاس الغريـب بـأن كُل شيء ذاهـب لمـكانٍ مـا، مـكان مُهـم، مـكان جديـد ورغـم ذلـك كان مألوفًـا، سـأضطر حقًّـا لاستكشـاف ذلـك بشـكلٍ أفضـل في المـرة القادمـة.

لا يعنـي ذلـك أنـه سـتكون هنـاك مـرة قادِمـة بالطبـع، بالتأكيـد لـن أفعَـل أي شيء بهـذه الحماقـة والاندفـاع مـرة أخـرى، مُطلقًـا، لكـن القيـام بذلـك مـرة واحـدة يُعـد نوعًـا مـن المـرح.

لا يهـم، سـأعود للبيـت وأسـتحِم لفـترةٍ طويلـةٍ جـدًّا، وبحلـول الوقـت الـذي سـأنتهي فيـه..

الوقـت، خطـر الوقـت في ذهنـي دون أن يكـون مطلوبًـا أو مرغوبًـا فيـه، كُنـت قـد اتفقـت عـلى لقـاء ريتـا في.. الآن تقريبًـا، وفقًـا للسـاعة الموجـودة في لوحـة القيـادة الخاصـة بي، ولأي غـرض مُظلِـم؟ لم أسـتطِع معرفـة مـا يـدور في العقـل الأنثـوي، لمـاذا كان عـليّ التفكـير في سـبب في وقـتٍ كهـذا، عندمـا تتشـنَّج أعصـابي وأمتلـئ بالإحبـاط؟ لم أكُـن أهتَـم بمـا تُريـد ريتـا أن تـصرُخ في وجهـي بشـأنه، لـن يزعجنـي ذلـك حقًّـا، مهـما كانـت المُلاحظـات الحـادة التـي سـتُدلي بهـا حـول عيـوب شـخصيتي، لكـن سـيكون مـن المُزعِـج أن أجـبَر عـلى قضـاء بعـض الوقـت في الاسـتماع إليهـا، عندمـا يكـون لـديّ أشـياء أخـرى أكـثر أهميـة للتفكـير فيهـا، عـلى وجـه الخصـوص.. أردت أن أتسـاءل عـمّا كان يجـب عـليّ أن أفعلـه أو لا أفعلـه مـع العزيـز الراحِـل جاورسـكي، بدايـةً مـن النشـوة المُتقطِّعـة وغـير المُنتهيـة بقسـوة، حدثـت أشـياء جديـدة كثـيرة أحتـاج لبـذل قصـارى جهـدي العقـلي، كان عـليّ أن أعكِـس ذلـك، أن

أفكِّر بالأمر، أن أفهم إلى أين كان يقودني كُل ذلك، وكيف يرتبِط هذا بالفنان الآخر الموجود بالخارِج، الذي استفزّني وتحدّاني بعمله؟

ومع كُل ذلك التفكير.. لماذا أحتاج إلى ريتا الآن؟

لكنني بالطبع سأذهَب، وبالطبع سيخدِم ذلك غرضًا متواضعًا إذا ما احتجت إلى حجة غياب من أجل مُغامرتي الصغيرة مع عامل النظافة.

لماذا أيها المُحقِّق، كيف يُمكِنك أن تعتقد أنني...؟ بالإضافة إلى ذلك.. كُنت أخوض قتالًا مع صديقتي في الوقت نفسه، صديقة سابقة في الحقيقة.

لأنه لم يكُن لديّ أي شك مُطلقًا في أن ريتا أرادت فقط أن.. ما هي الكلمة التي كُنا نستخدمها جميعًا مؤخرًا؟ تنفيس؟ أجل، أرادت ريتا القدوم للتنفيس عن غضبها، كُنت أفهم كُل الأمور الرئيسية التي احتاجت إلى توضيحها مع اندفاعها العاطفي، كان حضوري ضروريًّا.

نظرًا للظروف الحالية.. استغرقت دقيقة إضافية للتنظيف، عُدت نحو كوكونوت جروف، وصففت سيارتي على الجانِب الآخر من الجسر فوق الممر المائي، مرّت قناة مائية عميقة من تحته، تناولت بعض الصخور المرجانية الكبيرة من تحت بعض الأشجار الموجودة على حافة الممر المائي، وضعتها في حقيبتي، المحشوّة بالغطاء البلاستيكي، القفازات، والسكين، وألقيت بالشيء كُله في مُنتصف القناة.

توقفت مرة أخرى، في بقعة صغيرة مُظلِمة بجوار منزل ريتا، نظَّفت نفسي بعنايةٍ، كان عليّ أن أكون أنيقًا ونظيفًا؛ يجب التعامُل مع الصراخ من قِبل امرأة غامِضة على أنه مُناسبة شبه رسمية.

لكن تخيَّل دهشتي عندما قرعت جرس بابها بعد بضع دقائق،

لم تفتح الباب وتبدأ في قذف الأثاث والإساءة لي، في الحقيقة.. فتحت الباب ببطءٍ وحرصٍ، نصف مُختبِئة خلفه، كما لو كانت خائفة بشدة مما ينتظرها على الجانِب الآخر من الباب، وبالنظر إلى أنني كُنت من ينتظرها، فقد أظهر هذا منطقًا نادرًا.

قالت بهدوء وخجل: "ديكستر؟".

بدت وكأنها غير مُتأكِّدة مما إذا كانت تُريدني أن أجيبها بنعم أو بلا وهي تُضيف: "لم.. لم أظن أنك ستأتي".

قُلت بلُطفٍ: "ورغم ذلك.. ها أنا ذا".

لم تُجِب لفترةٍ أطول من أن تبدو صحيحة، في النهاية.. فتحت الباب أكثر وهي تقول: "هل يُمكِنك أن.. تدخُل؟ من فضلك؟".

كانت نبرة صوتها المُتردِّدة والمُرتعِدة مُختلِفة عن أي مرة سمعتها فيها من قبل، كان هذا مُفاجئًا، وتخيَّل قدر دهشتي حينما رأيت ما ترتديه، أظن أنهم يطلقون على هذا الشيء اسم قميص نوم أو ربما كانت عباءة منزل، على الأرجح كان قميص نوم طبقًا لكمية القُماش المُستخدمة في صنعه، أيًّا ما كان اسمه الصحيح، فهي كانت ترتديه، وعلى الرغم من مدى غرابة الفكرة.. أعتقِد أن هذا الزي كان من أجلي.

كرَّرَت قولها: "من فضلك؟".

كان الأمر مُبالغًا فيه قليلًا، أقصِد.. حقًّا.. ما الذي كان من المُفترض بي أن أفعل هنا؟ كُنت أعاني من أثر التجارب غير المُرضية التي قُمت بها على عامِل النظافة، كانت لا تزال هناك همهمة غير سعيدة تتدفَّق من المقعد الخلفي، وبإجراء فحص سريع للوضع بشكلٍ عام وجدت نفسي مُحاصرًا ما بين عزيزتي ديب وبين ذلك الفنان المُظلِم، والآن.. كان من المتوقع أن أفعل شيئًا بشريًّا هنا، مثل.. ماذا؟ بعد كُل شيء.. لا يُمكِن بالتأكيد أن تكون تُريد.. أقصِد..

أليست غاضبة مني؟ ما الذي يحدُث هنا؟ ولماذا يحدُث كُل ذلك معي؟

قالت ريتا وهي تصدِم الباب بفخذها: "أرسلت الأطفال إلى المنزل المجاور".

دخلت.

يُمكنني التفكير في طُرق عديدة رائعة لوصف ما حدث بعد ذلك، لكن لا يبدو أن أيًّا منها مُناسِب، ذهبنا إلى الأريكة، تبعتها، جلست، وهكذا فعلت، بدت متوتِّرة وهي تعتصِر يدها اليُسرى بيُمناها، بدت وكأنها تنتظر شيئًا ما، ولأنني لم أكُن مُتأكِّدًا تمامًا مما تنتظِر، وجدت نفسي أفكِّر في عملي غير المُنتهي مع جاورسكي، لو كان لديّ القليل من الوقت فحسب! الأمور التي كُنت لأفعلها!

وبينما كُنت أفكِّر في بعض تلك الأشياء، أدركت أن ريتا بدأت تبكي بهدوء، حدَّقت بها للحظة، محاولًا قمع صور عامل النظافة المسلوخ والخالي من الدماء، لو حاولت طوال حياتي فلن أستطيع أن أفهم لماذا كانت تبكي، لكن بما أنني أزيِّف مشاعري البشرية لوقتٍ طويلٍ وشاقٍ، فقد عَرِفت أنه من المُفترض بي أن أقوم بتهدئتها، انحنيت نحوها ووضعت يدي على كتفها، قُلت: "ريتا، اهدأي".

جُملة لا تستحِق أصلًا أن أنطق بها، لكن طبقًا للعديد من الخبراء كانت فعَّالة، اندفعت للأمام ودفنت وجهها في صدري، لففت ذراعي حولها، مما وضعها في مجال رؤيتي، منذ أقل من ساعة.. كانت اليد نفسها تُمسِك سكينًا فوق عامل النظافة الصغير، أصابتني هذه الفكرة بالدوار.

وفي الحقيقة.. لا أعرِف كيف حدث ذلك، لكنه حدث، في لحظة كُنت أربت عليها وأقول لها: على رسلك. وأحدِّق في يدي، أشعر

بالذاكـرة الحسـيَّة عـلى أصابعـي، أشـعر بزيـادة القـوة والسـطوع بينـما يستكشِـف السـكين جـذع جاورسـكي، وفي اللحظـة التاليـة..

أعتقـد أن ريتـا نظـرت لي، وأعتقـد كذلـك أننـي بادلتهـا النظـر بطريقةٍ مـا، ورغـم ذلـك.. لم تكُـن ريتـا التـي رأيتهـا، كانـت كومـة أنيقـة مـن الأطـراف البـاردة والخاليـة مـن الدمـاء، وكذلـك لم تكُـن يـد ريتـا هـي التـي شـعرت بهـا عـلى إبزيـم حزامـي، لكـن جوقـة مـن عـدم الرضـا المُتدفـقٍّ مـن الراكِـب المُظلِـم، وبعـد قليـل..

حسـنًا، لا يـزال هــذا غـير وارد لحــدً كبـيرٍ، أقصِـد أن.. هنـا عـلى الأريكـة.

كيف حدث هذا بحق السماء؟

بحلـول الوقـت الـذي تسـلَّقت فيـه فـراشي الصغـير، شـعرت أننـي خاضِـع لهـا تمامًـا، لا أحتـاج عـادةً إلى قـدرٍ كبـيرٍ مـن النـوم، لكننـي شـعرت كـما لـو أننـي قـد أحتـاج الليلـة إلى سـت وثلاثـين سـاعة، تقلبات تلـك الأمسـية، ضغـط الكثـير مـن التجـارب الجديـدة، كلهـا أمـور كانـت تسـتنزفني، أكـثر مـما اسـتنزفني جاورسـكي بالطبـع، هـذا الـشيء الضئيـل الرطِـب البشِـع، لكننـي اسـتهلكت كُل مـا لـديّ مـن الأدرينالـين لهـذا الشـهر في هـذه الأمسـية المتهـورة، لم أسـتطِع حتـى أن أبـدأ في التفكـير في مـا يعنيـه أيٌّ مـن هـذا، بـدءًا مـن الدافِـع الغريـب للخـروج في الليـل بجنـونٍ وتهـورٍ، وصـولًا إلى الأشـياء التـي لا يُمكِـن تصوّرهـا والتـي حدثت مـع ريتـا، تركتهـا نائمـة ولم تبـدُ أكـثر سـعادة مـن قبـل، لكـن ديكسـتر المسـكين المُضطـرِب وجـد نفسـه تائهًـا مـرة أخـرى، وعندمـا وضعـت رأسي عـلى الوسـادة، غفـوت عـلى الفـور.

كُنـت هنـاك في الخـارِج فـوق المدينـة مثـل طائـر بـلا عِظـام، أطـير وأطفـو والهـواء البـارد يتحـرّك مـن حـولي ويصطـدِم بي، جذبنـي إلى الأسـفل، حيـث يتمـوَّج القمـر فـوق الميـاه، حملنـي إلى غُرفـة القتـل

البـاردة الضيقـة، حيـث كان عامـل النظافـة ينظُـر إليّ ويضحَـك، كنسر يفـرد جناحيـه تحـت السـكين وهـو يضحَـك، الجهـد الـذي يبذلـه ليلـوي وجهـه، ليغيِّره، لم يعُـد جاورسـكي بعـد الآن، لكنها كانـت امـرأة، والرجـل الـذي كان يُمسِـك بالسـكين نظـر للأعـلى، حيـث كُنـت أطفـو فـوق الأحشـاء الحمـراء الملتويـة، وقبـل أن يظهـر وجهـه.. أسـمع صـوت هـاري خـارِج البـاب، وألتفِـت قبـل أن أرى مـن الـذي فـوق المنضـدة، لكـن...

استـيقظت، كان الألم الـذي يـدُق رأسي بإمكانـه أن يشُـق شـمَّامة، شـعرت وكأننـي لم أُغلِـق عينـيّ مـن الأسـاس، لكـن السـاعة الموجـودة بجـوار السريـر كانـت تشـير إلى ٥:١٤.

حلـم آخـر، نـداء آخـر بعيـد المـدى مـن سـهرتي الوهميـة، لا عَجَـب أننـي رفضـت بثبـاتٍ أن أحلـم بـأي أحـلام طـوال حيـاتي، غبيـة جـدًّا؛ مليئـة بالرمـوز الواضِحـة التـي لا معنـى لهـا، حسـاء مـن القلـق الـذي لا يُمكِـن السـيطرة عليـه أبـدًا، هـراء فاضِـح بغيـض.

والآن.. لم يكُـن بإمـكاني العـودة للنـوم مـرة أخـرى، أفكِّـر في هـذه الصـور الطفوليـة، إذا كان عـليّ أن أحلـم، فلـماذا لا يكـون الحلـم مثـلي، مثـيرًا للاهتـمام ومُختلفًـا؟

جلسـت وفركـت صدغـي النابِـض، تـسرَّب وعيـي بطريقـةٍ رهيبـةٍ ومُمِلـةٍ وأنـا أجلـس عـلى حافـة سريـري في حالـة مـن الارتبـاك الغائـم، مـا الـذي يحـدُث لي؟ ولمـاذا لا يحـدُث هـذا لشـخصٍ آخـر؟

كان هـذا الحلـم مُختلِفًـا، لم أكُـن مُتأكِّـدًا مـن حقيقـة هـذا الاختـلاف أو مـا يعنيـه، في المـرة الأخيرة كُنـت متيقِّنًـا تمـام اليقـين مـن أن جريمـة أخـرى كانـت عـلى وشـك الحـدوث، بـل وعرفـت أيـن سـتحدُث، لكـن هـذه المـرة..

تنهَّـدت ودخلـت المطبـخ لأشرب القليـل مـن المـاء، اصطـدم رأس

باربي بقوةٍ عندما فتحت باب الثلاجة، وقفت وراقبته وأنا أشرب كوبًا كبيرًا من الماء البارِد، حدَّقت بي العينان الزرقاوان الفاتِحتان، دون أن ترمش.

لماذا رأيت هذا الحلم؟ هل كان ذلك بسبب الضغط الناتِج عن مُغامرات الليلة الماضية التي أعيد تشغيلها في عقلي الباطِن؟ لم أشعُر بالتوتُّر من قبل؛ في الواقِع.. لطالما كان الأمر مزيلًا للتوتُّر، بالطبع لم أقترِب بهذا الشكل من كارثة من قبل، لكن لماذا أحلَم بها؟ كانت بعض الصور واضحةً بشكلٍ مؤلِمٍ للغاية؛ جاورسكي، هاري، ووجه الرجل المُمسِك بالسكين الذي لم أره جيدًا، لماذا تزعجني أمور خاصة بأساسيات علم النفس الآن؟

لماذا يُزعجني الحلم من الأساس؟ لم أحتجُه، كُنت بحاجة للراحة، وبدلًا من ذلك.. ها أنا ذا في المطبخ ألعب بدمية باربي، ضربت الرأس مرة أخرى، في هذا الصدد.. لماذا كانت باربي من الأساس؟ وكيف سأكتشِف ذلك في الوقت المُناسِب لأنقذ مسيرة ديبرا المهنية؟

كيف يُمكنني تجاوز لاجويرتا بينما كانت المسكينة متعلِّقةً بي؟ وبحق كُل ما هو مُقدَّس -إذا ما كان هناك أي شيء مُقدَّس حقًّا- لماذا كان على ريتا أن تفعل ذلك بي؟

بدا الأمر وكأنها حبكة مُسلسل مُعقَّدة، وكان مُبالغًا فيه للغاية، وجدت بعض أقراص الأسبرين، اتكأت على منضدة المطبخ وأنا أبتلِع ثلاثة منها، لم أهتَم بالطعم كثيرًا، لم أحِب أبدًا أي نوع من الأدوية، إلا إذا كان فيها منفعة.

خصوصًا.. منذ وفاة هاري.

الفصل السادس عشر

لم يمُـت هـاري سريعًـا، ولم يمُـت بسـهولة، استغرَق كامِـل وقتـه الطويـل الرهيـب، أول وآخـر شيء أنـاني فعلـه في حياتـه.

تـوفي هـاري عـلى مـدار عـام ونصـف، عـلى مراحـل صغـيرة، كان يبتعِد لعدة أسابيع، قبل أن يقاوم ليستعيد كامل قوته مرة أخرى، أبقانا جميعًا في حيرة في محاولة التخمين، هل سيموت الآن، في هذه المرة، أم تراه سيستجمع شتات نفسه؟ لم نعرِف أبدًا، لكن لأنه كان هاري، فكان من الحماقة أن نستسلم، سيفعل هاري الصواب، مهما كان صعبًا، لكن ماذا يعني هذا عندما يحتضر؟ هل من الصواب أن يقاوِم، يتشبَّث، ويترك بقيتنا نعاني من موت لا نهائي، في حين أن الموت كان آتيًا بغض النظر عما يفعله هاري؟ أم أنه كان من الصواب أن يستسلم بسلامٍ دون أي مقاومة؟

لم أكُن أعرف الإجابة في التاسعة عشر من عُمري بالتأكيد، على الرغم من أنني كُنت أعرف بالفعل الكثير عن الموت أكثر من باقي الحمقى المُصابين بالبثور الموجودين في صفي في السنة الثانية بجامعة ميامي.

بعد ظُهر أحد أيام الخريف بعد صف الكيمياء، وبينما كُنت أمشي عبر الحرم الجامعي باتجاه اتحاد الطلاب، ظهرت ديبرا بجواري، ناديتها: "ديبرا".

بدت طالبة جامعية للغاية، قُلت: "تعالي واشربي بعض الكولا".

كان هاري قد أخبرني أن أتسكَّع في اتحاد الطلاب وأن أتناول بعض الكولا، قال أن ذلك سيُساعدني في التحوُّل إلى بشري، وتعلُّم كيف

يتصرَّف البشر الآخرون، وبالطبع كان مُحقًّا، على الرغم من الأضرار التي لحقت بأسناني، كُنت أتعلَّم الكثير عن أصناف البشر البغيضة.

ديبرا، التي كانت في السابعة عشر، كانت بالفعل جادة للغاية، هزَّت رأسها وهي تقول: "إنه أبي".

وسرعان ما كُنا نقود السيارة عبر المدينة نحو دار الرعاية التي نقلوا هاري إليها، لم تُمثِّل دار الرعاية أخبارًا جيدةً، يعني ذلك أن الأطباء قد قالوا أن هاري مُستعد للموت، واقترحوا عليه التعاون.

لم يبد هاري جيدًا عندما وصلنا إلى هناك، بدا أخضر اللون وهو مُستلقٍ على الملاءات باستسلام حتى أننا ظننا أنه قد فات الأوان، كان ضعيفًا وهزيلًا منذ وقت طويل، بدا للعالم بأكمله كما لو أن هناك شيئًا بداخله يشق طريقه للخارِج، هسّ جهاز التنفُّس الموجود بجواره، كما لو أنه دارث فيدر حي في قبره*، كان هاري حيًّا، بالكاد يُمكِننا أن نقول ذلك، قالت ديبرا وهي تُمسِك بيده:

"أبي، لقد أحضرت ديكستر".

فتح هاري عينيه وحرّك رأسه نحونا، كما لو أن يدًا خفيةً قد دفعت رأسه من الناحية الأخرى من الوسادة، لكنها لم تكُن عيني هاري، كانت فجوات زرقاء قاتِمة، كسولة وفارغة، غير مسكونة بالحياة، لربما كان جسد هاري حيًّا، لكنه لم يكُن موجودًا، أخبرتنا المُمرضة: "هذا ليس جيدًا، نحاول أن نجعله مرتاحًا في الوقت الحالي".

أنهَت حديثها وهي تُمسِك بإبرة ضخمة من على الصينية، ملأتها وضغطت عليها لتُخرج فُقَّاعة الهواء.

"انتظري".

---

* دارث فيدر: شخصية خيالية من عالم جانب النجوم.

كان الصـوت خافتًـا لدرجـة أننـي اعتقـدت أنـه قـد يكـون صـوت جهـاز التنفُّـس الصناعـي، نظـرت عـبر الغُرفـة، وكان بإمـكاني في النهايـة رؤيـة مـا تبقـى مـن هـاري، لمعـت شرارة صغـيرة خلـف الفـراغ العميـق الموجـود في عينيـه، قـال ثانيـةً وهـو يومـئ نحـو المُمرّضـة: "انتظـري".

وإمـا أنهـا لم تسـمعه أو أنهـا قـرَّرت أن تتجاهلـه، وقفـت بجـواره ورفعـت ذراعـه بلُطـفٍ، بـدأت بتمسـيدها بقطعـة مـن القُطـن عـلى شـكل كُـرة.

شهق هاري بخفوتٍ وهو يقول بصوتٍ غير مسموع تقريبًا:

"لا..».

نظـرت إلى ديـبرا، بـدت وكأنهـا تقِـف في وضـع مثـالي مـن الانتبـاه دون أن تبـدو متيقِّنـة مـن أي شيء تقريبًـا، نظـرت إلى هـاري مـرة أخـرى، كانـت عينـاه مُثبّتتـين نحـوي، قـال والكثـير مـن الرعـب يتراقـص في عينيـه الآن: "لا، لا.. حقنـة".

تقدَّمـت للأمـام ووضعـت يـدي بينـه وبـين المُمرّضـة، قبـل أن تضـع الإبـرة في وريـد هـاري مُبـاشرةٍ، قُلـت: "انتظـري".

نظـرت إليّ، ولجـزءٍ مـن الثانيـة كان هنـاك شيء في عينيهـا، كـدت أتراجـع للخلـف بفعـل المُفاجـأة، كان غضبًـا بـاردًا، غـير بـشري، إحساسًـا غـير إنسـاني بالرغبـة، إيمانًـا بـأن العـالم بـأسره كان لعبـة بـين يديهـا، ظهـر هـذا سريعًـا، لكننـي كُنـت متأكِّـدًا، أرادت أن تدفـع الإبـرة في عينـي لأننـي قاطعتهـا، أرادت أن تدفعهـا في صـدري وأن تديرهـا في عُنـفٍ إلى أن تتهشَّـم ضلوعـي وينفجـر قلبـي في يديهـا، لتسـتطيع سـحقه، اعتصاره، وانتـزاع الحيـاة منـي، كان هـذا وحشًـا، صيـادًا، قاتِـلًا، كان هـذا مُفترسًـا، شـيئًا شريـرًا بـلا روح.

مثلي تمامًا.

لكن ابتسامتها الودودة عادت سريعًا للغاية وهي تقول في لُطفٍ بالغٍ وتتصرَّف بحنوٍ كأنها مُمرضة حقًّا: "ما الأمر يا عزيزي؟".

شعرت أن لساني قد تضخَّم في فمي، وبدا أنني احتجت لعدة دقائق لأتمكَّن من الإجابة، لكنني نَجَحت أخيراً في قول: "إنه لا يُريد الحُقنة".

ابتسمت مرة أخرى، ابتسامة جميلة ملأت وجهها وكأنها نعمة من نعم الله عليها وهي تقول: "والدك مريض للغاية، يشعُر بألمٍ شديدٍ".

أمسكت الإبرة التي ضربها شعاع من الضوء الذي عبر النافذة في مشهد ميلودرامي، لمعت الإبرة في يدها وكأنها كأسها المِقدَّس وهي تقول: "إنه يحتاج للحُقنة".

قُلت: "لا يريدها".

قالت: "إنه يتألَّم".

قال هاري شيئًا لم أسمعه، كانت عيناي مصوَّبتين على المُمرّضة، وعيناها مصوَّبتين عليّ، وحشان يتواجهان فوق نفس اللحم، ودون أن أنظر بعيدًا عنها، انحنيت بجواره، قال هاري: "أريد.. أن أشعر.. بالألم".

نظرت نحوه، إلى ما خلف الهيكل العظمي الواضِح، بدا مرتاحًا للغاية بغض النظر عن قصة الشعر الجراحية التي بدت كبيرة جدًّا على رأسه، عاد هاري، كان يشُق طريقه عبر الضباب، أومأ نحوي، وصل إلى يدي ببطءٍ وضغط عليها.

نظرت للخلف نحو المُمرضة، قُلت لها: "إنه يريد أن يشعر بالألم".

هـزَّت رأسـها بعدوانيـة، وفي مـكانٍ مـا في عبوسـها الصغـير، اسـتطعت أن أسـمع زئـير وحـش مُفـترس يُراقـب ضحيتـه وهـي تنزلـق في حفـرة.

قالت: "سيتحتَّم عليّ أن أخبر الطبيب".

قُلت: "حسنًا، سننتظر هنا".

راقبتهـا وهـي تمـشي في الممـر مثـل طائـر ضخـم قاتِـل، شـعرت بضغطـة عـلى يـدي، كان هـاري يُراقبنـي وأنـا أراقِـب المُمرضـة.

قال هاري: "بإمكانِك.. أن تعرِف..".

سألته: "بشأن المُمرضة؟".

أغلَق عينيه وهزّ رأسه مرة واحدة، قُلت: "أجل.. عَرِفت الأمر".

قال هاري: "إنها.. مثلك..".

قالـت ديـبرا مُحتجَّـة: "مـاذا؟ مـا الـذي تتحـدَّث عنـه؟ هـل أنـت بخـير يـا أبي؟ مـاذا يعنـي هـذا؟ إنهـا مثلـك؟".

قُلـت: "يقصـد أنهـا مُعجبـة بي، يظُـن أن المُمرضـة ربمـا تكـون مُعجَبـة بي".

أجبتها ونظرت إلى هاري، تمتمت ديبرا: "حسنًا".

لكننـي كُنـت أصُـب جـام تركيـزي عـلى هـاري، سـألته: "مـاذا فعلـت؟".

حـاول هـز رأسـه ونَجَـح في خلـق اهتـزاز طفيـف، جفـل، كان واضحًـا لي أن الألم يعـود إليـه، مثلـما أراد، قـال: "الكثـير، تُعطـي.. الكثـير".

قبل أن يشهق ويُغلِق عينيه.

لا بُـد أننـي كُنـت غبيًّـا للغايـة ذلـك اليـوم، لأننـي لم أفهـم مـا يرنـو إليـه عـلى الفـور، سـألته: "الكثـير مـن مـاذا؟".

فتح هاري عينيه المليئتين بالألم وهو يهمس: "المورفين".

شعرت وكأن شعاعًا من المعرفة قد مسّني، قُلت: "جرعة زائدة، تقتل بالجُرعة الزائدة، وفي مكانٍ كهذا.. تقوم فيه بوظيفتها فحسب، لن يسألها أحد.. لماذا، هذا..".

ضغط هاري على يدي مرة أخرى فتوقّفت عن الثرثرة، قال بصوتٍ أجشٍ وبقوةٍ مُذهِلة: "لا تتركها، لا تتركها تخدّرني مرة أخرى".

قالت ديبرا بصوتٍ عالٍ وبنفاد صبر: "أرجوكما، ما الذي تتحدثان بشأنه؟".

نظرت إلى هاري، لكن هاري أغلَق عينيه بغتة عندما أصابته طعنة ألم مُفاجئة.

قُلت: "يظن أن...".

لكنني تراجعت، لم تكُن لدى ديبرا أي فكرة عما أكون، وهاري كان قد أخبرني بصرامةٍ على ألا أكشِف لها سري، إذًا كيف يُمكِنني أن أخبرها عن هذا دون أن أفصِح عن أي شيء، كانت هذه مُشكِلة، في النهاية قُلت: "يظُن أن المُمرضة تحقنه بالكثير من المورفين، عن قصد".

قالت ديب: "هذا جنون، إنها مُمرضة".

نظر هاري إليها لكنه لم يقُل أي شيء، ولأكون صادقًا.. لم أستطِع كذلك التفكير في أي شيء لأعقِّب به على سذاجة ديب المُذهِلة.

سألت هاري: "ماذا يجب أن أفعَل؟".

نظر هاري إليّ لفترةٍ طويلةٍ جدًا، في البداية ظننت أن عقله قد يكون شاردًا بسبب الألم، لكن حين نظرت إليه مرة أخرى، وجدت أن هاري كان حاضرًا تمامًا، كان فكه قاسيًا لدرجة أنني اعتقدت أن العظام ستنكسِر وتخترق بشرته الرقيقة الشاحبة، أما عيناه فكانتا

واضحتين وحادتين كما رأيتها من قبل في نفس اليوم الذي منحني فيه حلول هاري لإبقائي في أمان، قال في النهاية: "أوقفها".

سرت قشعريرة حادة في جسدي، أوقفها؟ هل هذا مُمكِن؟ هل يقصد.. أوقفها؟ حتى الآن كان هاري يُساعدني في السيطرة على الراكب المُظلم، في إطعامه حيوانات أليفة ضالة، في اصطياد الغزلان؛ في واحدة من المرات الرائعة.. ذهبت معه لاصطياد قرد متوحِّش يروِّع أحد أحياء جنوب ميامي، كان قريبًا للغاية، يكاد يكون بشريًا، لكن الأمر لم يكُن صحيحًا بالطبع، قُمنا بجميع الخطوات النظرية للمُطاردة، التخلُّص من الأدلة، وما إلى ذلك، عَلِم هاري أن ذلك سيحدُث يومًا ما، وأرادني أن أكون مُستعدًّا للقيام بذلك بشكلٍ صحيحٍ، لطالما منعني من فعل ذلك، لكن الآن.. أوقفها؟ ما الذي يعنيه هذا؟

قالت ديبرا: "سأذهَب لأتحدَّث مع الطبيب، سيُخبرها بتعديل دوائك".

فتحت فمي لأتحدَّث، لكن هاري ضغط على يدي وهو يومئ، قال بألمٍ: "اذهبي".

نظرت إليه ديبرا للحظة قبل أن تستدير وتذهب لتجد الطبيب، ساد صمت غريب عندما خرجت من الغرفة، لم يكُن بإمكاني التفكير في شيء سوى في ما قاله هاري: "أوقفها".

ولم يكُن بإمكاني التفكير في أي طريقة أخرى لتفسيره، باستثناء أنه قد أطلق سراحي أخيرًا، منحني الإذن للقيام بالشيء الحقيقي في النهاية، لكنني لم أجرؤ على سؤاله عن ذلك، خوفًا من أن يخبرني أنه كان يقصد شيئًا آخر، وقفت هناك لوقتٍ طويلٍ، محدِّقًا عبر النافذة الصغيرة نحو الحديقة الموجودة في الخارِج، حيث تناثرت الزهور الحمراء لتحيط بالنافورة، مرّ الوقت، جفّ حلقي، قال

هـاري في النهايـة: "ديكسـتر".

لم أجِـب، لم يُمكننـي التفكـير في أي شيء يبـدو مُناسِـبًا، قـال هـاري ببـطءٍ وبـألمٍ: "إنـه يُحِـب هـذا".

نظـرت في عينيـه، منحنـي نصـف ابتسـامة متوتِّـرة عندمـا أيقـن مـن عـودتي لرشـدي أخـيرًا، قـال: "سـأموت قريبًـا، لـن يُمكننـي منعَـك مـن.. كونـك مـا أنـت عليـه".

قُلت: "ما أنا عليه يا أبي".

لـوَّح بيـده في ضعـفٍ وهـو يقـول: "عاجـلًا أم آجـلًا.. سـتحتاج لتفعـل هـذا بشـخصٍ مـا".

شـعرت بالـدم يجِـف في عروقـي وهـو يسـتكمِل حديثـه قائـلًا: "شـخص مـا.. يسـتحق ذلـك".

قُلت بصوتٍ غليظٍ: "مثل المُمرضة".

قال وهو يُغلِق عينيه لبرهةٍ: "أجل".

أصبـح صوتـه ضبابيًّـا بفِعـل الألم وهـو يقـول: "إنهـا تسـتحِق ذلـك يـا ديكسـتر، هـذا...".

تنفَّـس بصعوبـةٍ، كان بإمـكاني سـماع صـوت طقطقـة لسـانه، كـما لـو كان فمـه جافًّـا للغايـة قبـل أن يقـول: "إنهـا تتعمَّـد إعطـاء المـرضى الجُرعـات الزائـدة.. تقتلهـم.. تقتلهـم.. عـن قصـد.. إنهـا قاتِلـة يـا ديكسـتر.. قاتِلـة».

تنحنحـت، شـعرت بالقليـل مـن الحماقـة والـدوار، لكـن بعـد كُل شيء.. كانـت هـذه لحظـة حاسِـمة في حيـاة هـذا الشـاب، قُلـت: "هـل تريـدني أن...".

صمـتُّ قليـلًا قبـل أن أضيـف: "هـل سـيكون كُل شيء عـلى مـا يُـرام إذا مـا.. أوقفتهـا يـا أبي؟".

قال هاري: "أجل.. أوقِفها".

ولسببٍ ما.. شعرت بأنني يجب أن أكون مُتأكِّدًا تمامًا، قُلت: "تقصِد.. كما تعلم.. مثلما فعلت؟ مع.. أنت تعرِف.. القرد؟".

كانت عينا هاري مُغلقتين، كان من الواضِح أن موجة الألم المُتزايدة قد حملته بعيدًا، تنفَّس بعُمقٍ وهو يقول: "أوقِف.. المُمرِّضة، مثل.. القرد..".

تراجَع رأسه للخلف قليلًا، وبدأ يتنفَّس بسُرعةٍ وخشونةٍ.

حسنًا..

هكذا كان الأمر..

(أوقِف المُمرِّضة، مثل القرد) كان للجُملة صدى جامِح، لكن في دماغي الذي أخذ ينبُض بجنونٍ، كان كُل شيء كالموسيقى، لقد أطلَق هاري سراحي، لقد منحني الإذن، تحدَّثنا عن فعل ذلك يومًا ما، لكنه كان يمنعني، حتى الآن.

الآن.

قال هاري وهو مُغلَق العينين: "لقد تحدّثنا.. عن ذلك، أنت تعرِف.. ماذا ستفعل...".

قالت ديبرا وهي تهرع لداخِل الغُرفة: "لقد تحدَّثت مع الطبيب، سوف يأتي ليضبُط مقدار الأدوية في التقرير الطبي".

قُلت: "جيد".

كُنت أشعر بشيء ما ينهض بداخلي، من قاعدة عمودي الفقري صعودًا إلى قمة رأسي، كصدمة كهربائي تهزّني وتغمرني كالظلام، قُلت: "سأذهب للتحدُّث إلى المُمرِّضة".

بدت ديبرا مذهولة، ربما بسبب نبرة صوتي، قالت: "ديكستر".

توقَّفت، قاومت للسيطرة على شعوري الوحشي الذي يتصاعد

بداخـلي، قُلـت: "لا أريـد حـدوث أي سـوء فهـم".

بـدا صـوتي غريبًـا، حتـى بالنسـبة لي، تجـاوزت ديـبرا قبـل أن تتمكّـن مـن مُلاحظـة تعبـيراتي.

وفي ردهـة هـذه الـدار، شـققت طريقـي بـين أكـوام الكتّـان الأبيـض النظيـف، شـعرت أن الراكِـب المُظلـم هـو القائِـد الجديـد للمـرة الأولى، أصبـح ديكسـتر أقـل مـن الـلازِم، بالـكاد كان ملحوظًـا، كالخطـوط الملوَّنـة الفاتِحـة الموجـودة عـلى ظهـر نمـر شرس، اتحـدت معـه، بالـكاد كُنـت مرئيًّـا، لكننـي كُنـت هنـاك، كُنـت أدور في مهـب الريـح باحثًـا عـن فريسـتي، في ذلـك الفـراغ الهائـل مـن الحُريـة، في طريقـي لأفعـل ذلـك الـشيء للمـرة الأولى، بموافقـة هـاري العظيـم، تراجعـت، تلاشـيت في ذاتي المُظلِمـة، بينـما تقـدَّم الآخـر للأمـام، سـأفعلها في النهايـة، سـأفعل مـا خُلِقـت لأفعلـه.

وهكذا فعلت.

الفصل السابِع عشر

وفعلتهـا، منـذ فـترة طويلـة، ورغـم ذلـك.. لا تـزال الذكـرى تنبُـض بداخلي، بالطبـع لا زلـت أحتفِـظ بقطـرة الدمـاء الجافَّـة علـى شريحتهـا، كانـت شريحتـي الأولى، ويُمكِننـي استـدعاء تلـك الذكـرى في أي وقـت بإخـراج شريحتـي الصغـيرة والنظـر إليهـا، فعلـت ذلـك في كثـيرٍ مـن الأحيـان، كان هـذا يومًـا مُميَّـزًا لديكسـتر، كانـت المُمرِّضـة هـي رفيقـة لعبـي الأولى، وفتحـت لي العديـد مـن الأبـواب الرائِعـة، تعلَّمـت الكثـير، وجـدت الكثـير مـن الأشـياء الجديـدة، لكـن لمـاذا أتذكَّـر المُمرِّضـة الآن؟ لمـاذا يبـدو أن سلسـلة الأحـداث هـذه تعيـدني إلى الـوراء عـبر الزمـن؟ لم أسـتطِع تحمُّـل إحيـاء ذكـرى أول زوج مـن سراويـلي الطويلـة، أحتـاج للـشروع في العمـل، لاتخـاذ قـرارات كبـيرة، ولأبـدأ أعـمالًا مُهِمَّـة، بـدلًا مـن التجـوُّل بهـدوء في شـوارِع الذكريـات، غارقًـا في ذكريـات جميلـة عن أول شريحـة دمـاء والتـي، بالتفكـير في الأمـر، أجـد أننـي لم أحـظ بهـا مـن جاورسـكي، كانـت هـذه مـن نـوع التفاصيـل الصغـيرة غـير المُهِمَّـة علـى نحـوٍ سـخيفٍ، والتـي مـن شـأنها أن تحـوِّل أعتـى الرجـال إلى أشـخاص يتململـون وينشـجون بعصبيـةٍ، كُنـت بحاجـة لهـذه الشريحـة، كانـت وفـاة جاورسـكي عديمـة الفائِـدة بدونهـا، كانـت حماقـة الأمـر برمتـه الآن أسـوأ مـن الطيـش المُندفِـع الغبـي، كانـت غـير مُكتمِلـة، لا أملـك الشريحـة.

هـزت رأسي، محـاولًا هـز خليتـين رماديتـين بشـكلٍ مُتقطِّـعٍ مـن أجـل خلـق فجـوة تمُـر عبرهـا النبضـات، كُنـت أرغَـب في ركـوب قـاربي في الصبـاح الباكِـر، لربمـا كان الهـواء المالِـح قـادرًا عـلى تطهـير جُمجمتـي

مـن الغبـاء، أو ربمـا كان بإمـكاني التوجُّـه غربًـا إلى تـركي بوينـت* عـلى أمـل أن يحوِّلنـي الإشـعاع مـرة أخـرى إلى مخلـوق عقـلاني، لكـن بـدلًا مـن ذلـك.. صنعـت قهـوة، دون الشريحـة، في الواقِـع.. لقـد قلَّـل هـذا مـن شـأن التجربـة بأكملهـا، دون الشريحـة، ربمـا بقيـت في المنـزل كذلـك، أو عـلى أقـل تقديـر.. كانـت هنـاك مُكافـآت أخـرى، ابتسـمت باعتـزازٍ، مُتذكـرًا مزيـج ضـوء القمـر والصرخـات المكتومـة، أوه.. يـا لي مـن وحـش صغـير، حادثـة لم تكُـن كالأخريـات، كان مـن الجيـد الخـروج عـن الروتـين المُمِـل بـين حـين وآخـر، وكانـت هنـاك ريتـا بالطبـع، لكننـي لا أملـك أي فكـرة عـما يجـب أن أفكِّـر فيـه بهـذا الشـأن، لـذا لم أفعَـل، بـدلًا مـن ذلـك.. فكَّـرت في النسـيم البـارِد الـذي هـبَّ عـبر جسـد الرجـل الصغـير المُتشـنِّج الـذي يُحِـب أن يـؤذي الأطفـال، لقـد كان وقتًـا سـعيدًا، لكـن بالطبـع.. سـتختفي هـذه الذكـرى خـلال عـشر سـنوات، ودون الشريحـة لـن أسـتطيع اسـتدعاءها، كُنـت بحاجـةٍ إلى تـذكار، حسـنًا.. سـنرى بهـذا الشـأن.

أثنـاء تحضـيري للقهـوة، بحثـت عـن الصحيفـة، مدفوعًـا بالأمـل وليس التوقُّـع، كان مـن النـادِر أن تصـل قبـل السادسـة والنصـف، وفي أيـام الأحـد تصـل بعـد الثامنـة، كان مثـالًا آخـر واضحًـا عـن تفـكُّك المُجتمَـع الـذي لطالمـا أثـار قلـق هـاري، حقًّـا.. الآن: إذا لم يكُـن بإمكانـك إعطـائي صحيفتـي في الوقـت المُناسِـب، فكيـف تتوقَّـع الامتنـاع عـن قتـل النـاس؟

لا صحيفــة، لا يهــم، لم تكُــن التغطيــة الصحفيــة لمُغامــراتي مُثـيرة للاهتـمام أبـدًا بالنسـبة لي، وكان هـاري قـد حـذَّرني مـن مغبَّـة الاحتفاظ بـأي نـوع مـن القصاصـات الورقيـة، لم يكُـن بحاجـةٍ لذلـك؛ نـادرًا مـا ألقيـت نظـرة خاطفـة عـلى مُراجعـة عـروضي، بالطبـع هـذه المرة كانت مُختلِفـة قليـلًا، حيـث إننـي كُنـت متهـورًا بعـض الـشيء، كـما أننـي

* تركي بوينت: مُفاعِل نووي في أونتاريو.

كُنت قلِقًا إلى حدٍ ما لأنني لم أخف آثاري بشكلٍ صحيحٍ، كُنت أشعر بقليلٍ من الفضول لرؤية ما يُمكِن أن يُقال عن حفلتي العرضية، لذلك جلست مع قهوة لقُرابة الخمس وأربعين دقيقة إلى أن سَمِعت الصحيفة تصطدِم بالباب، أحضرتها وفتحتها.

قُل ما يُمكِنك قوله عن الصحفيين، وهناك الكثير للغاية ليُقال، ما يكفي لموسوعة كاملة، بالكاد ما تُزعِجهم الذكريات، نفس الصحيفة التي روَّجت مؤخرًا لخبر «الشُرطة تُحاصِر القاتِل» تصرُخ الآن بخبر «قصة رجل الثلج تذوب وتنكشِف!»، كان مقالًا طويلًا ولطيفًا، مكتوبًا بشكلٍ مُثيرٍ للغاية، يشرَح بالتفصيل اكتشاف جُثّة تعرّضت لسوء مُعاملة في موقع بناء قريب من طريق أولد كاتلر.

«المُتحدِّث الرسمي باسم شُرطة ميامي»، كُنت مُتأكِّدًا أنهم يقصدون بها المُحقِّقة لاجويرتا، قالت أنه من المُبكِّر للغاية أن يصرِّحوا بأي شيءٍ على الإطلاق، لكن على الأرجَح كانت هذه جريمة قتل مُقلَّدة، خرجت الصحيفة باستنتاجها الخاص -وهو أمر نادرًا ما يخجلون منه- ويتساءلون الآن بصوتٍ عالٍ عما إذا كان الرجل المُحترم الموجود في الحجز، السيد داريل إيرل ماكهيل، هو القاتل في الواقع، أم أن القاتل لا يزال حُرًّا طليقًا، في إشارة إلى حالة الغضب الأخيرة على الأخلاق العامة؟ لأنه -كما وضَّحت الصحيفة بعناية- كيف لنا أن نُصدِّق أن اثنين من هؤلاء القتلة يُمكِن أن يكونا طليقين في الوقت نفسه؟ كان هذا منطقيًّا للغاية، وخطر لي أنهم إذا استهلكوا نفس القدر من الطاقة والقوة العقلية في محاولة لحل الجرائم، سيكون الأمر قد انتهى بحلول هذا الوقت.

لكنها بالطبع كانت قراءة مُمتِعة للغاية، وهذا بالتأكيد جعلني أتكهَّن بأنه.. يا إلهي.. هل كان من المُمكِن حقًّا لهذا الحيوان المجنون أن يكون حرًّا طليقًا؟ هل أي أحد بأمانٍ؟

رنَّ الهاتف، نظرت لساعة حائطي، كانت السادسة وخمسًا وأربعين دقيقة، لا يُمكِن أن تكون إلا ديبرا.

قُلت عبر الهاتف: "أنا أقرأها الآن».

قالت لي ديبرا: "أنت قُلت أكبر، لافتًا للنظر".

قُلت ببراءةٍ عظيمةٍ: "أوليس هذا كذلك؟".

قالت: "لم تكُن حتى عاهرة، مُجرَّد عامل نظافة بدوامٍ جزئي في مدرسة بونس الثانوية، مُقطَّع في موقع بناء بأولد كاتلر، ما هذا يا ديكستر؟".

"أنتِ تعلمين أنني لست مثاليًّا، أليس كذلك يا ديبرا؟".

"هذا حتى ليس النمط.. أين البرودة التي أخبرتني بشأنها؟ ما الذي حدث للمساحة الصغيرة؟".

"هذه ميامي يا ديب، الناس يسرقون أي شيء".

قالت: "إنها حتى ليست عملية تقليد، أنها لا تُشبه الأخريات في أي شيء، حتى لاجويرتا اكتشفت هذا بشكلٍ صحيحٍ، وذكرت هذا بالفعل في الجريدة، اللعنة على الأمر كُله يا ديكستر، مؤخرتي في مهب الريح هنا، وهذه مُجرَّد جريمة عشوائية، أو بسبب المُخدرات".

"لا يبدو من العدل أن تلوميني على كُل ذلك".

قالت قبل أن تُنهي المُكالمة: "اللعنة على ذلك يا ديكس".

قضت البرامِج التليفزيونيَّة في الصباح الباكِر تسعين ثانية كاملة في استعراض الاكتشاف المروِّع للجسد المُقطَّع، كان لدى القناة السابِعة أفضل العروض، لكن أيهم لم يكُن يعرِف أكثر من الصحيفة، أثاروا غضبًا وشعورًا كئيبًا بالضيق دامَ حتى في النشرة الجويَّة، لكنني مُتأكِّد أن جزءًا كبيرًا من هذا كان بسبب نقص الصور.

يوم جميل آخر في ميامي، جُثث مشوَّهة مع احتمالية لتساقُط

الأمطار بعد الظهر، ارتديت ملابسي وذهبت إلى العمل.

أعترِف أنه كان لديّ دافع للذهاب إلى المكتب في وقتٍ مُبكّرٍ للغاية، وقد عزَّزته بالتوقُّف لشراء المعجّنات، ابتعت زوجًا من الفطائر المقلية، فطيرة تفّاح، ولفافة قرفة بحجم إطار سيارتي الاحتياطي، أكلت فطيرة التفَّاح وواحدة من الفطائر المقلية بينما كُنت أتجوَّل بمرحٍ في الطرق شبه الفارغة، لا أعرِف كيف أفلِت من تناول الكثير من الكعك المُحلى، لا يزداد وزني أو أصاب بالبثور، وعلى الرغم من أن هذا قد يبدو غير عادِل، فإنني لا أجد في قلبي سببًا للشكوى، لقد خرجت بشكلٍ جيدٍ إلى حدٍ معقولٍ من لعبة المُقامرة الجينية؛ شهية مفتوحة، حجم جيد، وقوة معقولة، وجميعها أشياء تُساعدني في هوايتي، وقد قيل لي أنني لست قبيحًا، والذي على ما أفترِض كان مُجاملة.

ما أنني لم أكُن بحاجةٍ لقدرٍ كبيرٍ من النوم، وهو الأمر الذي كان لطيفًا هذا الصباح، كُنت آمل في الوصول إلى العمل مُبكّرًا قبل فينس ماسوكا، وبدا أنني فعلت ذلك، كان مكتبه مُظلِمًا عندما وصلت إلى هناك، أمسكت بحقيبتي الورقية البيضاء كتمويه.. لكن زيارتي لم يكُن لها أي علاقة على الإطلاق بالكعك المُحلى، فحصت منطقة عمله سريعًا، بحثًا عن صندوق الأدلة المُعنوَن باسم جاورسكي وبتاريخ الأمس.

عثرت عليه وسُرعان ما أخرجت بعض عينات الأنسِجة، كان هناك ما يكفي، أخرجت زوجًا من القفازات المطاطية، وفي لحظة كُنت قد ضغطت العينات على شريحة زجاجية نظيفة، كُنت مدركًا لمدى غباء القيام بمُخاطرةٍ أخرى، لكن كان يجب أن أحظى بشريحتي.

كُنت قد أخفيتها في حقيبة أدلة عندما سمعته يأتي من خلفي، أعدت كُل شيء إلى مكانه سريعًا واستدرت لمواجهة الباب، الذي

عـبره فينـس ورآني.

قُلـت: "يـا إلهـي، أنـت تتحـرّك دون صـوت، يبـدو أنـك حظيـت بتدريبـات النينجـا".

قـال فينـس: "لـديّ شـقيقان أكـبر منـي، لـذا فإنـه الأمـر نفسـه تقريبًـا".

رفعـت الكيـس الورقـي الأبيـض وانحنيـت تبجيـلًا وأنـا أقـول: "مولاي.. لقـد أحـضرت لـك هدية".

نظـر إلى الكيـس بفضـولٍ وهـو يقـول: "ليُبـارِكك بـوذا أيهـا الجُنـدب، مـا هـي؟".

ألقيـت الكيـس، الـذي اصطـدَم بصـدره قبـل أن ينزلِـق إلى الأرض، وأنـا أقـول: "يبـدو أنـك حظيـت بالكثـير مـن تدريبـات النينجا".

قـال فينـس وهـو ينحنـي لاسـتعادة الكيـس: "يحتـاج جسـدي المُتناغِـم جيـدًا للقهـوة كي يعمل".

أمسـك بالكيـس وعبـس قائـلًا: "مـاذا يوجـد هنـا؟ هـذا مؤلِـم، مـن الأفضـل ألا تكـون أجـزاء مـن جُثـة".

أخـرج لفافـة القرفـة الضخمـة وتطلَّـع إليهـا قبـل أن يقـول: "ويحـي، لـن تتضـوَّر قريتـي جوعًـا هـذا العـام، نحـن ممتنـون لـك للغايـة أيهـا الجنـدب".

انحنـى وهـو يرفـع المعجنـات عاليًـا قائـلًا: "الديـن المُسـدَّد نعمـة علينـا جميعًـا يـا ولـدي".

قُلـت: "في هـذه الحالـة.. هـل لديـك ملـف تلـك القضيـة التـي عـثروا عليهـا الليلـة الماضيـة في أولـد كاتلـر؟".

قضـم فينـس قضمـة كبـيرة مـن لفافـة القرفـة، التمعـت شـفتاه بفعـل زينتهـا وهـو يمضغهـا ببـطءٍ قبـل أن يبتلعهـا ويقـول: "هـل نشـعُر

بالإهــمال؟".

قُلــت: "في حــال كُنــت تقصِــد ديــبرا.. فأجــل، نحــن نشــعر بهــذا، أخبرتهــا أننــي ســألقي نظــرة عــلى الملــف مــن أجلهــا".

قــال بفــمٍ مــليءٍ بالمُعجّنــات: "غــلى الافــر عتــاك المنيــل نــت البقــاء نــذه الــترة".

قُلت: "سامحني يا سيدي، تبدو لغتك غريبة بالنسبة لي".

مضــغ الطعــام الموجــود في فمــه قبــل أن يبتلعــه ويقــول: "قُلــت.. عــلى الأقــل هنــاك الكثــير مــن الدمــاء هــذه المــرة، لكنــك خــارج تلــك القضيــة، تلقــى بــرادلي المُكالمــة للعمــل في هــذه القضيــة".

"هل يُمكنني رؤية الملف؟".

أخذ قضمة أخرى وهو يقول: "مان نا زاك جبا".

"هــذا حقيقــي، أنــا مُتأكِّــد تمامًــا مــن ذلــك، لكــن هــل يُمكِنــك أن تقولهــا بالإنجليزيــة؟".

ابتلــع مــا في فمــه وهــو يقــول: "قُلــت.. كان لا يــزال حيًّــا عندمــا قُطِعــت قدمــه".

"الأجساد البشرية مرنة للغاية.. أليس كذلك؟".

أمسَــك فينــس باللفافــة بفمــه، أمســك بالملــف، أعطــاه لي وهــو يتنــاول قضمــة كبــيرة أخــرى مــن اللفافــة في الوقــت نفســه، أمســكت بالملــف وقُلــت: "عــليّ أن أذهَــب، قبــل أن تحــاول التحــدُّث مــرة أخــرى".

أخرج اللفافة من فمه قائلًا: "فات الأوان".

عُــدت ببــطء إلى حجــيرتي الصغــيرة، مُلقيًــا نظــرة خاطِفــة عــلى محتويــات الملــف، كان جيرفاســيو ســيزار مارتيــز هــو مــن اكتشــف الجُثــة، بياناتــه كانــت عــلى رأس الملــف، كان حارسًــا أمنيًّــا، وظَّفتــه شركــة ســاجو للأنظمــة الأمنيــة، يعمــل لديهــم منــذ أربعــة عــشر شــهرًا

ولا يمتلك سجلًا جنائيًا، عَثَر مارتيز على الجُثة حوالي الساعة ١٠:١٧ مساءً، وقام على الفور بإجراء بحث سريع في المنطِقة قبل أن يتصل بالشُّرطة، أراد أن يقبض على الوغد الذي فَعَل ذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يفعل مثل هذه الأشياء، والتي كان قد قام بها عندما كان هو -جيرفاسيو- يعمل، شعر وكأنه فعل هذا به، هل تفهم الأمر؟ لذا أراد القبض على الوحش بنفسه، لكن هذا لم يكُن مُمكِنًا، لم يكُن هناك أي أثر للجاني، ليس في أي مكان، لذلك قام بالاتصال بالشرطة.

أخذها المسكين على محمَل شخصي، شاركته غضبه، لا ينبغي السماح بتلك الأمور الوحشية، بالطبع كُنت مُمتنًا جدًّا لأن إحساسه بالشرف منحني الوقت الكافي لأبتعِد، وأنا الذي كُنت أعتقِد دومًا أن الأخلاق عديمة الفائدة.

استدرت نحو مكتبي المُظلِم الصغير، وجدت نفسي في مواجهة لاجويرتا التي قالت: "أنت لا ترى جيدًا".

لكنها لم تتحرَّك، قُلت: "لست من محبي الصباح، إيقاعاتي الحيوية كُلها مُعطَّلة حتى الظُّهر".

نظرت إليّ من على بُعد إنش واحد قبل أن تقول: "تبدو بخير بالنسبة لي».

استدرت من حولها وصولًا إلى مكتبي وأنا أسألها: "كيف يُمكنني تقديم خدماتي المتواضعة لجلالة ملكة القانون هذا الصباح؟".

حدّقت في وجهي وهي تقول: "لديك رسالة، على جهازك".

نظرت لجهاز الرد على المُكالمات الخاص بي، كان ضوؤه يومض، لا شك في أن هذه المرأة كانت مُحقّقة، قالت لاجويرتا: "إنها فتاة ما، تبدو كسولة سعيدة، هل لديك صديقة يا ديكستر؟".

كان هناك تلميح غريب في صوتها، قُلت: "أنت تعرفين ما عليه الأمر، نساء اليوم متقدّمات للغاية، وعندما يكون المرء وسيمًا مثلي، فإنهن يلقين أنفسهن عليه فورًا".

ربما كان اختيارًا فقيرًا للكلمات؛ لكن بينما كُنت أقولها لم أستطِع مني نفسي من التفكير في رأس المرأة الذي ألقى نحوي منذ وقت ليس ببعيد، قالت لاجويرتا: "احترِس، آجلًا أم عاجلًا ستلتصِق بك إحداهن".

لم يكُن لديّ أي فكرة عما يُفترض بهذا أن يعنيه، لكنها كانت صورة مُقلِقة للغاية.

قُلت: "أنا مُتأكِّد تمامًا أنكِ مُحقّة، وحتى ذلك الحين.. كاربي ديم".

"ماذا؟".

قُلت: "إنها لاتينية، تعني انتهاز الفُرص".

قالت فجأة: "ماذا لديك عن هذا الشيء الذي حَدَث الليلة الماضية؟".

رفعت الملف وأنا أقول: "كُنت أنظر إليه فحسب".

عبست وهي تقول: "الأمر مُختلِف، بغض النظر عما يقوله هؤلاء المراسلون الحمقى، ماكهيل مُذنِب، لقد اعترَف، هذا الشخص مُختلِف".

قُلت: "يبدو الأمر وكأنه يحمل الكثير من الصُدف، اثنان من القتلة الوحشيين في الوقت ذاته".

هزّت لاجويرتا كتفيها وهي تقول: "هذه ميامي، ماذا تعتقِد؟ هذا هو المكان الذي يأتي إليه هؤلاء الأشخاص لقضاء الإجازات، هناك الكثير من الأشرار بالخارج، لا يُمكنني القبض عليهم جميعًا".

كي أكـون صادقًـا، لا يُمكِنهـا القبـض عـلى أي منهـم إلا إذا اندفعـوا بأنفسـهم مـن المباني مُبـاشرةً إلى مقعـد سيارتها الأمامـي، لكـن لا يبـدو أن هـذا هـو الوقـت المُناسِـب لإثـارة هـذا الأمـر، اقتربَـت لاجويرتـا منـي وهـي تضغـط عـلى الملـف بظفـرٍ مطـلي باللـون الأحمـر القاتِـم وهـي تقـول: "أريـدك أن تجـد لي شـيئًا مـا هنـا يـا ديكسـتر، لنُثبِـت أن الأمـر مُختلِـف".

كانـت مُتجهّمـة، تتعـرَّض لضغـوطٍ مُزعجـةٍ، ربمـا مـن الكابـتن ماثيوس، الرجـل الـذي يُصـدِّق مـا قـرأه في الصُّحـف مـا دامـوا يكتبـون اسـمه بشـكلٍ صحيـحٍ، وبحاجـة لبعـض الذخـيرة مـن أجـل العـودة، قُلـت: "بالطبـع الأمـر مُختلِـف، لكـن لمـاذا أتيـتِ إليّ؟".

حدّقـت في وجهـي للحظـة بعينـين نصـف مُغمضتـين، بتعبـير فضـولي، فكَّـرت أنهـا لربمـا كانـت نفـس النظـرة الموجـودة في بعـض الأفـلام التـي تجـبرني ريتـا عـلى مُشـاهدتها، لكـن لمـاذا بحـق السـماء تنظـر لي لاجويرتـا بهـذه الطريقـة، هـذا مـا لم أكُـن أعرِفـه، قالـت: "لقـد سـمحت لـك بحضـور حفـل الشـواء ذي الــ ٧٢ سـاعة، رغـم أن دوكـس أراد أن يرديـك قتيـلًا، لكننـي سـمحت لـك بالتواجُـد".

"شكرًا جزيلًا".

"لأن لديـك حدسًـا عندمـا يتعلَّـق الأمـر بهـذه الأشـياء، أمـور القتلـة المُتسلسـلين، هـذا مـا يقولـه الجميـع، أحيانًـا مـا يكـون لـدى ديكسـتر حـدس مـا".

قُلت: "حقًّا، مُجرَّد تخمين محظوظ في مرةٍ أو اثنتين".

"أنا بحاجةٍ لشخصٍ ما من العاملين في المُختبَر ليجد لي شيئًا ما".

"إذا لماذا لا تطلبين من فينس؟".

قالت: "لأنه ليس لطيفًا، لتجد لي شيئًا ما".

كانـت لا تـزال قريبـة بشـكلٍ غـير مُريـح، قريبـة للدرجـة التـي جعلتنـي قـادرًا عـلى شـم رائحـة الشـامبو الخـاص بهـا، قُلـت: "سـأجِد شـيئًا مـا".

أومـأت برأسـها نحـو جهـاز الـرد عـلى المُكالمـات وهـي تقـول: "هـل سـتعاوِد الاتصـال بهـا؟ ليـس لديـك وقـت لمُطـاردة العاهـرات".

اسـتغرقني الأمـر دقيقـة لأفهـم أنهـا تتحـدَّث عـن الرسـالة الموجـودة عـلى جهـازي، ابتسـمت لهـا أفضـل ابتسـاماتي اللبِقـة وأنـا أقـول: "أظـن أنهـن مـن يُطاردننـي أيتهـا المُحقِّقـة".

رمقتنـي بنظـرةٍ طويلـةٍ قبـل أن تقـول وهـي تسـتدير لترحَـل: "أنـت مُحِـق في ذلـك".

لا أعـرف السـبب، لكننـي راقبتهـا وهـي ترحـل، لم أسـتطِع التفكـير في شيء آخـر لأفعلـه، وقبـل أن تغيـب عـن ناظـري بقليـل، حرَّكـت تنورتهـا بفخذيهـا قليـلًا وهـي تسـتدير لتنظُـر لي، ثـم ذهبـت، لتختفـي في قسـم التحقيـق في جرائـم القتـل الغامِضـة.

ومـاذا عنـي؟ ديكسـتر العزيـز المسـكين الـذي يشـعر بالحـيرة؟ مـاذا يُمكننـي أن أفعـل غـير ذلـك؟ جلسـت عـلى كُـرسي مكتبـي وأنـا أضغـط زر تشـغيل المُكالمـات المُسـجّلة عـلى جهـازي: "مرحبًـا يـا ديكسـتر، هـذه أنـا".

بالطبـع أنـتِ، وبقـدر مـا كان الأمـر غريبًـا، فـإن الصـوت البطـيء الأجـش الـذي قـال (أنـا) كان صـوت ريتـا، أكملـت رسـالتها: "كُنـت أفكِّـر في مـا حـدث الليلـة الماضيـة، اتصـل بي يـا سـيد".

كـما أبـدت لاجويرتـا مُلاحظتهـا، بـدت سـعيدة وكسـولة، عـلى مـا يبـدو.. فلـديّ صديقـة الآن.

أين سينتهي هذا الجنون؟

الفصل الثامن عشر

لوهلةٍ.. جلست وطفقت أفكِّر في مُفارقات الحياة القاسية، بعد سنوات عديدة من الاعتماد على الذات، وجدت نفسي فجأة مُطاردًا من جميع الاتجاهات بنساءٍ جائعاتٍ؛ ديب، ريتا، ولاجويرتا، ويبدو أن جميعهن غير قادرات على الحياة بدوني، ومع ذلك.. فالشخص الوحيد الذي أردت قضاء بعض الوقت معه كان خجولًا، ترك لي رأس باربي مُعلَّقًا على باب ثلاجتي، هل في ذلك أي عدل؟ وضعت يدي في جيبي وشعرت بملمس الشريحة الزجاجية، دافئة وآمنة في حقيبة الأدلة، وللحظةٍ.. جعلتني أشعر بالتحسُّن قليلًا، على الأقل كُنت أفعل شيئًا ما، والتزام الحياة الوحيد -بعد كُل شيء- هو أن تكون مثيرةً للاهتمام، وهو ما كانت عليه في ذلك الوقت، (مُثيرة للاهتمام)، لا توجد كلمات تكفي لوصفِها، سأقايِض سنة من عُمري لأكتشِف المزيد عن ذلك الوغد المراوغ الذي كان يُضايقني بلا رحمة بهذا العمل الأنيق، في الواقِع.. لقد اقتربت من مُقايضة عدد أكبر من السنين بعدما فعلت مع جاورسكي الصغير.

أجل، كانت الأشياء مثيرة للاهتمام، هل كانوا يقولون حقًّا في القسم أن لديّ حدسًا في ما يتعلَّق بالقتلة المُتسلسلين؟ كان هذا مُثيرًا للقلق بشدةٍ، هذا يعني أن تمويهي الدقيق ربما يكون على وشك أن ينكشِف، لقد كُنت جيدًا في مراتٍ عديدةٍ، بإمكان هذا أن يُصبِح مُشكلة، لكن ماذا سأفعل؟ أتظاهر بالغباء لبعض الوقت؟ لم أكُن مُتأكِّدًا من معرفتي لكيفية القيام بذلك، حتى بعد سنوات طويلة من المُراقبة الدقيقة.

حسنًا، فتحت ملف قضية جاورسكي، الرجل المسكين، بعد ساعة

مـن دراسـة الملـف، أتيـت باسـتنتاجين، الأول والأهـم.. سـأفلت بمـا فعلـت، عـلى الرغـم مـن الاندفـاع المتهوِّر الـذي لا يُغتفـر، والثـاني.. قـد تكـون هنـاك طريقـة لتسـتفيد ديـب مـن ذلـك، إذا مـا تمكَّنـت مـن إثبـات أن هـذا عمـل فناننـا الأصـلي، بينـما تمسَّـكت لاجويرتـا بنظريـة التقليـد، يُمكِـن لديـب أن تتحـوَّل فجـأة مـن شـخص غـير جديـر بالثقـة لشـخص يتحكَّـم في مـذاق قهـوة الشـهر للقسـم بأكملـه، بالطبـع لم يكُـن هـذا مـن عمـل نفـس الشـخص، لكـن بـدا ذلـك وكأنـه اعـتراض صعـب المنـال في هـذه المرحلـة، وبمـا أننـي أعـرف بمـا لا يـدع مجـالًا للشـك أنـه سـيكون هنـاك المزيـد مـن الجُثـث سـيجدونها في القريـب العاجِـل، فـلا داعـي للقلـق.

وبطبيعـة الحـال، في الوقـت نفسـه.. كان عـليّ أن أمنَـح المُحقِّقـة لاجويرتـا المُزعِجـة حبـلًا كافيًـا لتشـنق نفسـها، والـذي ربمـا يكـون مفيـدًا عـلى المسـتوى الشـخصي، أن تكـون في متنـاول يـدي، أدفعهـا في ركـنٍ وأجعلهـا تبـدو كغبيـة، مـن الطبيعـي أن تحـاوِل لاجويرتـا إلقـاء اللـوم عـلى تقنـي المُختـبر الأحمـق الـذي أعطاهـا اسـتنتاجًا خاطئًـا، ديكسـتر البليـد الكسـول، وستُعاني سُـمعتي مـن انتـكاس تحتـاج إليـه بشـدةٍ عـلى أقـل تقديـر، لـن يعـرض هـذا وظيفتـي للخطـر بالطبـع، حيـث إنـه مـن المُفـترض بي أن أحلِّـل بقـع الـدم، وليـس تقديـم خدمـات الدعـم، وفي هـذه الحالـة.. سـيكون مـن المُفيـد أن تظهـر حقيقـة لاجويرتـا كحمقـاء، وأن ترتفـع أسـهم ديـبرا بشـكلٍ أكـبر.

مـن الجميـل أن تسـير الأمـور بدقـة، اتصلـت بديـبرا، وفي الواحـدة والنصـف مـن ظهـر اليـوم التـالي.. قابلتهـا في مطعـم صغـير عـلى بُعـد عـدة مبـانٍ شـمال المطـار، مختبئـًا داخِـل مـول تجـاري صغـير، بـين محـل لبيـع قطـع غيـار السـيارات ومتجـر أسـلحة، كان مكانًـا يعرفـه كلانـا جيـدًا، وليـس بعيـدًا عـن مقـر قسـم شُرطـة ميامـي، هنـاك.. كانـوا

يصنعـون أفضـل الشـطائر الكوبيـة في العـالم، ربمـا يبـدو هـذا كأمـر تافـه، لكننـي أضمـن لـك أن هنـاك أوقاتًـا لا ينجـح فيهـا إلا الأماكِـن المتوسِـطة، مثـل الآن.. فمقهـى ريلامباجـو هـو المـكان الوحيـد الـذي يُمكنـك أن تحظـى فيـه بشـطيرة منهـم، يـزور آل مورجـان هـذا المـكان منـذ عـام ١٩٧٤.

شـعرت أن بعـض اللمسـات الصغـيرة كانـت صحيحـة، إن لم تكُـن تسـتحِق احتفـالًا حقيقيًـا، عـلى الأقـل.. معرفـة أن الأمـور كانت تتحسَّـن بشـكلٍ طفيـفٍ، أو تـراني أشـعر فقـط بالحيويـة لأننـي سـأفلت بمـا فعلـت مـع صديقـي العزيـز جاورسـكي، لكـن عـلى أي حـال.. شـعرت بأننـي في حالـة جيـدة لا يُمكِـن تفسـيرها، حتـى أننـي طلبـت كوكتيـل «مخفـوق الأم» وهـو مخفـوق حليـب كـوبي ذو طعـم فريـد مـن نوعـه، يبـدو مذاقـه وكأنـه خليـط مـن البطيـخ، الخـوخ، والمانجـو.

بالطبـع لم تكُـن ديـب قـادرة عـلى أن تُشـاركني في مزاجـي المُعتـدِل، بـدت وكأنهـا كانـت تحـاول تقليـد تعابـير وجـه سـمكة كبـيرة، قاسـية ومُترهلّـة إلى أقـصى الحـدود.

توسَّـلت إليهـا قائـلًا: "أرجـوكِ يـا ديـبرا، إن لم تتوقفـي عـن فعـل ذلك، سـتلتصِق تلـك التعبـيرات بـه للأبـد، وسـيأخذونكِ إلى قـاع المُحيط".

قالـت: "عـلى الأقـل لـن يعتـبروني كشُرطيـة، لأننـي لم أعـد كذلـك بعـد الآن".

قُلت: "هذا هراء، ألم أعدكِ؟".

"أجـل، كـما وعدتنـي أيضًـا أن هـذا الأمـر سـيُفلِح، لكنـك لم تقُـل أي شيء عـن النظـرة التـي رمقنـي بهـا النقيـب ماثيـوس".

قُلت: "ديب، هل نظر إليكِ؟ أنا آسف جدًا".

"اللعنـة عليـكَ يـا ديكسـتر، أنـت لم تكُـن موجـودًا هنـاك، وليسـت

حياتـك هـي مـن تسـوء".

"أخبرتكِ أن الأمر سيكون قاسيًا لبعض الوقت يا ديبس".

"حسـنًا، عـلى الأقـل كُنـت مُحقًّـا بهـذا الشـأن، فطبقًـا لماثيـوس.. فأنـا قريبـة مـن الفصـل".

"لكنـه أعطـاكِ الإذن لاسـتخدام وقـت فراغـكِ لفحـص الأمـر أكـثر مـن ذلك؟".

نخـرت قائلـة: "قـال لا يُمكننـي منعـكِ يـا مورجـان، لكـن أمـلي خـاب بـكِ، وأتسـاءل عـما كان والـدكِ سـيقوله".

"ألم تقـولي لـه أن والـدي لم يُغلـق يومًـا قضيـة بإلقـاء رجـلٍ خاطـئ في السـجن؟".

بـدت مُندهِشـة وهـي تقـول: "لا، لكـن هـذا مـا كُنـت أفكِّـر فيـه، كيـف عَرِفـت؟".

"لكنكِ لم تقولي هذا في الواقِع، أليس كذلك يا ديبرا؟".

قالت: "لا".

دفعـت كأسـها نحوهـا وأنـا أقـول: "تنـاولي بعـض الـشراب يـا أختـي، ستتحسَّـن الأمـور".

نظـرت نحـوي وهـي تقـول: "هـل أنـت مُتأكِّـد أنـك لا تسـاعدهم في فصـلي؟".

قُلـت بلُطـفٍ: "مُسـتحيل يـا ديـب، كيـف يُمكننـي أن أفعـل ذلـك؟ تحتاجـين لأن تثقـي بي حقًّـا يـا أختـي".

نظـرت في عينـيّ للحظـةٍ قبـل أن تخفـض نظرهـا، لم تلمِـس شرابهـا بعـد، وهـذا كان أمـرًا مؤسِـفًا لأنـه كان شرابًـا جيـدًا للغايـة.

نظـرت لي وعـلى وجههـا يتراقَـص تعبـير غريـب للغايـة، قبـل أن تقـول: "أثـق بـك، لكنني أقسِـم لـك باللـه أننـي لا أعـرف لذلـك سـببًا،

وأحيانًا.. أظن أنه لا يجب عليّ الوثوق بك يا ديكستر".

ابتسمت لها ابتسامة أخ أكبر مُطمئِنة وأنا أقول: "خلال اليومين أو الثلاثة القادمين ستتحسَّن الأمور، أعدك بهذا".

قالت: "لا يُمكِنك أن تعرف ذلك".

"أعرف أنه لا يُمكنني يا ديب، لكنني أعرِف، بل أنا مُتيقِّن من ذلك".

"إذًا لماذا تبدو سعيدًا للغاية بهذا الشأن؟".

أردت أن أخبرها بأن هذه الفكرة هي ما تجعلني سعيدًا، لأن مُجرَّد التفكير في رؤية المزيد من العجائِب الخالية من الدماء جعلني أسعد من أي شيء آخر كان بإمكانيّ التفكير به، لكن بالطبع.. لم تكُن ديب لتشاركني هذا الشعور، لذا احتفظت به لنفسي وأنا أقول: "بطبيعة الحال.. أنا سعيد فقط من أجلكِ".

نخرت قائلة: "هذا صحيح، لقد نسيت".

على الأقل رشفت رشفة من مشروبها، قُلت: "اسمعي، إما أن لاجويرتا مُحقَّة...».

"والذي يعني أنني إما ميتة أو مُحطَّمة".

"أو أن لاجويرتا مُخطِئة، وحينئذ ستكونين حيَّة وفي خير حال، هل أنتِ معي حتى الآن يا أختي؟».

قالت وهي غاضبة بشكلٍ ملحوظٍ من مدى صبري: "حسنًا".

"في حال وضعتِ رهانًا، هل ستراهنين على كون لاجويرتا مُحقة؟ بشأن أي شيء؟".

قالت: "ربما بشأن الموضة، ترتدي ملابِس جميلة حقًّا".

جاءت الشطائر، وضعها النادِل في مُنتصف المنضدة دون أن ينبس ببنت شفة قبل أن يرحل ليقف خلف منضدة عمله، ورغم ذلك..

كانـت شـطائر جيـدة للغايـة، لا أعلـم مـا الـذي يجعلهـا أفضـل مـن شـطائر باقـي المطاعِـم، لكنهـا كانـت كذلـك؛ الخبـز مقرمَـش مـن الخـارِج وطـري مـن الداخِـل، القـدر المناسِـب تمامًـا مـن لحـم الخنزيـر والمخلَّـل، الجـبن النقـي ذائـب تمامًـا، قضمـت قضمـة كبـيرة، بينـما حرَّكـت ديـبرا الماصـة في مشروبهـا.

ابتلعتهـا وأنـا أقـول: "ديبـس، إن لم يسـتطِع منطقـي القاتِـل إبهاجـكِ، وكذلـك واحـدة مـن شـطائِر ريلامباجـو لا تسـتطيع إبهاجـكِ، فـإن الأوان قـد فـات.. أنـتِ ميتـة بالفعـل".

نظـرت لي بوجـه السـمكة وهـي تقضـم قضمـة مـن شـطيرتها، قبـل أن تقـول دون أي تعبـيرات: "إنهـا جيـدة للغايـة، هـل تـراني وأنـا مُبتهِجة؟".

لم يُقنعهـا الـشيء المسـكين، وكان هـذا صدمـة مدويَّـة لكبريـائي، لكـن بعـد كُل شيء.. لقـد نجحـت في إطعامهـا الطعـام القـادِر عـلى إبهـاج آل مورجـان، وزففـت إليهـا أنبـاء رائعـة، حتـى لـو لم ترهـا بهـذه الطريقـة، إن لم يكُـن هـذا قـادرًا عـلى جعلهـا تبتسِـم، ففـي الحقيقـة لا يُمكنـك أن تتوقَّـع منـي فعـل كُل شيء.

أحـد الأشـياء الصغـيرة الأخـرى التـي يُمكِننـي القيـام بهـا كذلـك هـو إطعـام لاجويرتـا أيضًـا، شيء غـير مُستسـاغ تمامًـا كواحـدة مـن شـطائر ريلامباجـو، لكنـه سـيكون لذيـذًا بطريقتـه الخاصـة، وهكـذا.. بعـد ظُهـر اليـوم اتصلـت بالمُحقِّقـة الجيـدة في مكتبهـا، وهـي حجـيرة صغـيرة جميلـة في ركـن غرفـة كبـيرة تحتـوي عـلى نصـف دزينـة مـن الحجـيرات الصغـيرة الأخـرى، كانـت حجرتهـا -بالطبـع- هـي الأكـثر أناقـة، مـع العديـد مـن صورهـا الرائعـة مـع المشـاهير مُعلَّقـة عـلى نسـيجَ الفواصِل، ميَّـزت منهـم جلوريـا سـتيفان، مادونـا، وجورجـي مـاس كانوسـا، عـلى المكتـب.. الموجـود في الجانـب الآخـر مُغطـى بنشـافة خـضراء بإطـارٍ جلـدي، وفوقـه حامـل أقـلام أخـضر أنيـق، وسـاعة كوارتـز في المُنتصـف.

كانـت لاجويرتـا تتحـدَّث عـبر الهاتـف بإسـبانيةٍ سريعـةٍ عندمـا دخلـت، نظـرت لي دون أن تـراني قبـل أن تُشـيح بوجههـا، لكـن بعـد لحظـة عـادت بأنظارهـا إليّ، هـذه المـرة نظـرت لي بدقـة، وعبسـت، ثـم قالـت: "حسـنًا.. حسـنًا. تـا لـو".

التـي كانـت لفظـة كوبيـة تعنـي وداعًـا، وضعـت السـماعة واسـتمرَّت في النظـر إليّ.

في النهاية قالت: "ماذا جلبت لي؟".

قُلت: "بشرى سعيدة".

"إذا كان هذا يعني أخبارًا جيدة، فأنا بحاجة لبعضها".

جذبـت كُرسـيًّا قابِلًا للطـي بقدمـي إلى حجيرتهـا، جلسـت عليـه وأنـا أقـول: "ليـس هنـاك شـك أنـه لديـكِ الرجـل الصحيـح في السـجن، الـذي ارتكـب جريمـة قتـل أولـد كاتلـر كان شـخصًا مُختلِفًـا".

نظـرت لي للحظـةٍ، تسـاءلت عـما إذا كانـت تسـتغرِق وقتًـا طويـلًا لمُعالجـة البيانـات والـرد، قبـل أن تسـألني في النهايـة: "هـل يُمكِنـك أن تضمـن لي ذلـك؟ هـل أنـت مُتأكِّـد؟".

بالطبـع يُمكننـي أن أضمـن لـكِ ذلـك بالتأكيـد، لكننـي لـن أفعـل ذلك، مهـما كان الاعـتراف جيـدًا للـروح، بـدلًا مـن ذلـك.. أسـقطت الملـف عـلى مكتبهـا وأنـا أقـول: "الحقائِـق تتحـدَّث عـن نفسـها، لا يوجـد أي شـك في ذلـك عـلى الإطـلاق".

بالطبـع ليـس هنـاك أي شـك في ذلـك عـلى الإطـلاق، لأننـي الوحيـد الـذي أعـرف كُل شيء تمـام المعرفـة، قُلـت: "انظـرِي..".

أخرجـت صفحـة مـن المُقارنـات المُنتقـاة التـي كتبتهـا بعنايـةٍ وأنـا أضيـف: "أولًا.. الضحيـة ذكـر، وكُل الضحايـا السـابقات كُـن إناثًـا، تـم العثـور عـلى هـذه الضحيـة في أولـد كاتلـر، بينـما تـم العثـور عـلى كُل

ضحايا ماكهيل قبالة تاميامي تريل، هذه الضحية وُجِدَت سليمة نسبيًا، وفي نفس المكان الذي قُتِل فيه، بينما كانت ضحايا ماكهيل مُقطَّعة تمامًا، وتم نقلها لمكانٍ آخر للتخلُّص منها».

واصلت، واستمعت بعنايةٍ، كانت القائمة جيدة، استغرقتني بضع ساعات للتوصُّل إلى أكثر المُقارنات وضوحًا، غرابةً، وحماقةً، ويجب أن أقول إنني قُمت بعملٍ جيدٍ للغاية، كما قامَت لاجويرتا بدورها بشكلٍ رائعٍ كذلك، صدَّقت الأمر برمته، بالطبع كانت تسمَع ما أرادت سماعه.

قُلت: "باختصارٍ.. فإن جريمة القتل الجديدة يغلب عليها طابِع الانتقام، على الأرجَح لها علاقة بالمُخدِرات، بينما قام الرجل الموجود في السجن بارتكاب الجرائم الأخرى، وهو أمر أكيد تمامًا، وبشكلٍ إيجابي، عمل مُنتهٍ تمامًا وللأبد، ولن يحدُث مرة أخرى، أُغلِقت القضية".

أسقطت الملف على مكتبها وأنا أُمسِك بقائمتي.

أخذت مني الورقة، ونظرت إليها لبرهةٍ طويلةٍ، عبست، تحرَّكت عيناها صعودًا ونزولًا على الورقة عدة مرَّات، ارتجفت إحدى زوايا شفتها السُّفلى، ثم وضعتها بعنايةٍ على مكتبها تحت دباسة ثقيلة خضراء اللون.

قالت وهي تحرك الدباسة قليلًا لتحاذي حافة النشَّاف الخاص بها تمامًا وهي تقول: "حسنًا، جيد جدًّا، من شأن هذا أن يُساعِد".

نظرت لي مرة أخرى وعبوس التركيز لا يزال مسيطرًا على ملامحها، قبل أن تبتسِم فجأة وهي تقول: "حسنًا، شكرًا لك يا ديكستر".

كانت ابتسامة حقيقية وغير متوقَّعة لدرجة أنني لو كُنت أمتلك روحًا لشعرت بالذنب تمامًا.

وقفت وهي لا تزال مُبتسِمة، وقبل أن أتمكَّن من التراجُع، ألقت بذراعيها حول رقبتي لتحتضنني، قالت: "أنا أقدِّر ذلك حقًّا، أنت تجعلني أشعر بأنني.. مُمتنَّة جدًّا".

وحرَّكت جسدها على جسدي بطريقةٍ لا يُمكِن أن تكون إلا مليئة بالإيحاءات، كان هذا أمرًا لا شك فيه، أقصد.. ها هي، مُدافِعة عن الأخلاق العامة، ومع ذلك فها هي في مكانٍ عامٍ، حتى لو كان هذا المكان قبو بنك، كُنت سأكون غير مُهتَم حقًّا بتحريك جسدها على جسدي بهذه الطريقة، ناهيك عن حقيقة أنني سلَّمتها لتوي حبلًا على أمل أن تشنق به نفسها، وهو الأمر الذي يبدو بالكاد من الأمور التي يحتفِل بها المرء، حسنًا.. هل جُن جنون العالم؟ ما خطب البشر؟ هل هذا كُل ما يفكرون فيه؟

شعرت بشيء قريب للغاية من الذعر، حاولت أن أحرِّر نفسي وأنا أقول: "من فضلك أيتها المُحقِّقة..".

قالت وهي تتشبَّث بي وتفرك نفسها بقوةٍ أكبر: "ناديني بميجديا".

مدَّت يدها للأسفل، نحو مُقدّمة بنطالي قبل أن أقفز من مكاني. على الجانِب الإيجابي.. تصرّفي نجح في إبعاد المُحقِّقة الشهوانية، وعلى الجانِب السلبي.. قامت بالدوران جانبيًّا، ضربت المكتب بفخذها، وتعثَّرت بمقعدها، قبل أن تسقُط أرضًا.

تلعثمت قائلًا: "أنا.. يجب أن أعود للعمل، هناك أمور هامة...".

ورغم ذلك.. لم يُمكنني التفكير في أي شيء أكثر أهمية من النجاة بحياتي، لذلك خرجت من الحجيرة، وتركتها تنظر لي.

لم تبد نظرة ودودة أبدًا.

الفصل التاسع عشر

استيقظت واقفًا بجوار الحوض والمياه مفتوحة، حظيت بلحظةٍ من الفزع الخالص، شعور بالارتباك التام، تسارعت دقَّات قلبي بينما يحاول جفناي المذعوران اللحاق بالركب، هناك شيء خاطئ في المكان، لا يبدو الحوض جيدًا، لم أكُن متأكِّدًا مَن أنا.. في حلمي كُنت أقِف أمام حوض والماء يتدفَّق، لكنه لم يكُن هذا الحوض، كُنت أفرك يديّ، أفركهما بالصابون جيدًا، في محاولةٍ لتطهير بشرتي من كُل ذرة ميكروسكوبية من الدم الأحمر الرهيب، أغسلهما بماء ساخن للدرجة التي تركت بشرتي وردية، جديدة، ومُطهَّرة، وصدمتني حرارة الماء بقسوةٍ بعد برودة الغرفة التي تركتها خلفي لتوي، غُرفة اللعب، غُرفة القتل، غُرفة التجفيف والتقطيع الدقيق.

أغلقت المياه ووقفت للحظةٍ، مُتمايلًا ضد الحوض البارد، كان كُل شيء حقيقيًّا جدًّا، لم يكُن أبدًا من نوع الأحلام التي أعرفها، تذكَّرت تلك الغُرفة بوضوح، كان بإمكاني رؤيتها بمُجرَّد إغلاق عينيّ.

أقف فوق امرأة، أراقبها وهي تتلوى وتقاوم الشريط اللاصِق الذي يُمسِك بها، أرى الرُّعب الحي المُتنامي في عينيّها المذعورتين، أشاهده يزدهِر ليأسٍ، وأشعر بجُرعةٍ كبيرةٍ من الإعجاب تتصاعد بداخلي، وتدفَع يدي إلى السكين، وبينما أرفع السكين لأبدأ..

لكن هذه لم تكُن البداية، لأن تحت المنضدة كان هناك أخرى، جافة وملفوفة بحرصٍ، وفي الركن البعيد.. هناك واحدة أخرى، تنتظِر دورها بفزعٍ أسود ميؤوس منه، على عكس أي شيء رأيته من قبل، على الرغم من أنه مألوف وضروري للغاية، فإن هذا الإعتاق من بين جميع الاحتمالات الأخرى كان مُكتملًا لدرجة أنه كان يغسلني

بطاقةٍ نظيفةٍ ونقيةٍ تصيبني بالنشوة أكثر من..

ثلاثة.

هناك ثلاثة هذه المرة.

فتحت عينيّ، رأيت انعكاسي في المرآة، مرحبًا يا ديكستر.. هل تحظى بحلمٍ أيها الفتى العجوز؟ مُثير للاهتمام.. أليس كذلك؟ ثلاث ضحايا؟ لكنه مُجرَّد حلم، لا شيء آخر، ابتسمت لي، مُجرِّبًا عضلات وجهي، غير مُقتنِع تمامًا، وبقدر ما كانت مليئة بالحيوية، كُنت مُستيقظًا الآن، لا أشعر بشيء سوى بصُداع الثمالة وأيدٍ مُبتلّة.

ما كان ينبغي له أن يكون فاصلًا مُمتعًا في عقلي الباطِن جعلني أرتجِف، لم أكُن مُتأكِّدًا.. لكنني شعرت بالرهبة من فكرة أن عقلي قد جُن وتركني من خلفه لأدفع الثمن، فكَّرت في رفقاء اللعب الثلاثة المربوطين بعنايةٍ، أردت العودة لهم للمُتابعة، فكَّرت في هاري وأدركت أنني لن أستطيع القيام بذلك، كُنت مُعلَّقًا بين الذكرى والحلم، ولم يكُن بإمكاني تحديد أيهما أكثر إقناعًا.

لم يعُد هذا مُمتعًا بعد الآن، أردت استعادة عقلي، جفَّفت يديّ وعدت للفراش مرة أخرى، لكن لم يتبقَّ المزيد من النوم في هذه الليلة لعزيزي المُدمَّر ديكستر، استلقيت على ظهري فحسب وأنا أراقِب البرك السوداء تطفو على السقف، إلى أن رنَّ هاتفي في السادسة إلا رُبع.

قالت ديب عندما رفعت السماعة: "كُنت مُحقًّا".

قُلت وأنا أبذل مجهودًا ضخمًا في محاولة أن أبدو مُبتهجًا كعادتي: "هذا شعور رائع، لكن مُحقًّا بأي شأن؟".

قالت ديب: "بشأن كُل شيء، أنا في مسرح جريمة في تاميامي تريل، خمِّن ما حَدَث؟".

"كُنت مُحقًّا؟".

"إنـه هـو يـا ديكسـتر، لا بُـد لـه أن يكـون، وهـو أمـر رائـع للغايـة أيضًـا".

سألتها: "رائع إلى أي قدر يا ديب؟".

كُنـت أفكّـر في ثـلاث جُثـث، وآمـل ألا تقـول ذلـك، رغـم أنني سـعدت باليقـين أنهـا سـتفعل، قالـت: "يبـدو أن هنـاك العديـد مـن الضحايا".

سرت قشـعريرة في جسـدي، مـن معـدتي إلى الأعـلى، كـما لـو أننـي ابتلعـت حمـض بطاريـات، لكننـي بذلـت مجهـودًا هائـلًا لأسـتجمِع شـتات نفسي أمـام ذكاء الأمـر، وأنـا أقـول: "هـذا رائـع يـا ديـب، أنـتِ تتحدَّثـين مثـل تقاريـر مُكافحـة جرائـم القتـل".

"أجـل، حسـنًا.. بـدأت أشـعر وكأننـي سـأكتب واحـدًا يومًـا مـا، أنـا سـعيدة فقـط لأنـه لـن يكـون تقريـر تلـك الجريمـة، إنهـا غريبـة للغايـة، لاجويرتـا لا تعـرف بـمَ تُفكّـر".

"أو حتى كيف، ما الغريب في تلك الجريمة يا ديب؟".

قالـت فجـأة: "يجـب أن أذهَـب، تعـال إلى هنـا يـا ديكسـتر، يجـب أن تـرى هـذا".

بحلـول الوقـت الـذي وصلـت فيـه كان الزحـام يصطـف لثلاثـة صفـوف خلـف الحاجـز، ومُعظمهـم كان مـن المُراسـلين، مـن الصعـب أن تشـق طريقـك وسـط زحـام مـن المُراسـلين المهووسـين برائحـة الدمـاء التـي تصـل إلى أنوفهـم، قـد لا تظُـن ذلـك.. خصوصًـا وأنهـم دائمًـا مـا يظهـرون أمـام الكامـيرات كقطيـع مـن الجُبنـاء مُدمـري الدمـاغ الذيـن يعانـون مـن اضطرابـات في الأكل، لكـن لتضعهـم حـول حاجـز شُرطـة وسـيحدث شيء أشـبه بالمُعجـزة، يصبحـون أقويـاء، عدوانيين، ومُسـتعدين وقادريـن عـلى دفـع أي شيء أو أي شـخص بعيـدًا عـن الطـرق قبـل أن

يدهسـوه بأقدامهـم، يُشـبه الأمـر لحـدٍّ مـا قصـص الأمهـات المُسـنّات الـلاتي يرفعـن الشـاحنات عندمـا يكـون أطفالهـن مُحتجزيـن تحتهـا، تأتيهـم القـوة مـن مـكانٍ غامـضٍ، وبطريقـةٍ مـا.. عندمـا تكـون هنـاك دمـاء عـلى الأرض، يُمكِـن لهـذه المخلوقـات القاتِلـة أن تشُـق طريقهـا عـبر أي شيء، دون أن يهتـز لهـم جفـن كذلـك.

مـن حُسـن حظـي، أن واحـدًا مـن مرتـدي الـزي الرسـمي الموجوديـن أمـام الحاجِـز تعـرَّف عـليّ، قـال للمُراسـلين: "دعـوه يمُـر أيهـا البشر، دعـوه يعـبُر".

قُلـت لـه: "شـكرًا يـا خوليـو، يبـدو وكأن عـدد المُراسـلين يـزداد عامًـا بعـد عـام".

نَخَـر قائـلًا: "يبـدو أن هنـاك مـن يستنسـخهم، يبـدون جميعًـا مُتشـابهين بالنسـبة لي".

مـررت مـن أسـفل الشريـط الأصفـر وأنـا أتوجَّـه نحـو الجانِـب البعيد، كان لـديّ شـعور غريـب بـأن هنـاك شـخصًا مـا كان يعبـث بمسـتوى الأوكسـجين في الغـلاف الجـوي لميامـي، وقفـت وسـط الحُطـام المكسـور في موقـع بنـاء، كانـوا يبنـون مـا سـيكون عـلى الأرجَـح مبنـى مكوَّنًـا مـن ثلاثـة طوابـق، ذلـك النـوع الـذي يسـكُنه عـادةً المطـوّرون المُهمّشـون، تقدَّمـت للأمـام ببـطء، مُتابعًـا النشـاط حـول الهيـكل نصـف المبنـي، أدركـت أنـه لم يكُـن مـن قبيـل المُصادفـة أن نـأتي جميعًـا إلى هنـا، لا شيء يحـدث عـن طريـق الصدفـة مـع هـذا القاتِـل، كان كُل شيء مُتعمّـدًا، تـم دراسـته بعنايـةٍ مـن أجـل إحـداث تأثـير جـمالي، واستكشـافه للـضرورة الفنيّـة.

كُنـا في موقـع بنـاء لأن هـذا كان ضروريًـا، كان يُـدلي ببيانـه، تمامًـا كـما أخـبرت ديـبرا أنـه سـيفعل، أنتـم تُمسِـكون بالشـخص الخاطـئ، هكـذا كان يقـول، لقـد حبسـتم وغـدًا لأنكـم جميعًـا حفنـة مـن الأوغـاد، أنتـم

أغبى من أن تروا الأمر لذا سأفركه تحت أنوفكم؛ هكذا جرى الأمر.

لكنه كان يصرِّح بأكثر من ذلك، أكثر من رسالته للشُّرطة وللعامة، كان يحدّثني؛ يضايقني، يستفزّني باقتباس مقطع من عملي المُتسرِّع، أحضر الجُثث لموقع بناء لأنني أخذت جاورسكي لموقع بناء، كان يلعب معي الغُميضة، يرينا جميعًا كم كان جيدًا، ويخبر واحدًا منّا -أنا- أنه كان يُراقِب، أعرف ما فعلته، وبإمكانيّ القيام به كذلك، وبشكلٍ أفضل.

أعتقِد أن هذا كان من المُفترَض به أن يُقلقني قليلًا، لكنه لم يفعل.

جعلني هذا أشعر بالدوار قليلًا، مثل فتاة في المدرسة الثانوية تُشاهِد قائد فريق كرة القدم وهو يحاول أن يستجمِع أعصابه ليطلب منها الخروج في موعد، هل تقصدني؟ أنا الصغيرة؟ يا إلهي، حقًّا؟ اعذرني بينما سأحرِّك رموشي في سُرعة.

أخذت نفسًا عميقًا وحاولت تذكير نفسي أنني كُنت فتاة جيدة وأنني لم أفعل تلك الأشياء، لكنني كُنت أعلم أنه قام بها، وأردت حقًّا أن أخرج معه في موعد، أرجوك يا هاري؟

لأنه أبعد ما يكون ببساطةٍ عن القيام بأشياء مُثيرة للاهتمام مع صديق جديد، كُنت بحاجةٍ للعثور على هذا القاتل، كان عليّ أن أراه، أن أتحدَّث معه، أن أثبِت لنفسي أنه حقيقي وأنه..

وأنه ماذا؟

وأنه ليس أنا؟

وأنه ليس أنا من يفعل هذه الأمور الرهيبة المُثيرة للاهتمام؟

لماذا اعتقدت ذلك؟ هذا أمر يفوق الغباء؛ كان هذا أمرًا لا يستحق عناء انتباه عقلي الذي كُنت فخورًا به يومًا، باستثناء أن

الآن بعدما ظهرت تلك الفكرة، لم يعد بإمكاني الجلوس والتصرُّف بهدوء، ماذا لو كُنت أنا؟ ماذا لو فعلت هذه الأشياء بطريقةٍ ما دون أن أعرف ذلك؟ هذا مُستحيل بالطبع، مُستحيل تمامًا، لكن...

أستيقظ أمام الحوض، أغسل الدماء عن يديّ بعد «حلم»، الدماء التي ملأت يديّ بها بحرصٍ وبهجةٍ وأنا أفعل أشياء عادةً ما أحلم بفعلها، بطريقةٍ ما.. كُنت أعرف أشياء عن سلسلة جرائم القتل بأكملها، أشياء لا يُمكنني معرفتها إلا إذا...

لا شيء، تناول مُهدِّئًا يا ديكستر، ابدأ من جديد، تنفَّس أيها المخلوق السخيف، بهواءٍ جيدٍ، اطرد الهواء السيئ، لم يكُن هذا سوى عرض واحد من أعراض خلل عقليّ الموجود مؤخرًا، كُنت فقط أصاب بالشيخوخة المُبكِّرة من ضغوط حياتي النظيفة، من المؤكَّد أنني عشت لحظة أو اثنتين من لحظات الغباء البشري في الأسابيع القليلة الماضية، وإن يكُن؟ لا يُثبِت هذا بالضرورة أنني إنسان، أو أنني كُنت مُبدعًا أثناء نومي.

لا، بالطبع لا، هذا صحيح تمامًا؛ لا يعني شيئًا من هذا القبيل، لذلك.. ماذا يعني ذلك؟

كُنت قد افترضت أنني أصبت بالجنون فحسب، وأسقطت عدة حفنات من الرخام في سلة المهملات، أمر مُريح.. لكن إذا كُنت مُستعدًّا لافتراض ذلك، فلماذا لا أعترِف أنه من المُمكِن أنني ارتكبت سلسلة من المقالِب الصغيرة المُبهِجة دون أن أتذكَّرها، باستثناء أحلام مُتفرِّقة؟ هل كان قبول الجنون أسهل من قبول فقدان الوعي؟ في النهاية.. هو شكل أقوى من المشي أثناء النوم، «القتل أثناء النوم»، ربما كان شائعًا للغاية، لكن لماذا لا؟ لقد تخليت بالفعل عن مقعد السائق لعقلي الباطن على نحوٍ مُنتظِم عندما يتولى الراكِب المُظلِم القيادة، في الواقِع لم تكُن قفزة كبيرة

لقبـول أن الـشيء نفسـه كان يحـدُث هنـا، الآن، وبشـكلٍ مُختلـفٍ قليـلًا، كان الراكِـب المُظلِـم يسـتعير السـيارة أثنـاء نومـي.

وإلا فكيـف تـشرَح الأمـر؟ أننـي كُنـت أسـقط نجميًّـا بينـما كُنـت نائمًا وحـدث أننـي قـد تداخلـت اهتـزازاتي مـع هالـة القاتِـل بسـبب علاقتنـا في الحيـاة الماضيـة؟ بالتأكيـد قـد يكـون ذلـك منطقيًّـا، إذا حـدث ذلـك في جنـوب كاليفورنيـا، لكـن في ميامـي.. بـدا الأمـر ضعيفًـا بعـض الـشيء، ولذلـك.. إذا مـا دخلـت إلى نصـف المبنـى ذلـك وحـدث أن رأيـت ثـلاث جُثـث مُرتَّبـة بطريقـةٍ لتبـدو وكأنهـا تتحـدَّث معـي، فسـيتحتَّم عـليّ أن أفكِّـر في إمكانيـة أننـي مـن كتـب الرسـالة، ألم يكُـن ذلـك منطقيًّـا أكـثر مـن الاعتقـاد بأننـي كُنـت منخرطًـا في حفلـة مـن الـلا وعـي بطريقـةٍ ما ؟

كُنـت قـد وصلـت للسـلم الخارجـي للمبنـى، توقَّفـت هنـاك للحظـةٍ وأغلقـت عينـيّ، انحنيـت للأمـام نحـو كتلـة خرسـانية عاريـة مـن الجـدار، كانـت أبـرد قليـلًا مـن الهـواء، وأكـثر خشـونة، وضعـت وجنتـي عليهـا، في مـكانٍ مـا بـين اللـذّة والألم، بغـض النظـر عـن مـدى رغبتـي في الصعـود للطابـق العلـوي ورؤيـة مـا يوجـد هنـاك لأراه، كُنـت أرغَـب في عـدم رؤيتـه عـلى الإطـلاق.

تحدَّث معي، همست بها للراكِب المُظلِم، أخبرني بما فعلت.

بالطبـع لم تكُـن هنـاك إجابـة، بخـلاف الضحكـة الهادئـة البعيـدة المُعتـادة، وهـذا لم يجِـد نفعًـا، شـعرت بقليـلٍ مـن المـرض، دوار خفيـف، وعـدم يقـين، لم يُعجِبنـي شـعور أننـي أشـعر بـشيء، تنفَّسـت ثلاثـة أنفـاس طويلـة، اعتدلـت في مـكاني قبـل أن أفتـح عينـيّ.

كان الرقيـب دوكـس يحـدِّق في وجهـي مـن عـلى بُعـد ثلاثـة أقـدام، مـن داخـل بـئر السـلم مُباشرةً، يضـع قدمًـا فـوق أول سـلمة، كان وجهـه عبـارة عـن قنـاع داكِـن منحـوت للعـداء الفضـولي، مثـل كلـب

من فصيلة الروت وايلر يتوق لتمزيق ذراعك لكنه مُهتم بشكلٍ لا بأس به في محاولة معرفة مذاقك أولًا، كان هناك شيء ما في تعبيراته لم أرها على وجه أي شخص من قبل، باستثناء في المرآة، كان هناك فراغ ساحق ودائمًا من النوع الذي تُشاهده من خلال تمثيل الرسوم الهزلية للحياة البشرية قبل أن تقرأ السطر الأخير.

سألني وأسنانه الجائعة اللامعة تظهر: "إلى من تتحدَّث؟ هل هناك شخص آخر بالداخِل معك؟".

كلماته والطريقة الواثِقة التي نطقها بها اخترقتني وحوَّلت أحشائي إلى هلام، لماذا اختار هذه الكلمات؟ ماذا يقصِد بـ (بالداخِل معك)؟ هل من المُمكِن أن يعرف بشأن الراكِب المُظلِم؟ مُستحيل! إلا إذا...

عَرِف دوكس بشأني، مثلما عَرِفت بشأن المُمرضة.

يخرج الشيء الموجود بالداخِل عبر الفراغ عندما يرى واحدًا من نوعه، هل يحمل الرقيب دوكس راكبًا مُظلِمًا بدوره؟ كيف يُعقَل؟ رقيب قاتِل، مُفترِس كديكستر؟ غير معقول، لكن كيف بإمكانِك شرح ذلك؟ لم أستطِع التفكير في أي شيء ولفترةٍ طويلةٍ وقفت هناك وأنا أحدِّق به، وبادلني هو النظر.

أخيرًا.. هزَّ رأسه دون أن ينظر بعيدًا وهو يقول: "في يوم من الأيام، سيكون لنا لقاء.. أنا وأنت".

قُلت وأنا أحاول التظاهُر بالابتهاج على قدر ما استطعت: "يومئذٍ سأتحقَّق من الطقس، في الوقت الحالي.. إذا سمحت لي...".

وقف على السلم وهو يحدِّق بي فحسب، لكن في النهاية أومأ برأسه قليلًا وهو ينتحي جانبًا قائلًا وأنا أمر بجواره: "في يومٍ من الأيام».

هاجمت الصدمة الناتِجة عن هذا اللقاء الجانِب الجبان الموجود بداخلي على الفور، بالطبع لم أكُن أرتكب جرائم قتل دون وعي مني، بصرف النظر عن سخافة الفكرة، سيكون إهدارًا لا يُمكِن تصوّره إذا ما فعلت تلك الأشياء دون أن أتذكَّر، لا بد من أن هناك تفسيرًا آخر، شيئًا بسيطًا وهادئًا، بالتأكيد لم أكُن الشخص الوحيد القادِر على القيام بكُل هذا النوع من الإبداع، ففي النهاية، كُنت في ميامي، مُحاطًا بالعديد من المخلوقات الخطرة مثل الرقيب دوكس.

صعدت السلم سريعًا، شعرت بالأدرينالين يتدفَّق بداخلي، بالكاد أشعر بنفسي مرة أخرى، كانت هناك وثبات قوية في خطواتي الآن، وكان هذا جزئيًا فقط لأنني كُنت أهرب من الرقيب الصالح، لكن بالأساس.. كان لأنني أتوق لرؤية هذا الهجوم الأخير على الرفاهية العامة والفضول الطبيعي، ولا شيء أكثر من ذلك، لن أجد أيًا من بصماتي الخاصة في أي مكان.

صعدت السلم إلى الطابِق الثاني، تم تثبيت بعض الأساسات في أماكنها، لكن مُعظَم الدور كان بدون جدران، عندما نزلت من على السلم إلى المنطقة الرئيسية للدور، رأيت أنجيل -لست قريبه- يجلس القرفصاء في مُنتصف الدور، دون أن يتحرَّك، مُسندًا مرفقيه على ركبتيه، ويستنِد بوجهه إلى يديه، ويحدِّق فحسب، توقَّفت ونظرت إليه بذهول، كان هذا واحدًا من أكثر الأشياء الرائعة التي رأيتها على الإطلاق، حيث أصيب فني جرائم قتل في ميامي بالذهول مما وجده في مسرح جريمة.

وما وجده كان أكثر إثارة للاهتمام.

كان مشهدًا من الميلودراما المُقبِضة، مسرحية هزلية لمصاصي الدماء، تمامًا كان في الموقع الذي اصطحبت إليه جاورسكي، كانت

هنـاك كومـة مـن حوائـط الجبـس الجافـة المُتقلّصـة، دُفِعـت جانبًـا مُقابـل حائـط، وأصبحـت الآن مغمـورة بالضـوء المُنبعِـث مـن أضـواء موقـع البنـاء وعـدد قليـل آخـر وضعـه فريـق البحـث والتحقيـق.

فـوق حوائـط الجبـس الجافـة، المنصوبـة مثـل المذبـح، كانـت هنـاك طاولـة عمـل محمولـة سـوداء اللـون، تمركَـزت بدقـةٍ حيـث سـطع عليهـا الضـوء مُبـاشرةً، أو بالأحـرى.. أضـاء الضـوء تمامًـا الـشيء الموجـود فـوق طاولـة العمـل.

والـذي كان بالطبـع رأس امـرأة، تحمـل في فمهـا مـرآة رؤيـة خلفيـة خاصـة بسـيارةٍ مـا أو بشـاحنة، مـما أدى لتمـدُّد الوجـه المُندهِـش بشـكلٍ سـاخرٍ.

فوقـه وإلى اليسـار كان هنـاك رأس ثـانٍ، تـم وضـع جسـد دميـة بـاربي تحـت ذقنـه ليبـدو وكأنـه رأس عمـلاق فـوق جسـد صغـير.

وعـلى اليمـين كان الـرأس الثالـث، كان مُثبتًـا بدقـةٍ فـوق قطعـة مـن الجبـس، تـم تثبيـت الأذنـين بعنايـةٍ بمـا بـدا وكأنـه براغـي مـن الجبـس، لم تكُـن هنـاك فـوضى مـن الدمـاء حـول الأشـياء المعروضـة، كانـت الـرؤوس الثلاثـة خاليـة مـن الدمـاء.

مرآة، دمية باربي، وحوائط جبسية، ثلاث قتلى.

جافة تمامًا.

مرحبًا يا ديكستر.

مكتبة
t.me/t_pdf

لم يكُـن هنـاك أدنى شـك في الأمـر، جسـد البـاربي كان إشـارةً واضحـةً لتلـك الموجـودة في بـرادي، كانـت المـرآة الموجـودة في الـرأس الأيسـر تُشـير لطريـق الجسر، بينـما المسـامير الجبسـية تشـير إلى جاورسـكي، إمـا

أن يكـون شـخصًا مـا يفهـم جيـدًا كُل مـا أفكِّـر فيـه ويتـصرَّف عـلى هـذا الأسـاس، أو أنـه في الواقِـع أنـا.

أخـذت نفسًـا طويـلًا وجافًـا، كُنـت مُتأكِّـدًا تمامًـا أن مشـاعري ليسـت مثـل مشـاعره، لكننـي أردت أن أجلـس القرفصـاء في منتصـف الغُرفـة بجـوار أنجيـل -لسـت قريبـه، أحتـاج لدقيقـة لأتذكَّـر كيـف أفكِّـر، وبـدت الأرض وكأنهـا المـكان الصحيـح للبـدء، بـدلًا مـن ذلـك.. وجـدت نفـسي أتحـرَّك ببـطء نحـو المذبـح، أتقـدَّم للأمـام وكأننـي أتحـرَّك عـلى قضبـان مزيَّتـة جيـدًا، لم أسـتطِع أن أجعـل نفـسي أتوقَّـف، أو أبطـئ، أو أفعـل أي شيء آخـر سـوى الاقـتراب أكـثر، كان بإمـكاني فقـط أن أنظـر، أتعجَّـب، وأركِّـز عـلى أنفـاسي التـي تدخُـل وتخـرُج بشـكلٍ صحيـحٍ، ومـن كُل مـكان مـن حـولي أدركـت ببـطءٍ أننـي لسـت الوحيـد الـذي لا يسـتطيع أن يُصـدِّق مـا يـراه.

خـلال عمـلي -ناهيـك عـن هوايتـي- كُنـت في مـسرح مئـات مـن جرائـم القتـل، كان العديـد منهـم بشِـعًا ووحشـيًّا للدرجـة التـي صدمتنـي أنـا شـخصيًّا، وفي كل جريمـة منهـم.. كان فريـق قسـم شُرطـة ميامـي يؤسِّسـون أعمالهـم ويسـتمرون في أداء وظائفهـم بطريقـةٍ مُريحـةٍ ومهنيَّـةٍ، وفي كُل واحـدة منهـم.. كان هنـاك مـن يتجـرَّع القهـوة، أو مـن يُرسِـل شـخصًا مـا مـن أجل إحضـار الكعـك المُحـلى أو الباسـتيل*، كان هنـاك مـن يمـزَح أو مـن تثرثِـر بينـما تنظِـف الدمـاء مـن المـكان، في كُل مـسرح جريمـة منهـم كُنـت قـد رأيـت مجموعـة مـن النـاس لا يبـدو عليهـم التأثُّـر بالمذبحـة عـلى الإطـلاق لدرجـة أنـك قـد تظـن أنهـم يلعبـون البولينـج في بطولـة محليـة.

حتى الآن.

---

*الباستيل: طبق تقليدي في العديد من بلدان أمريكا اللاتينية.

هـذه المـرة كانـت الغُرفـة الخرسـانية الكبـيرة الفارِغـة هادئـة تمامًـا، وَقَـف الضُّبَّـاط والفنيـون. في مجموعـات صامتـة مكوَّنـة من شـخصين أو ثلاثـة، كـما لـو كان كُل منهـم يخـشى أن يقِـف وحيـدًا، ببسـاطة نظـرت إلى الأشـياء المعروضـة في الجانِـب الآخـر مـن الغُرفـة، إذا مـا صـدر أي صـوت خافـت عـن طريـق الخطـأ، يقفـز الجميـع ويحدّقـون في صانِـع الضوضـاء، كان المشـهد بأكملـه غريبًـا بشـكلٍ هـزلي للغايـة لدرجـة أنني كُنـت سـأضحك بصـوتٍ عـالٍ لـولا أننـي كُنـت مشـغولًا بالتحديـق مثـل الحمقـى الآخريـن.

هل فعلت ذلك؟

كان جميـلًا.. بطريقـةٍ فظيعـةٍ بالطبـع، لكـن رغـم ذلـك.. كان الترتيـب مثاليًّـا، مُقنِعًـا، رائعًـا، وخاليًـا مـن الدمـاء، أظهَـر جـمالًا عظيـمًا وشـعورًا رائِعًـا بالتكويـن، واجـه شـخص مـا الكثـير

مـن المتاعِـب ليحـوِّل هـذا إلى عمـلٍ فنـي حقيقـي، شـخص ذو أسـلوب، موهبـة، وشـعور هـزلي مُرعِـب، لم أعـرِف طـوال حيـاتي سـوى شـخص واحـد عـلى هـذه الشـاكِلة.

هـل مـن المُمكِـن أن يكـون هـذا الشـخص هـو ديكسـتر الغامِـض الحالِـم؟

الفصل العشرون

وقفت في أقرب مكان استطعت الوصول إليه من الطاولة دون أن ألمسها فعليًّا، أتطلَّع إليها فحسب، لم يتم مسح الغُبار عن المذبَح من أجل البحث عن البصمات بعد، لم يتم فعل أي شيء له على الإطلاق، على الرغم من أنني أفترِض أنهم قد قاموا بالتقاط الصور بالفعل، ويا إلهي.. كم أرغَب في الحصول على نسخة من تلك الصور لأصطحِبها للمنزل، بحجم مُلصَق كبير، وبالألوان الطبيعية الخالية من الدماء، إذا ما كُنت قد فعلت ذلك.. فأنا فنان أفضَل كثيراً مما اعتقدت، حتى من هذا القُرب.. بَدَت الرؤوس وكأنها تطفو في الفضاء، مُعلَّقة فوق الأرض الهالِكة في مُحاكاة ساخرة خالية من الدماء للجنة، مقطوعة حرفيًّا من أجسادها..

أجسادها! تلفَّت حولي، لا وجود لها، لا كومات من الحزم المُكدَّسة بعنايةٍ، لم يكُن هناك سوى هرم من الرؤوس فقط.

حدَّقت لمزيدٍ من الوقت، بعد عدة دقائِق، شقّ فينس ماسوكا طريقه نحوي، فاغِر الفاه، وشاحِب الوجه، قال وهو يهز رأسه: "ديكستر".

قُلت وأنا أهز رأسي بدوري: "مرحبًا يا فينس، أين الجُثث؟".

حدَّق في الرؤوس لدقيقةٍ طويلةٍ، ثم نظر إليّ بوجهٍ مليءٍ بالبراءة المفقودة وهو يقول: "في مكانٍ آخر".

سمعنا صوت ضوضاء من على السلم، مما أدى لزوال أثر التعويذة، تحرَّكت بعيدًا عن الطاولة في نفس الوقت الذي حضرت

فيه لاجويرتا وبُصحبتها مجموعة قليلة مُنتقاة من المُراسلين، نيك (لست مُتأكِّدًا من باقي اسمه)، وريك سانجري من التليفزيون المحلي، وإريك شبيه الفايكنج، كاتِب عمود غريب ومُحترَم في الصحيفة، وللحظةٍ.. بدت الغُرفة مشغولة للغاية، ألقى نيك وإريك نظرةً واحدةً قبل أن يهرعا إلى السلم نحو الأسفل وأيديهما تغطي فميهما، بينما عَبَس ريك سانجري بشدةٍ، نظر إلى الأضواء قبل أن ينظر إلى لاجويرتا وهو يقول: "هل يوجد منفذ للطاقة؟ عليّ أن أحضر مصوّري".

هزَّت لاجويرتا رأسها وهي تقول: "انتظر الرجال الآخرين".

أصرَّ ريك سانجري قائلًا: "أحتاج للصور".

ظَهَر الرقيب دوكس من خلف سانجري، نظر المُراسِل حوله ورآه، قال دوكس: "لا صور".

فَتَح سانجري فمه، نظر لدوكس للحظةٍ، قبل أن يُغلِق فمه ثانيةً، ومرة أخرى.. أنقَذَت الصفات المُمتازة للرقيب الصالِح اليوم كُله، عاد للخلف ووقف وكأنه يحمي أجزاء الجسد المعروضة، كما لو كان يحمي مشروعه العلمي في معرض للعلوم.

صَدَر صوت سعال متوتِّر من جوار الباب، نيك وإريك شبيه الفايكنج عادا ثانيةً، صعدا السلم ببطءٍ وعادا للطابِق ككبار السن، لم ينظُر إريك إلى الجهة الأخرى من الغُرفة، وحاول نيك ألا ينظر كذلك، لكن رأسه استمرَّ في الدوران نحو المشهد الرهيب، قبل أن يعود لمواجهة لاجويرتا مرةً أخرى.

بدأت لاجويرتا تتحدَّث، اقتربت قليلًا كي أتمكَّن من استراق السمع، كانت تقول: "لقد طلبت من ثلاثتكم الحضور إلى هنا

ورؤيـة هـذا الـشيء قبـل أن نسـمَح بـأي تغطيـة صحفيَّـة رسـميَّة".

قاطعها ريـك سـانجري قائـلًا: "لكـن هـل يُمكِننـا أن نغطيـه بشـكلٍ غـير رسـمي؟".

تجاهلتـه لاجويرتـا وهـي تقـول: "لا نُريـد أي تكهُّنـات جامِحـة في الصحافـة عـمّا حَدَث هنـا، كـما تـرون.. هـذه جريمـة وحشـية وغريبـة».

صمتـت للحظـةٍ قبـل أن تقـول بحـرصٍ: "عـلى عكـس أي شيء قـد رأينـاه مـن قبـل".

كان بإمكانِك في الواقِع سماع الحروف في كلماتها!

قال نيك وهو يبدو غارقًا في التفكير: "حسنًا".

بينـما قـال إريـك شـبيه الفايكنـج مـن فـوره: "انتظـري دقيقـة، هـل تقولـين لنـا أن هـذا قاتِـل جديـد تمامًـا؟ مجموعـة مُختلِفـة مـن جرائـم القتـل؟".

نظـرت لاجويرتـا نحـوه بإيجابيـةٍ كبيـرةٍ وهـي تقـول بثقـةٍ واضحـةٍ: "مـن المُبكِّـر قـول أي شيء بالطبـع، لكـن دعونـا نُلقـي بنظـرةٍ منطقيـةٍ عـلى هـذا الـشيء، حسـنًا؟".

رفعـت إصبعًـا وهـي تقـول: "قبضنـا عـلى رجـل اعـترَف بارتـكاب الجرائـم الأخـرى، وهـو الآن في السـجن، ولم نسـمَح لـه بالخـروج ليرتكِب هـذه الأشـياء، ثانيًـا.. لا يبـدو هـذا مثـل أي شيء سَـبَق ورأينـاه، أليـس كذلـك؟ لأن هنـاك ثلاثـة، ومكدَّسـون جميعًـا بشـكلٍ جيـدٍ، حسـنًا؟".

ليُبارِكهـا الـرب، لقـد لاحظـت ذلـك، سـألها ريـك سـانجري: "لمـاذا لا يُمكِننـي إحضـار مصـوّري؟ ألم يتـم العثـور عـلى مـرآة في واحـدة مـن جرائـم القتـل الأخـرى؟".

قـال إريـك شـبيه الفايكنـج بضعـفٍ وهـو يحـاول جاهـدًا ألا ينظُـر: «ألم تجـدوا مـرآة في مـسرح الجريمـة الآخـر؟»

بينما قال نيك: "هل تعرفتم على الـ..".

بـدأ رأسـه يـدور نحـو المعـروض قبـل أن يتمكَّـن مـن منـع نفسـه، عـاد مـرة أخـرى إلى لاجويرتـا وهـو يسـتكمِل سـؤاله: "هـل الضحايـا عاهـرات أيتهـا المُحقِّقـة؟".

قالـت لاجويرتـا وقـد بـدت مُنزعِجـة قليـلًا، وظهـرت لكنـة كوبيـة خفيفـة في صوتهـا للحظـةٍ: "اسـمع، اسـمحوا لي أن أوضِّـح شـيئًا، أنـا لا أهتَـم إذا مـا كُـن عاهـرات، أنـا لا أهتـم إذا مـا وُجِـدَت مـرآة، أنـا لا أهتـم بـأي مـن ذلـك».

تنفَّسـت بعُمـق وهـي تهـدأ قليـلًا قبـل أن تُضيـف: "لقـد أمسـكنا بالقاتِـل الآخـر وهـو الآن في السـجن، وحصلنـا عـلى اعـتراف، هـذا شيء جديـد تمامًـا، حسـنًا؟ هـذا أمـر مهـم، بإمكانكـم رؤيـة أن هـذا أمـر مُختلِـف».

سـألها إريـك شـبيه الفايكنـج، بشـكلٍ منطقـي كـما أظـن: "إذًا لمـاذا تـم تكليفـكِ بالأمـر؟".

كَشَـفَت لاجويرتـا عـن أنيابهـا قائلـةً: "لأننـي قُمـت بحـل الأمـر الآخـر".

سـألها ريـك سـانجري: "هـل أنـتِ مُتأكِّـدة أن هـذا قاتِـل جديـد تمامًـا أيتهـا المُحقِّقة؟".

"لا شـك في ذلـك، لا أسـتطيع الكشـف عـن أي تفاصيـل، لكـن لـديّ فنـي مُختـبَر لدعمـي".

كُنت مُتأكِّدًا أنها تقصدني، شعرت بقليلٍ من الفخر.

قـال إريـك شـبيه الفايكنـج: "لكـن هـذا قريـب منـه نوعًـا مـا، أليـس كذلِـك؟ نفـس المنطِقـة، نفـس الأسـلوب العـام...».

قاطعته لاجويرتا قائلة: "مُختلِف تمامًا، مُختلِف تمامًا".

قال نيك: "إذًا أنتِ مُقتنِعة تمامًا أن ماكهيل ارتكب كُل جرائم القتل الأخرى، وأن هذه الجريمة مُختلِفة؟».

قالت لاجويرتا: "مائة بالمائة، كما أنني لم أقُل أن ماكهيل ارتكب الجرائم الأخرى".

لوهلةٍ.. نسى المُراسلون رعب عدم الحصول على صور، قبل أن يقول نيك في النهاية: "ماذا؟".

احمرَّت لاجويرتا خجلًا، لكنها أصرَّت على ما قالَت: "لم أقُل أبدًا أن ماكهيل ارتكَب الجرائم الأخرى، ماكهيل هو من قال ذلك، حسنًا؟ إذًا ماذا كان من المُفترَض بي أن أفعل؟ أقُل له: ارحَل، أنا لا أصدِقك؟".

تبادل إريك شبيه الفايكنج ونيك (لست مُتأكِّدًا من باقي اسمه) نظرةً ذات مغزى، وكُنت لأفعل كذلك بدوري، لو أنني أمتلِك شخصًا ما لأنظر إليه، لذا بدلًا من ذلك ألقيت نظرةً خاطفةً على الرأس الموجود في مُنتصف المذبح، لم يغمز في وجهي في الواقِع، لكني مُتأكِّد أنه كان مُندهشًا مثلي تمامًا.

تمتم إريك: "هذا جنون".

لكن ريك سانجري قاطعه قائلًا: "هل تسمحين لنا بإجراء مُقابلة صحفية مع ماكهيل؟ بوجود كاميرا؟".

أنقذنا وصول النقيب ماثيوس من إجابة لاجويرتا، سمعنا صوت صعوده على السلم، وقف في مكانه عندما رأى معرضنا الفني الصغير، قال: "يا إلهي".

ثم حرّك ناظريه نحو مجموعة المُراسلين المحتشدين حول

لاجويرتـا وهـو يسـأل: "مـاذا تفعلـون بالأعـلى هنـا بحـق الجحيـم؟".

نظـرت لاجويرتـا مـن حولهـا في أرجـاء الغُرفـة، لكـن لم يتطـوَّع أحـد للقيـام بـأي شيء، في النهايـة قالـت: "سـمحت لهـم بالصعـود، بشـكلٍ غـير رسـمي، ودون أي تغطيـة صحفيـة".

صَرَخ ريـك سـانجري قائـلًا: "أنـتِ لم تقـولي دون أي تغطيـة صحفيـة، قُلـتِ فقـط أنـه بشـكلٍ غـير رسـمي".

حدقـت لاجويرتـا في وجهـه وهـي تقـول: "بشـكلٍ غـير رسـمي تعنـي دون تغطيـة صحفيـة".

صرخ ماثيوس: "اخرجوا، بشكلٍ رسمي وبوضوحٍ تامٍ، اخرجوا".

تنحنـح إريـك شـبيه الفايكنـج قائـلًا: "سـيادة النقيـب، هـل تتفِـق مـع المُحقِّقـة لاجويرتـا في أن هـذه سلسـلة جديـدة تمامًـا مـن جرائـم القتـل، بقاتـلٍ مُختلِفٍ؟".

كرَّر ماثيوس قوله: "إلى الخارِج، سأجيب الأسئلة بالأسفل".

قـال ريـك سـانجري: "أحتـاج للصـور، سيسـتغرق الأمـر دقيقـة واحــدة".

أومأ ماثيوس نحو المخرَج وهو يقول: "أيها الرقيب دوكس؟".

تحـرَّك دوكـس وهـو يُمسِـك بمرفَـق ريـك سـانجري وهـو يقـول بصوتٍ خافـتٍ ومُرعـبٍ: "أيهـا السـادة المُحترمون».

نظـر إليـه المُراسـلون الثلاثـة، رأيـت نيـك وهـو يبلـع ريقـه بصعوبـةٍ، اسـتدار الثلاثـة دون صـوت، واندفعـوا خارِجًـا.

راقبهـم ماثيـوس يمضـون، وعندمـا أصبحـوا بأمـانٍ بعيـدًا عـن مرمـى السـمع، التفـت إلى لاجويرتـا قائـلًا: "أيهـا المُحقِّقـة".

قالها بصوتٍ أجش للغاية، لا بُد وأنه تعلَّمه من دوكس، أضاف: "إذا ما قُمتِ بهذا النوع من الهراء مرة أخرى، فستكونين محظوظة لو وجدتِ وظيفة حارسة أمن في موقف سيارات وول مارت".

تحوَّلت لاجويرتا للون الأخضر الشاحِب ثم للأحمر الساطِع وهي تقول: "أيها النقيب، لقد أردت فقط أن...".

لكن ماثيوس كان قد ابتعد بالفعل، عدَّل من وضع رابطة عنقه، مشَّط شعره بيدٍ واحدةٍ، وهبط السلم خلف المُراسلين.

استدرت لأنظر للمذبح مرة أخرى، لم يتغيَّر، لكنهم كانوا يمسحون الغبار بحثًا عن البصمات الآن، ثم سيقومون بتفكيكه من أجل تحليل القطع، وسُرعان ما سيكون كُل شيء مُجرَّد ذكرى سعيدة.

انزلقت على السلم لأجد ديبرا.

في الخارج.. كان لدى ريك سانجري كاميرا تدور، وقف النقيب ماثيوس وسط الأضواء والميكروفونات مصوَّبة نحو ذقنه، مُدليًا ببيانه الرسمي: "دائِمًا ما يتَّبِع هذا القسم سياسة ترك استقلالية التحقيق في القضايا، إلى أن يحين الوقت الذي تتضح فيه سلسلة من الأخطاء الجسيمة في الحُكم لتُثير تساؤلات حول كفاءة المسؤول، لم يحن هذا الوقت بعد، لكنني أراقب الوضع عن كثب، مع وجود الكثير على المحك للمُجتمع...".

لمحت ديبرا تتحرَّك خلفهم، وقفت بجوار حاجز الشريط الأصفر، ترتدي زيًا رسميًّا أزرق اللون، قُلت: "زي جميل".

قالت: "أحببته، هل رأيت ما حدث؟".

قُلت: "رأيت، ورأيت أيضًا النقيب ماثيوس يُناقِش القضية مع المُحقِّقة لاجويرتا".

كتمت ديبرا أنفاسها قائلة: "ماذا قالا؟".

ربـت عـلى ذراعهـا قائـلًا: "أعتقِـد أننـي سـمعت أبي ذات مـرة يسـتخدم مُصطلحًـا بليغًـا مـن شـأنه أن يصِـف الأمـر، كان «يحفـر لهـا ثُقـب مؤخـرة جديـدًا»، هـل تعلمـين هـذا المُصطلَـح؟".

بـدت مُندهشـة، قبـل أن تتهلَّـل أساريرها وهـي تقـول: "هـذا رائِـع، الآن أحتـاج مُسـاعدتك حقًّـا يـا ديكـس".

"وهو ما لم أكُن أفعله بالطبع!".

"لا أعرف ما الذي كُنت تعتقِد أنك تفعله، لكنه لم يكُن كافيًا".

"هـذا غـير عـادل تمامًـا يـا ديـب، وكذلـك قـاسٍ للغايـة، فبعـد كُل شيء.. أنـتِ في الواقِـع في مـسرح جريمـة، وترتديـن حلتـك الرسـمية أيضًـا. أم تـراكِ تفضلـين زي الجنـس؟".

قالـت في سُرعـة: "هـذا ليـس بيـت القصيـد، كُنـت تخفـي عنـي شـيئًا طـوال الوقـت، والآن أنـا أحتـاج إليـه".

للحظـةٍ لم يكُـن لـديّ مـا أقولـه، شـعور غـير مُريـح عـلى الإطـلاق، لم يكُـن لـديّ أي فكـرة أنهـا كانـت مُدركـة للأمـر بهـذه الطريقـة، قُلـت: "لمـاذا يـا ديـبرا...".

"اسـمع، أنـت تعتقِـد أننـي لا أعـرف كيـف تُـدار الأمـور السياسـية، وربمـا أنـا لسـت ذكيـة في هـذه الأمـور مثلـك، لكننـي أعـرف أن الجميـع سـيكونون مشـغولين بحمايـة أنفسـهم لقليـلٍ مـن الوقـت، وهـذا يعنـي عـدم وجـود أي شـخص يقـوم بعمـل شُرطـة حقيقـي".

"مـما يعنـي أن لديـكِ الفرصـة لتقومـي ببعـض العمـل بنفسـكِ؟ برافـو يـا ديبـس".

مـدَّت يدهـا وضغطـت عـلى يـدي قائلـةً: "وهـذا يعنـي أيضًـا أننـي

أحتـاج لمُسـاعدتك كـما لم أحتـج لهـا مـن قبـل، أرجـوك يـا ديكـسي؟".

لا أعلــم مــا الــذي صدمنــي أكــثر؛ بصيرتهــا، ضغطــة يدهــا، او استخدامها للقـب (ديكـسي)، الـذي لم أسـمعها تقولـه منـذ كان عُمـري عـشر سـنوات، سـواء قصـدت ذلـك أم لا، فعندمـا نادتنـي بديكـسي، أعادتنـي إلى عـالم هـاري، المكان الـذي تهتـم فيـه بـالأسرة وتكـون فيـه الالتزامـات حقيقيـة مثـل العاهـرات مقطوعـات الـرأس، مـاذا بإمـكاني القـول؟

قُلت: "بالطبع يا ديبورا".

كان ديكسي بالفعل يكاد يمتلك ما يكفي ليشعر بالعاطفة.

قالت وهي تعود للعمل مرة أخرى: "جيد".

كان تغيـيراً سريعًـا ورائعًـا وكان لا بُـد لي أن أعجَـب بـه، قالـت: "مـا هـو الـشيء الوحيـد الـذي يظهـر جليًـا في الوقـت الحـالي؟".

سـألتني وهــي تومــئ برأسـها نحـو الطابِـق الثـاني، قُلــت: "بقيـة الجُثــث، عــلى حــد علمــك.. هــل هنــاك مــن يبحــث عنهــا؟".

رمقتنــي ديــبرا بواحــدة مــن نظراتهــا الشُرطيــة الجديــدة، النظــرة الحــادة، قبــل أن تقــول: "عــلى حــد علمــي.. هنــاك عــدد أكــبر مــن الموظّفـين مكلّفـون بإبقـاء كامـيرات التليفزيـون بعيـدًا بـدلًا مـن القيـام بـأي عمـل حقيقـي عـلى هـذا الـشيء".

قُلـت: "جيـد، إذا مـا تمكَّنـا مـن إيجـاد أي أجـزاء مـن الجُثـث، فربمـا نقفـز قفـزة صغـيرة للأمـام".

"حسنًا، أين نبحث؟".

كان سـؤالًا جيـدًا، وهـو مـا وضعنــي بطبيعــة الحــال في وضــعٍ غــير جيـد، ليـس لـديّ أي فكـرة أيـن سـنبحث، هـل سـتُترك الأطـراف في

غُرفـة القتـل؟ لا أظـن ذلـك.. بـدا الأمـر فوضويًـا بالنسـبة لي، وإذا مـا أردت اسـتخدام تلـك الغُرفـة مـرة أخـرى، سـيكون ذلـك مُسـتحيلًا في ظـل حالـة الفـوضى البشـعة الموجـودة مـن حـولي.

حسنًا، سأفترض أن بقية الجُثة موجودة في مكانٍ آخر، لكن أين؟

أو ربمـا.. بـدأ الأمـر يتضِـح لي شـيئًا فشـيئًا، يجـب أن يكـون السـؤال الحقيقـي: لمـاذا؟ كان عـرض الـرؤوس موجـودًا لسـببٍ، لكـن مـا سـبب وضـع بقيـة أجـزاء الجسـد في مـكانٍ آخـر؟ تمويـه سـاذِج؟ لا.. هـذا الرجـل لا يفعـل أي شيء سـاذِج، ومـن الواضِـح أن التمويـه كان فضيلـة لا يقدِّرهـا كثـيرًا، خصوصًـا في الوقـت الحـالي، عندمـا كان يتباهـى قليـلًا، في هـذه الحالـة.. أيـن سـيترك كومـة مـن البقايـا؟

قالت ديبرا: "حسنًا؟ ماذا سنفعل؟ أين من المُفترض أن نبحَث؟".

هـززت رأسي قائـلًا ببـطءٍ: "لا أعـرِف، أينـما تـرك هـذه الأشـياء، فهـذا جـزء مـن بيانـه، ولسـنا مُتأكّديـن حقًّـا مـن بيانـه بعـد، أليـس كذلِـك؟".

"اللعنة يا ديكستر...".

"أعـرف أنـه يريـد اسـتفزازنا بالأمـر، يحتـاج أن يقـول إننـا فعلنـا شـيئًا غبيًّـا بشـكلٍ لا يُصـدَّق، حتـى لـو لم نفعـل ذلـك.. فهـو لا يـزال أذكى منـا".

قالـت وهـي تضـع وجـه السـمكة مـرة أخـرى: "هـو مُحـق حتـى الآن".

قُلـت: "بالتـالي.. فأينـما ألقـى بهـذه الأشـياء، فهـذا اسـتكمال لبيانـه، أننـا أغبيـاء.. لا، أنـا مُخطِئـة، أننـا قُمنـا بـشيءٍ غبـي".

"أجل، هذا فارِق مُهِم للغاية".

"أرجـوكِ يـا ديـب، سـتؤذين وجهـكِ بهـذه الطريقـة، إنـه أمـر مُهِـم،

لأنـه سـيعلّق عـلى الفعـل، وليـس عـلى مـن قـام بفعلـه".

"هـذا جيـد حقًـا يـا ديكـس، لـذا يجـب أن نتوجّـه عـلى الأرجَـح إلى أقـرب مطعـم عشـاء، ونبحـث عـن فاعـل تلـوّث الدمـاء يديـه، أليـس كذلِـك؟".

هـزرت رأسي قائـلًا: "لا دمـاء يـا ديـب، عـلى الإطـلاق، هـذه واحـدة مـن الأمـور المُهمّـة".

"كيف يُمكِنك أن تكون مُتأكِّدًا لهذه الدرجة؟".

"لأنـه لم يكُـن هنـاك دمـاء في أي مـسرح جريمـة، هـذا مُتعمَّـد، وهـو أمـر حيـوي لمـا يفعـل، وهـذه المـرة.. سـيكرِّر كُل الأجـزاء المهمـة، لكنـه سـيُعلِّق عـلى مـا فعلـه بالفعـل، لأننـا لم نـر الأمـر، ألا تريـن هـذا؟".

"بالتأكيـد، فهِمـت، هـذا منطقـي تمامًـا، إذا لمـاذا لا نذهَـب لفحـص حلبـة التزلّـج؟ لربمـا وضـع الجُثـث المُكدَّسـة في الشـبكة مـرة أخـرى؟".

فتحـت فمـي لأفحمهـا بـردٍ ذكي رائـع، حلبـة الهـوكي كانـت خاطِئـة تمامًـا، خاطِئـة بشـكلٍ كامـلٍ وواضـحٍ، كانـت تجربـة، شـيئًا مُختلفًـا، لكننـي عَرِفـت أنـه لـن يُكرِّرهـا، بـدأت بـشرح الأمـر لديـب، أن السـبب الوحيـد الـذي لـن يجعلـه يُكـرِّر حلبـة التزلُّـج سـيكون...

تجمَّدت في مكاني شاغر الفاه.

بالطبع، فكرت، هذا طبيعي.

"والآن من الذي يُشبِه وجه السمكة؟ ما الأمر يا ديكس؟".

للحظـةٍ لم يكُـن لـديّ أي شيء لأقولـه، كُنـت مشـغولًا للغايـة بمحاولـة اللحـاق بأفـكاري الملتويـة، السـبب الوحيـد الـذي سـيجعله يُكـرِّر أمـر حلبـة التزلُّـج سـيكون مـن أجـل أن يُرينـا أننـا قبضنـا عـلى الرجـل الخاطـئ.

في النهايـة قُلـت: "بالطبـع يـا ديـب، أنـتِ مُحقّـة، الحلبـة، أنـتِ مُحقَّـة لكـن للأسـباب الخاطِئـة، لكـن رغـم ذلـك...".

قالت وهي تتوجَّه نحو سيارتها: "سئمت كوني مُخطِئة".

الفصل الحادي والعشرون

قُلت: "هل تفهمين أنه احتمال ضعيف؟ ربما لا نجِد أي شيء على الإطلاق".

قالت ديب: "أعلم ذلك".

"وفي الواقِع.. ليس لدينا أي سُلطة قضائية هنا، نحن في بروارد، ورجال بروارد لا يحبوننا، لذا...".

انفجَرَت قائلةً: "بحق المسيح يا ديكستر، أنت تتحدَّث مثل تلميذة صغيرة".

ربما كان هذا صحيحًا، رغم أنه كان من غير اللائِق منها أن تقول ذلك، وديبرا.. على صعيد آخر، بدت وكأنها حزمة من الأعصاب الصلبة الملفوفة بإحكامٍ، عندما عبرنا طريق سوجراس السريع، وبدأنا في القيادة نحو موقف السيارات في مركز المستودعات كانت تعض على أسنانها بقوةٍ أكبر، كان بإمكاني سماع صرير فكِّها، قُلت لنفسي: "هارييت القذرة".

ويبدو أن ديب كانت تسترِق السمع لأنها قالت: "دعك عني".

نظرت عبر مظهر ديبرا الجرانيتي إلى الحلبة، وللحظةٍ وجيزةٍ، عندما سَطَع عليها ضوء الصباح الباكِر بشكلٍ صحيحٍ، بدت مثل مبنى مُحاط بعددٍ من الصحون الطائرة العابِرة، بالطبع لم تكُن سوى مصابيح الإضاءة الخارجية التي انتشرَت حول الحلبة مثل فطر حديدي هائل الحجم، لا بُد أن شخصًا ما أخبَرَ المُهندس المعماري أنها مميَّزة، مليئة بالقوة والشباب كذلك على الأرجَح،

وأنا متأكِّد أنها كذلك، تمنيّت حصولها على الإضاءة المُناسِبة في وقتٍ قريبٍ.

قُدنا السيارة مرة واحدة حول الحلبة، باحثين عن أثر لأي حياة، وفي الدورة الثانية، توقَّفت سيارة تويوتا مُحطَّمة بجوار أحد الأبواب، تم إغلاق باب راكبها الأمامي بلفة من الحبل خرجت من النافذة لتدور حول عمود الباب، فُتِح باب السائِق بمُجرَّد وقوفها، كانت ديبرا قد خرجت من سيارتها بالفعل قبل أن تتوقَّف.

قالت للرجل الذي كان يخرُج من التويوتا: "من فضلك يا سيدي؟".

كان خمسينيًّا، رجلًا عاديًّا يرتدي سروالًا أخضر رثًّا وسُترة نايلون زرقاء، نظر إلى ديب التي ترتدي زيها الرسمي وشعر بالتوتُّر على الفور.

قال: "ماذا؟ أنا لم أفعل أي شيء".

"هل تعمل هنا يا سيدي؟".

"أكيد، بالطبع، لماذا تظنين أنني هنا في الثامنة صباحًا؟".

"ما اسمك يا سيدي من فضلك؟".

أخرج محفظته وهو يقول: "إستيبان رودريجيز، معي بطاقة هوية".

لوَّحت له ديبرا ليُبعدها وهي تقول: "هذا ليس ضروريًّا، ماذا تفعل هنا في مثل هذه الساعة يا سيدي؟".

هزَّ كتفيه وهو يُعيد محفظته إلى جيبه مرة أخرى قائلًا: "كُنت سأكون هنا في وقتٍ مُبكرٍ مُعظم الأيام، لكن الفريق على سفر؛ فانكوفر، أوتاوا، ولوس أنجلوس، لذا حضرت إلى هنا متأخِّرًا قليلًا".

"هل يوجد أي شخص آخر هنا الآن يا إستيبان؟".

"أنا فقط في الوقت الحالي، ينام الجميع في وقتٍ مُتأخرٍ".

"ماذا عن الليل؟ هل يوجد حارس؟".

أشار بذراعه وهو يقول: "يتجوَّل الأمن في ساحة موقف السيارات طوال الليل، لكن ليس كثيراً، أكون أول من يحضر إلى هنا في أغلب الأيام".

"هل تقصد أول من يدلف للداخل؟".

"أجل هذا صحيح، ماذا قُلت؟".

خرجت من السيارة، انحنيت فوق سطحها وأنا أسأله: "هل أنت ذلك الرجل الذي يقود الزامبوني من أجل التزلُّج الصباحي؟".

نظرت ديب نحوي وهي تشعُر بالضيق، تطلَّع إستيبان فيّ، نظر إلى قميصي الهاواي الأنيق وسروالي الجبرديين قبل أن يسألني: "أي نوع من الضُّباط تكون؟".

قُلت: "شُرطي مُعقَّد، أعمل في المُختبر فحسب".

قال وهو يومئ برأسه كما لو كان ذلك منطقيًّا: "أجل، بالطبع".

كرَّرت سؤالي: "هل تقود الزامبوني يا إستيبان؟".

"أجل، كما تعلم.. لا يتركونني أقودها في المُباريات، كما تعلم.. يتركون هذا للرجال الذين يرتدون بدلات، أحيانًا يحبون وضع طفل، كما تعلم.. أو ربما أحد المشاهير، ليقودها في الأرجاء ملوِّحًا، هذا الهراء، لكنني من يجب عليه القيام بذلك من أجل التزلُّج الصباحي، كما تعلم.. عندما يكون الفريق في المدينة، أقود الزامبوني في الصباح، في وقتٍ مُبكِّرٍ للغاية، لكنهم على سفر في الوقت الحالي لذا آتي متأخِّرًا".

قالت ديب وقد بدا عليها نفاد الصبر بسبب حديثي خارِج السياق: "نريد أن نُلقي نظرة بداخِل الحلبة".

نظر إليها إستيبان، التمع وميض ماكر في نصف عين وهو يقول: "بالطبع، هل لديك مذكِّرة؟".

احمرَّت ديبرا خجلًا، صنع ذلك تباينًا رائعًا مع زرقة حلتها الرسمية، لكنه ربما لم يكُن هذا الخيار الأكثر فاعلية لتعزيز سُلطتها، ولأنني أعرفها جيدًا، علمت أنها ستدرك أنها احمرَّت خجلًا وهذا سيقودها للغضب، وبما أننا لا نملك مذكرة، وفي الحقيقة لم يكُن لدينا أي عمل هنا من أي نوع يُمكِن اعتباره رسميًّا، فلم أكُن أعتقِد أن الغضب هو مناوراتنا التكتيكية.

وقبل أن تقول ديب أي شيء تندم عليه قُلت: "إستيبان".

"أجل؟".

"منذ متى تعمل هنا؟".

هزَّ كتفيه قائلًا: "منذ افتتاح المكان، وعملت في الحلبة القديمة لمُدة عامين قبل ذلك".

"إذًا كُنت تعمل هنا في الأسبوع الماضي عندما وجدوا الجُثة على الجليد؟".

نظر إستيبان بعيدًا، ومن تحت سمرته، تحوَّل وجهه للون الأخضر، ابتلع ريقه بصعوبةٍ قائلًا: "لا أريد أن أرى أي شيء كهذا مرة أخرى يا رجل، أبدًا".

أومأت برأسي بتعاطف حقيقي وأنا أقول: "لا ألومك على ذلك حقًّا، وهذا هو سبب وجودنا هنا يا إستيبان".

عبس قائلًا: "ماذا تقصد؟".

مكتبة
t.me/t_pdf

نظـرت إلى ديـب لأتأكَّـد أنهـا لم تخـرج سـلاحها أو أي شيء مـن هـذا القبيـل، حدَّقـت في وجهـي باسـتنكارٍ شـديد وشـفاه مذمومـة وهـي تصـدم قدمهـا في الأرض، لكنهـا لم تقُـل شـيئًا.

قُلـت وأنـا أقـترب مـن الرجـل قليـلًا، محـاولًا أن يبـدو صـوتي أكـثر احترافيـة ورجولـة قـدر اسـتطاعتي: "نظُـن أن هنـاك فرصـة في أنـه عندمـا سـتفتح تلـك الأبـواب هـذا الصبـاح، فربمـا قـد تجـد نفـس الـشيء في انتظـارك".

انفجر قائلًا: "اللعنة! لا أريد التعامل مع هذا".

"بالطبع لا تُريد".

"تبًا لهذا القرف".

وافقتـه قائـلًا: "بالضبـط، إذًا لمـاذا لا تسـمَح لنـا أن نلقـي نظـرة خاطِفـة في البدايـة؟ لنتأكَّـد فقـط».

نظـر في وجهـي فاغِـر الفـاه للحظـةٍ، ثـم نظـر إلى ديـبرا، التـي كانـت لا تـزال عابسـة، نظـرة ذات مغـزى، قبـل أن ينظُـر بهـدوء إلى زيهـا الرسـمي.

ثم قال: "من المُمكِن أن أقع في مُشكلة، أو أفقِد وظيفتي".

ابتسـمت بتعاطـفٍ كبـيرٍ وأنـا أقـول: "أو مـن المُمكِـن أن تدلـف للداخِـل لتجـد كومـة مـن الأذرع والسـيقان المقطوعـة في انتظـارك، هنـاك الكثـير منهـا هـذه المـرة".

قـال مـرة أخـرى: "اللعنـة، لـو وقعـت في مُشـكلة.. سـأفقد وظيفتـي، حسـنًا؟ لمـاذا يجـب عـليّ أن أفعـل ذلـك؟".

"ماذا عن واجِبك المدني؟".

قـال: "بحقـك يـا رجـل، لا تعبـث معـي، مـا الـذي يهمـك إذا مـا

فقــدت وظيفتــي؟".

لم يمُـد يـده في الواقِـع، التـي كُنـت أعتقِـد أنهـا أنيقـة للغايـة، لكـن كان مـن الواضِـح أنـه كان يأمـل في هديـة صغـيرة تحميـه مـن الخطـر المُحتمَـل لفُقـدان وظيفتـه، كان هـذا معقـولًا جـدًّا، باعتبـار أن هـذه هـي ميامـي، لكـن كُل مـا كان لـديّ كان خمسـة دولارات فقـط، وكُنـت أحتاجهـا بشـدة مـن أجـل فطـيرة مقليـة وكـوب مـن القهـوة، لذلـك أومـأت لـه بـرأسي بفهـمٍ رجـولي.

قُلـت: "أنـت مُحِـق، كُنـا نأمَـل ألا تضطـر لرؤيـة أجـزاء الجسـد، هـل قُلـت إن هنـاك الكثـير منهـا هـذه المـرة؟ لكننـي بالتأكيـد لا أريـدك أن تفقِـد وظيفتـك، آسـف لإزعاجـك يـا إسـتيبان، طـاب يومـك!".

ابتسـمت لديـبرا وأنـا أقـول: "لنذهـب أيتهـا الشُّرطيـة، لنعـود لمـسرح الجريمـة الآخـر ونبحـث عـن الأصابِـع".

كانـت ديـبرا لا تـزال عابسـة، لكنهـا عـلى الأقـل كانـت تمتلـك قـدرًا مـن الـذكاء لتجارينـي، فتحـت بـاب سـيارتها بينـما لوَّحـت لإسـتيبان وأنـا أركـب.

قال إستيبان: "انتظرا!".

نظـرت إليـه وعـلى وجهـي تعبـير عـن الاهتـمام المُهـذَّب، قال: "أقسِـم باللـه أننـي لا أريـد أن أجـد هـذا القـرف مـرة أخـرى أبـدًا".

نظـر لي للحظـةٍ، ربمـا عـلى أمـل أن أسـترخي وأعطيـه حفنـة مـن العُمـلات الذهبيـة، لكـن كـما قُلـت.. كانـت هـذه الفطـيرة المقليـة تُثقِـل كاهـلي ولا أنـوي التخـلي عنهـا، لعـق إسـتيبان شـفتيه، ثـم اسـتدار سريعًـا وهـو يضـع مُفتاحًـا في قفـل البـاب المـزدوج قائـلًا: "تفضـلا، سـأنتظِر هنـا".

قُلت: "إذا كُنت مُتأكِّدًا من...".

"بحقك يا رجل، ماذا تريد مني؟ تفضَّل!".

وقفت وابتسمت لديبرا وأنا أقول: "إنه مُتأكِّد".

هــزَّت رأســها، مزيــج غريــب بــين ســخط الأخــت الصغــيرة وروح الدعابـة القاسية للشُّرطـة، مشـت حـول السيارة وشـقَّت طريقهـا عـبر البـاب، تبعتهـا.

بالداخِــل.. كانــت الحلبــة بــاردة ومُظلِمــة، وهــو مــا لم ينبــغ أن يُفاجئنــي، في النهايــة.. فهــذه حلبــة تزلُّــج في الصبــاح الباكِــر، لا شــك أن إســتيبان كان يعــرف مــكان مُفتــاح الضــوء، لكنهــم لم يتكبَّــد عنــاء إخبارنــا، قامــت ديــب بتحريــر الكشَّــاف الكبــير مــن حزامهــا، وحرَّكــت شــعاعه حــول الجليــد، حبســت أنفــاسي بينــما مــرَّ الشــعاع عــلى شــبكة مرمــى، قبــل أن ينتقِــل للأخــرى، عــادت للخلــف مــرة أخــرى ببــطءٍ، توقَّفــت مــرة أو اثنتــين، قبــل أن تعــود لي.

قالت: "لا شيء، هذا هراء".

"تبدين مُحبطة".

نخــرت في وجهــي وهــي تتوجَّــه للخــارِج، وقفــت في مُنتصــف الحلبــة، أشــعر بالــبرودة تشــع مــن الجليــد، غارقًــا في أفــكاري الســعيدة، أو بتعبــيرٍ أدق.. لم أغــرق في أفــكاري الســعيدة تمامًــا.

لأنــه عندمــا خرجــت ديــب مــن المــكان، ســمعت صوتًــا خافتًــا مــن مــكان مــا مــن خلفــي، ضحكــة مكتومــة.. بــاردة وجافــة، بــدت مألوفــة لحــدٍ مــا، وعندمــا غــادرت ديــبرا العزيــزة، وقفــت بــلا حــراك عــلى الجليــد، أغلقــت عينــيّ واســتمعت إلى مــا لــدى صديقــي القديــم ليقولــه، لم يكُــن الكثــير، همــس ثانــوي، تلميــح غــير مســموع، لكننــي

أنصت السمع، سمعته يضحك ويهمهم بأشياء رهيبةٍ في أذني، بينما سمعت في الأذن الأخرى صوتًا يدل على أن ديبرا قد أخبرت إستيبان أن يدلف للداخل ليُضيء الأنوار، وهو ما فعله بعد لحظات، بينما ارتفع صوت الهمس الخافت في خليطٍ مُفاجئ من الفُكاهة المُرعِبة والرعب اللطيف.

ما الأمر؟ سألت بأدب، وكانت إجابتي الوحيدة هي موجة من الاستمتاع الشديد، لم يكُن لديّ أي فكرة عما يعنيه هذا، لكنني لم أتفاجأ عندما بدأ الصراخ.

كان إستيبان فظيعًا حقًّا في الصراخ، كان صوت صراخ أجشًّا مكتومًا كما لو كان مريضًا بشدة أكثر من أي شيء آخر، لم يجلب الرجل معه حسه الموسيقي للوظيفة.

فتحت عينيّ، كان من المُستحيل التركيز تمامًا في مثل هذه الظروف، وعلى أي حال.. لم يعُد هناك المزيد لسماعه، توقَّف صوت الهمس عندما بدأ الصراخ، في النهاية.. قال الصراخ كُل شيء، أليس كذلك؟ لذا فتحت عينيّ في الوقت المُناسِب لأرى إستيبان يندفِع من الخزانة الصغيرة الموجودة في الطرف الآخر من الحلبة ويهرع عبر ساحة التزلُّج، تعثَّر عبر الجليد، انزلق، سقط، وأنَّ بصوتٍ عالٍ بالإسبانية، وفي النهاية.. اندفع بقوةٍ إلى الحواجِز، تسلقها وركض نحو الباب، وهو يصرُخ من الرعب، لطَّخت بُقعة صغيرة من الدم الجليد حيث سَقَط، دخلت ديبرا سريعًا عبر الباب، أشهرت سلاحها، بينما تجاوزها إستيبان للخارِج، تعثَّر في ضوء النهار، قالت ديبرا وهي تحمل سلاحها: "ما الأمر؟".

أملت رأسي قليلًا، سمعت صدى أخيرًا للضحكة الجافة الأخيرة، والآن.. مع استمرار الزئير المُرعِب في أذنيّ، فهمت الأمر.

قُلت: "أعتقِد أن إستيبان وجد شيئًا ما".

الفصل الثاني والعشرون

سياسة الشُّرطة، عندما حاولت التأثير على ديبرا بشدة، كانت شيئًا زلِقًا ومُتشابِكًا، وعندما تجمع منظّمتين لتنفيذ القانون لا تهتمّان لبعضهما البعض، تميل العمليات المُتبادلة للسير ببطءٍ شديدٍ، بالتزامٍ شديدٍ بالقوانين، وبكثيرٍ من المُماطلة، اختلاق الأعذار، الشتائِم والتهديدات المُستترة، وكلها أمور مرحة لمُشاهدتها بالطبع، لكنها تؤدي إلى إنهاء الإجراءات في ثلاثة أضعاف الوقت المطلوب، ونتيجة لذلك.. مرَّت عدة ساعات بعد العرض الغنائي المروِّع لإستيبان قبل تسوية الخلاف القضائي، ليبدأ فريقنا بالفعل في فحص المُفاجأة السعيدة الصغيرة التي اكتشفها صديقنا الجديد إستيبان عندما فتح باب الخزانة.

خلال هذا الوقت.. وقفت ديبرا إلى جانبٍ واحدٍ في مُعظم الأوقات، وعملت بجدٍّ للسيطرة على نفاد صبرها، لكنها لم تبذُل جهدًا لإخفائه، وصل النقيب ماثيوس والمُحقِّقة لاجويرتا، صافحا نظراءهما في مُقاطعة بروارد، النقيب مون والمُحقِّق ماكليلان، دار الكثير من السجال الذي بالكاد كان لطيفًا، والذي تم اختصاره في: كان ماثيوس مُتأكِّدًا بشكلٍ لا بأس به من أن اكتشاف ست أذرع وست أرجل في بروارد جزء من تحقيق إدارته بشأن الثلاث رؤوس التي تفتقِد لنفس الأجزاء في قسم شُرطة ميامي، صرَّح، بعباراتٍ كانت ودودة للغاية وبسيطة، بأنه يبدو من المُستحيل بعض الشيء التفكير في أنه سيجد ثلاثة رؤوس فقط دون أجساد، وبعد ذلك ستظهَر هنا ثلاثة أجساد مُختلِفة تمامًا دون رؤوس.

أشار مون وماكليلان، بمنطقٍ مُماثلٍ، إلى أن الناس يجدون رؤوسًا في ميامي طوال الوقت، لكن في بروارد كان الأمر أكثر غرابةً، لذلك ربما أخذوا الأمور على محمل أكثر جديةً، وعلى أي حال.. لم تكُن هناك طريقة للتأكُّد تمامًا من أنهم على اتصالٍ حتى يتم الانتهاء من بعض الأعمال الأولية، والتي من الواضِح أنهم يجب أن يقوموا بها، لأنها كانت ضمن نطاق اختصاصهم، وبالطبع سوف ينقلون النتائج بمُنتهى السرور.

بالطبع كان هذا غير مقبول بالنسبة لماثيوس، الذي وضَّح بحرصٍ أن الناس في بروارد لا يعرفون ما الذي يبحثون عنه وأنهم قد يفوِّتون شيئًا أو يدمرون دليلًا رئيسيًّا، بالطبع ليس بسبب عدم الكفاءة أو الغباء، كان ماثيوس مُتأكِّدًا تمامًا من أن أفراد بروارد مؤهلون تمامًا، مع وضع ملاحظاته في الاعتبار.

بطبيعة الحال لم يؤخَذ هذا الأمر بروحٍ مُبهجةٍ من التعاون من قَبل مون، الذي شعر بقليلٍ من المشاعِر أن هذا يبدو وكأنه يُلمِّح إلى أن قسمه مليء بالبلهاء من الدرجة الثانية، عند هذه النُقطة كان النقيب ماثيوس غاضبًا لدرجة أنه رد بغضبٍ شديدٍ، لا بالطبع، ليسوا من الدرجة الثانية على الإطلاق، كُنت مُتأكِّدًا أن الأمر سينتهي بشجارٍ إذا لم يصل الرجل المُحترم التابِع لإدارة تنفيذ القانون بولاية فلوريدا ليحكُم بينهما.

إدارة تنفيذ القانون بولاية فلوريدا هي مكتب تحقيقات فيدرالي على مستوى الدولة نوعًا ما، لديهم سُلطة قضائية في أي مكان في الولاية وفي أي وقت، وعلى عكس الفيدراليين.. فإنهم يحترمون مُعظم رجال الشُّرطة المحليين، كان الضابِط المعني رجلًا متوسّط الطول والبنية برأسٍ حليقٍ ولحيةٍ مُشذَّبةٍ، لم يبد خارجًا عن

المألـوف أبـدًا بالنسـبة لي، لكـن عندمـا تدخَّـل بـين ضابطـي الشُّرطـة الأكـبر حجـمًا، صمتـا عـلى الفـور وتراجعـا خطـوة إلى الخلـف، بعـد فـترة وجيـزة.. اسـتقرَّت الأمـور وتـم تنظيمهـا، وسُرعـان مـا عُدنـا إلى المـسرح الأنيـق والمُنظَّـم لجرائـم القتـل المُتعـدِّدة.

قـرَّر رجـل إدارة تنفيـذ القانـون بولايـة فلوريـدا أنـه كان تحقيـق قسـم شُرطـة ميامـي مـا لم أو حتـى تُثبِـت عينـات الأنسِـجة أن أجـزاء الجسـد الموجـودة هنـا والـرؤوس الموجـودة هنـاك ليسـت ذات صلـة، مـن الناحيتـين العمليـة والفوريـة، مـما يعنـي أنـه عـلى حشـد المُراسـلين المُتجمِّعـين بالخـارج بالفعـل التقـاط صـورة النقيـب ماثيـوس أولًا.

وصـل أنجيـل -لسـت قريبـه- وبـدأ بالعمـل، لم أكُـن مُتأكِّـدًا عـلى الإطـلاق مـما سـأفعله، ولا أُعنـى بشـأن الخـلاف القضـائي، لا، لقـد كُنـت مهتـمًّا بالحـدث نفسـه أكـثر بكثـير، والـذي تَـرك ليّ الكثـير لأفكِّـر فيـه.. ليـس في حقيقـة عمليـات القتـل وإعـادة توزيـع الجُثـث فحسـب، التـي كانـت لاذعـةً بمـا فيـه الكفايـة، لكننـي تمكَّنـت في التسـلُّل إلى خزانـة الرعـب الصغـيرة الخاصـة بإسـتيبان في وقـتٍ سـابقٍ، قبـل وصـول القـوات، هـل يُمكِنـك لومـي حقًّـا؟ كُنـت أرغَـب فقـط في تـذوُّق المذبحـة، ومحاولـة فهـم السـبب الـذي دفـع شريـكي الاجتماعـي العزيـز المجهـول لتكديـس البقايـا هنـا، كانـت حقًّـا نظـرة سريعـة.

لذلـك بعـد أن اندفـع إسـتيبان مُبـاشرةً مـن البـاب وهـو يـصرُخ ويصيـح مثـل الخنزيـر الـذي يختنِـق بحبـة جريـب فـروت، قفـزت بشـغفٍ إلى الخزانـة لأرى مـا الـذي جعلـه يفـزَع.

لم يتـم تغليـف الأجـزاء بعنايـةٍ هـذه المـرة، وبـدلًا مـن ذلـك.. تـم توزيعهـا عـلى الأرض لأربعـة أقسـام، وكُلـما نظـرت عـن كثـبٍ.. رأيـت شـيئًا رائعًـا.

تم وضع ساق واحدة بشكلٍ مُستقيمٍ على طول جانِب الخزانة الأيسر، كانت شاحِبة، زرقاء مبيضَّة، وخالية من الدماء، حول كاحلها كانت هناك سلسلة ذهبية بحُلية على شكل قلب، لطيفة جدًّا حقًّا، غير ملوَّثة ببقع الدم الفظيعة؛ عمل أنيق حقًّا، تم ثني ذراعين داكنتين مقطوعتين جيدًا من عند الكوع ووضعهما بجوار الساق، مع توجيه الكوع بعيدًا، بجوار ذلك.. تم ترتيب الأطراف المُتبقيَّة، التي كانت جميعًا مُنحنيَّة من عند المفصل، على شكل دائرتين كبيرتين.

استغرق الأمر مني لحظة، رمشت، وفجأة.. عُدت إلى تركيزي وحاولت أن أعبس بما فيه الكفاية لأمنع نفسي من القهقهة بصوتٍ عالٍ مثل الفتاة الصغيرة التي اتهمتني ديب بكونها.

لأنه رتَّب الأذرع والسيقان على هيئة حروف، وشكَّلت الحروف كلمة واحدة صغيرة: بخ (BOO)

تم ترتيب الثلاثة جذوع بعنايةٍ تحت الكلمة في رُبع دائرة، لتُشكِّل ابتسامة هالوين صغيرة ولطيفة.

يا له من شقي.

لكن حتى عندما أعجبت بالروح المرحة التي كشفتها تلك المزحة، تساءلت عن سبب اختياره لوضع العرض هنا، في خزانة، بدلًا من وضعه بالخارج على الجليد حيث بإمكانه أن يحظى بتقدير جمهور أكبر، كانت خزانة فسيحة للغاية، واسعة، لكنها لا تزال غير مُريحة، بالكاد كافية للعرض، فلماذا؟

وبينما كُنت أتساءل، فُتِح باب الحلبة الخارجي بضجيج، أول الحاضرين من فريق الإنقاذ بلا شك، فُتِح الباب على نطاقٍ أوسع،

وبعـد دقيقـة.. هـبَّ تيـار مـن الهـواء البـارِد عـلى الجليـد وصـولًا إلى ظهـري..

مـرَّ تيـار الهـواء البـارد فـوق عمـودي الفقـري ليُجيبـه تدفُّـق مـن الـدفء يتحـرَّك صعـودًا عـلى نفـس المسـار، ركـض برشـاقةٍ وصـولًا لقـاع وعيـي المُظلِـم، وتغـيَّر شيء مـا في مـكانٍ مـا في أعـماق الليـل البهيـم لعقـلي الزاحِـف، وشـعرت بالراكِـب المُظلِـم يوافِـق بشـدة عـلى شيء مـا لم أسـمعه أو أفهمـه إلا أنـه كان عليـه أن يتعامـل بطريقـةٍ مـا مـع الإلحـاح الأسـاسي للهـواء البـارِد وضيـق الجـدران، وشـعور هجومـي بــ..

الصـواب، لا شـك في ذلـك، كان هنـاك شيء مـا هنـا صحيـح للغايـة وهـو مـا جعـل راكبـي المُظلِـم الغامـض سـعيدًا، متحمِّسًـا، وراضيًـا بطريقـةٍ لم أبـدأ في فهمهـا بعـد، والأهـم مـن كُل ذلـك كانـت الفكـرة الغريبـة في أن هـذا كان مألوفًـا للغايـة، لم يبـدُ أي مـن هـذا منطقيًـا بالنسـبة لي، لكـن هـا هـو، ولكـن قبـل أن أبـدأ في استكشـاف هـذه الاكتشـافات الغريبـة أكـثر مـن ذلـك، تـم حثِّـي مـن قِبَـل شـاب قصـير يرتـدي زيًـا رسـميًّا أزرق اللـون عـلى الابتعـاد، وإبقـاء يـديّ عـلى مـرأى مـن الجميـع، لا شـك في أنـه كان أول مـن وَصَـل، كان يوجِّـه سـلاحه نحـوي بطريقـةٍ مُقنِعـةٍ للغايـة، نظـرًا لأنـه لم يكُـن لديـه سـوى حاجـب واحـد يمتـد بعـرض وجهـه ولم تظهَـر جبهتـه، قـرَّرت أنهـا سـتكون فكـرة جيـدة للغايـة أن أتمـاشى مـع رغباتـه، بـدا وكأنـه مـن نـوع الوحـوش الغبيـة التـي مـن المُمكِـن أن تُطلِـق النـار على شـخص بـريء.. أو عـليّ؛ ابتعـدت عـن الخزانـة.

لسـوء الحـظ.. كَشَـف تراجعـي عـن المشـهد ثـلاثي الأبعـاد الموجـود في الخزانـة، وفجـأة أصبـح الشـاب الصغـير مشـغولًا بإيجـاد مـكان لتقيـؤ إفطـاره، وَصَـل إلى سـلة مهمـلات كبـيرة كانـت عـلى بُعـد ١٠ أقـدام قبـل

أن يبدأ في إصدار أصواته المُزعِجة، وقفت بلا حراك في انتظاره حتى ينتهي، عادة سيئة، تناثر الطعام نصف المهضوم من حوله، غير صحي، كونه حارسًا للسلامة العامة كذلك.

هرول المزيد من أصحاب الأزياء الرسمية، وسُرعان ما أصبح لدى صديقي القرد الكثير من زملائه ليشاركوه في سلة المُهملات، كان الضجيج مُزعِجًا للغاية، ناهيك عن الرائحة التي بدأت الآن في الزحف نحوي، لكنني انتظرت بأدبٍ حتى ينتهوا، لأن أحد الأشياء الرائعة بشأن المُسدَّس أن بإمكان حتى الشخص الذي يتقيأ أن يُطلِق النار منه، لكن في النهاية.. اعتدل أحد أصحاب الأزياء الرسمية، مَسَح وجهه بكمّه، وبدأ في استجوابي، سُرعان ما تم استبعادي ودفعي جانبًا مع تعليمات بعدم الذهاب لأي مكان أو لمس أي شيء.

وصل النقيب ماثيوس والمُحقِّقة لاجويرتا بعد فترة وجيزة، واسترخيت قليلًا عندما سيطرا على المشهد في النهاية، لكن الآن بعد أن تمكَّنت من الذهاب لأي مكان أو لمس أي شيء، جلست ببساطة وبدأت بالتفكير، والأشياء التي فكَّرت فيها كانت مُزعِجة بشكلٍ مُذهِل.

لماذا بدا العرض الموجود في الخزانة مألوفًا؟

ما لم أكُن سأعود إلى حماقتي في وقتٍ سابقٍ من اليوم وإقناع نفسي بأنني من فعل ذلك، فإنني كُنت في حيرة من أمري من السبب الذي يجعل الأمر غير مُفاجئ بشكلٍ مُبهِج، بالطبع لم أفعل ذلك، كُنت بالفعل أشعر بالخجل من غباء هذه الفكرة، بِخ، في الواقِع.. لم يستحِق الأمر عناء قضاء الوقت في الاستهزاء بالفكرة، سخيفة.

إذًا.. لماذا بدا الأمر مألوفًا؟

تنهَّدت واختبرت شعورًا جديدًا، كان الارتباك، لم يكُن لديّ أي فكرة عما كان يحدُث، إلا أنني وبطريقةٍ ما كُنت جزءًا منه، لم يبد هذا كشفًا مُفيدًا بطريقةٍ غريبةٍ، نظرًا لأنه يطابِق تمامًا جميع استنتاجاتي التحليلية الأخرى المُبرَّرة بعنايةٍ حتى الآن، إذا ما استبعدت الفكرة السخيفة التي مفادها أنني فعلت ذلك دون أن أعلم، وهو ما فعلته، سيُصبِح كُل تفسير لاحِق غير مُرجَّح، وهكذا.. فإن مُلخَّص ديكستر عن القضية سيكون كالتالي: إنه متورِّط بطريقةٍ ما، لكنه لا يعرف حتى ماذا يعني ذلك، كان بإمكاني الشعور بالعجلات الصغيرة التي كان عقلي فخورًا بها وهي تخرُج عن مساراتها وتطيح في الهواء، خرج ديكستر عن مساره.

من حُسن حظي.. أنقذني ظهور عزيزتي ديبرا من الانهيار التام، قالت بفظاظةٍ: "تعال، سنصعد للطابِق العلوي".

"هل لي أن أسأل لماذا؟".

قالت: "سأقوم بالتحدُّث إلى موظفي المكتب، لأرى إن كانوا يعرفون شيئًا".

قُلت: "لا بد وأنهم يعرفون شيئًا ما داموا يمتلكون مكاتِب".

نظرت لي للحظةٍ قبل أن تستدير وهي تقول: "تعال".

لا بد وأنها النبرة الآمرة في صوتها، لكنني ذهبت، مشينا نحو الردهة الموجودة في الجانِب الآخر من الحلبة من المكان الذي كُنت أجلس فيه، وقف شرطي من بروارد بجوار المصعَد، كان بإمكاني رؤية العديد منهم يقفون عبر الحاجِز خلف الصف الطويل من الأبواب الزجاجية، سارت ديب نحو الشُّرطي الموجود

بجوار المصعد وقالت: "أنا مورجان".

أومأ برأسه وضغط زر الأعلى، نظر لي دون تعبيرات وهو أمر يقول الكثير، قُلت له: "أنا مورجان أيضًا".

نظر إليّ فحسب، ثم أدار رأسه ليحدِّق في الأبواب الزجاجية.

كان هناك رنين مكتوم عندما وَصَل المصعد، أسرعت ديبرا إلى الداخِل وضربت الزر بيدها بقوةٍ كانت كافية لتجعل الشُّرطي ينظر إليها والباب يُغلَق.

سألتها: "لماذا أنتِ مُتجهِّمة يا شقيقتي؟ أليس هذا ما أردتِ فعله؟".

نخرت قائلةً: "إنه عمل جيد والجميع يعلم ذلك، لكنه عمل جيد للمُحقِّقين".

أشرت إلى الخارِج قائلًا: "نسبت هذه العاهرة لاجويرتا الفضل إلى نفسها".

هسَّت وهي تقول: "بمُجرَّد أن ينتهي عملي هنا، سأعود لمُكافحة الدعارة مرة أخرى".

"يا إلهي، ببدلتكِ الجنسية الصغيرة؟".

قالت: "ببدلتي الجنسية الصغيرة".

وقبل أن أتمكَّن من صياغة كلمات تعزية سحرية كُنا قد وصلنا لطابِق المكاتِب وبدأت أبواب المصعد تُفتَح، أسرعت ديب للخارج، تبعتها، وسُرعان ما وجدنا قاعة الموظَّفين، حيث يتم اقتياد موظفي المكاتِب للانتظار حتى يُتاح لسيدة القانون الأولى الوقت الكافي لتفعل بهم ما تُريد، وَقَف شُرطي آخر من بروارد على باب القاعة، على الأرجَح ليتأكَّد من عدم قيام أي من الموظفين بالهروب عبر

الحـدود الكنديـة، أومـأت ديـبرا برأسـها إلى الشُّرطـي الموجـود بجـوار البـاب وهـي تدخُـل إلى القاعـة، دخلـت خلفهـا دون حـماس يُذكَـر تـاركًا عقـلي يهيـم في التفكـير بمُشـكلتي، بعـد لحظـة انتزعتنـي ديـبرا مـن خيـالي، عندمـا هـزَّت رأسـها أمامـي وهـي تقـود شـابًا عابسًـا ذا بـشرة دهنيـة وشـعر طويـل أشـعث نحـو البـاب، تبعتهـا مـرة أخـرى.

بطبيعـة الحـال.. كانـت تقـوم بفصلـه عـن الآخريـن للاسـتجواب، أسـلوب جيـد للغايـة مـن أسـاليب الشُّرطـة، لكـن كي أكـون صادقًـا تمامًا، لم يمـس الأمـر قلبـي أبـدًا، كُنـت أعلـم -دون أن أعـرف لذلـك سـببًا- أن أيًّـا مـن هـؤلاء النـاس لم يفعـل شـيئًا للمُسـاهمة بالأمـر، انطلاقًـا مـن هـذه العينـة الأولى، وربمـا كان مـن الآمـن تطبيـق هـذا التعميـم عـلى حياتـه وكذلـك عـلى تلـك الجريمـة، كان هـذا مُجرَّد عمـل روتينـي تـم توزيعـه عـلى ديـب لأن النقيـب اعتقـد أنهـا فعلـت شـيئًا جيـدًا، لكنهـا كانـت لا تـزال شـخصًا مُزعِجًـا، لذلـك تـم إرسـالها بعيـدًا بقطعـة مـن عمـل الشُّرطـة الشـاق الحقيقـي لإبقائهـا مشـغولة وبعيـدةً عـن الأنظـار، وقـد جُـرِرت معهـا لأنهـا أرادتنـي بجوارهـا، ربمـا لأنهـا أرادت أن تـرى إذا مـا كان باسـتطاعة إدراكي الـلا شـعوري الرائِـع مُسـاعدتها في تحديـد مـا أكلـه هـؤلاء الجُبنـاء عـلى الإفطـار، ومـن نظـرة واحـدة عـلى بـشرة هـذا الرجـل الشـاب كان بإمـكاني التأكُّـد مـن أنـه أكل بيتـزا بـاردة، رقائـق بطاطِـس، ولـترًا مـن البيبـسي، وهـو مـا قـام بتخريـب بشرتـه وأعطـاه مظهـرًا عدائيًّـا.

ورغـم ذلـك.. تبعتهـا بينـما قـام السـيد مُتجهِّـم بإرشـاد ديـبرا إلى غُرفـة اجتماعـات في الجـزء الخلفـي مـن المبنـى، كانـت هنـاك طاولـة طويلـة مـن البلـوط يحيـط بهـا عـشرة كـراسي سـوداء عاليـة الظهـر في مُنتصـف الغُرفـة، ومكتـب في الزاويـة عليـه جهـاز كمبيوتـر وبعـض

المُعدات السمعية والبصرية، بينما جلست ديب وصديقها الصغير ذو البثور وبدآ في تبادل مظاهر العبوس، تحرّكت نحو المكتب، كان هناك رف كتب صغير أسفل النافِذة بجوار المكتب، نظرت عبر النافِذة، استطعت أن أرى تحتي مُباشرةً الحشد المُتزايد من المُراسلين وسيارات الدورية التي تُحيط الآن بالباب الذي دخلنا منه مع إستيبان.

نظرت إلى رف الكُتب، فكَّرت في أنه بإمكاني تفريغ مساحة صغيرة لأنحني عليها، لأبتعِد بذوقٍ عن المُحادثة، كانت هناك كومة من مُجلَّدات مانيلا* وفوقها كان هناك جسم صغير رمادي اللون، كان مُربَّع الشكل وبدا أنه بلاستيكي، وهناك سلك أسود اللون يربط بينه وبين الجزء الخلفي من جهاز الكمبيوتر، أمسكت به لأحرِّكه.

قال المُعقَّد العابس: «مهلًا! لا تعبث بكاميرا الويب!».

نظرت إلى ديب، التي نظرت نحوي بدورها، وأقسِم أنني رأيت أنفها ينخر في الهواء مثل حصان السباق عند بوابة البداية وهي تقول بهدوء: «ماذا؟».

قال: «كُنت قد ثبَّتها نحو المدخَل، والآن.. سيتحتَّم عليّ أن أعيد تثبيتها، لماذا قُمت بالعبث بأشيائي يا رجل؟».

قُلت لديبرا: «قال كاميرا الويب».

قالت لي: «كاميرا».

«أجل».

---

*مجلد مانيلا: هو مجلد ملفات مصمم لاحتواء الوثائق والمستندات، يتكون عادةً من ورقة كبيرة قابلة للطي إلى المنتصف.

استدارت نحو الأمير الساحِر الصغير وهي تقول: «هل تعمل؟».

فغـر فـاه في مواجهتهـا، كان لا يـزال مُحافِظَـا عـلى عبوسـه وهـو يقـول: «مـاذا؟».

قالت ديبرا: «الكاميرا، هل تعمل؟».

نَخَـر وهـو يمسـح أنفـه بإصبعـه قائـلًا: «مـاذا تعتقديـن؟ مـاذا كُنـت سـأفعل لـو لم تكُـن تعمـل؟ إنهـا بمائتـي دولار، لا بـد لهـا أن تعمـل جيـدًا».

نظـرت مـن النافـذة إلى المـكان الـذي كانـت الكامـيرا مُثبَّتـة نحـوه، بينـما استكمل حديثـه في تجهُّـم أكيـد قائـلًا: «لـديّ موقـع ويـب كامـل تمامًـا، كاتهـاوس دوت كـوم، يُمكِـن للنـاس مُشـاهدة الفريـق عندمـا يصلـون إلى هنـا أو عندمـا يغـادرون».

تحرَّكـت ديـبرا ووقفـت إلى جـواري وهـي تنظُـر عـبر النافِـذة، قُلـت: «كانـت مُثبَّتـة نحـو البـاب».

قـال صديقنـا السـعيد: «بخـلاف ذلـك.. كيـف سـيتمكَّن النـاس عـلى موقعـي أن يـروا الفريـق؟».

اسـتدارت ديـبرا ونظـرت إليـه، بعـد حـوالي خمـس ثـوانٍ احمـرّ خجـلًا وهـو ينظـر نحـو المنضـدة، قالـت: «هـل كانـت الكامـيرا تعمـل الليلـة الماضيـة؟».

تمتم قائلًا دون أن ينظُر للأعلى: «بالتأكيد، أقصد.. أظن ذلك».

اسـتدارت ديـبرا نحـوي، كانـت معرفتهـا الحاسـوبية تقتـصر فقـط عـلى القـدر الـكافي لاسـتخراج تقاريـر حركـة المـرور، كانـت تعـرف أننـي أكـثر ذكاءً منهـا.

سـألت مقدمـة رأسـه: «كيـف قُمـت بإعدادهـا؟ هـل يتـم أرشـفة

الصـور بشـكلٍ تلقـائي؟».

هـذه المـرة رفـع رأسـه، لقـد اسـتخدمت فعـل أرشـفة، يجـب أن يكـون هـذا صحيحًـا، قـال: «أجـل، يتـم تحديثهـا كُل خمـس عـشرة ثانيـة، وتنتقِـل الصـور تلقائيًـا إلى القُـرص الصلـب، وعـادةً مـا أمسـحها في الصبـاح».

أمسـكت ديـبرا ذراعـي بقـوة كانـت كافيـة لسـلخ الجلـد وهـي تسـأله: «هـل قُمـت بمسـحها هـذا الصبـاح؟».

نظـر بعيـدًا مـرة أخـرى وهـو يقـول: «لا، لقـد اندفعتـم إلى الداخِـل وبدأتـم في الـصراخ ومـا إلى ذلـك، لم يتسـن لي حتـى التحقُّـق مـن بريدي الإليكـتروني بعـد».

نظرت لي ديبرا، فقُلت: «بينجو!».

قالت لمُخيّمنا التعِس: «تعال إلى هنا».

قال: «ماذا؟».

كرَّرت قولها: «تعال إلى هنا».

وقف ببطءٍ، فاغر الفاه، ويفرك مفاصِل أصابعه، قال: «ماذا؟».

أمرتـه ديـبرا بأسـلوب ضابطـة شُرطـة مُتمرِّسـة: «هـل يُمكِنـك أن تـأتي إلى هنـا يـا سـيدي؟».

بـدأ بالحركـة مـن فـوره، سـألته: «هـل يُمكِننـا أن نـرى صـور الليلـة الماضيـة مـن فضلـك؟».

فغـر فـاه وهـو ينظُـر نحـو جهـاز الكمبيوتـر، قبـل أن ينظُـر لهـا وهـو يسـألها: «لماذا؟».

لطالما كان الذكاء البشري لغزًا.

قالـت ديـبرا ببـطءٍ وحـرصٍ: «لأنـك ربمـا تكـون التقطـت صـورة القاتِـل».

حـدَّق بهـا وهـو يرمـش، قبـل أن يحمـر خجـلًا وهـو يقـول: « مُسـتحيل » .

قُلت: «بل هو مُمكِن».

حـدَّق بي، ثـم بديـبرا، وهـو فاغِـر الفـاه، قـال: «رائـع، لا، اللعنـة؟ أقصِـد.. لا، حقًّـا؟».

احمر خجلًا أكثر، قالت ديبرا: «هل يُمكِننا رؤية الصور؟».

وقـف دون حـراك للحظـةٍ، ثـم اندفـع نحـو المقعـد وجلـس خلـف المكتـب وأمسـك بالفـأرة، وعـلى الفـور عـادت الشاشـة للحيـاة، بـدأ في الكتابـة والضغـط عـلى زر الفـأرة بشراسـةٍ وهـو يسـأل: «في أي وقـت يجـب أن أبـدأ؟».

سألته ديبرا: «في أي وقت غادر الجميع؟».

هـزَّ كتفيـه قائـلًا: «لم يكُـن لدينـا شيء في الليلـة الماضيـة، ذهـب الجميـع بحلـول السـاعة.. الثامنـة تقريبًـا؟».

قُلت: «ابدأ من مُنتصف الليل».

أومأ برأسه وهو يقول: «حسنًا».

عَمِـلَ في صمـتٍ لدقيقـةٍ قبـل أن يتمتـم قائـلًا: «بحقـكَ، إنهـا فقـط حـوالي سـتمائة ميجـا، لـن يتـم تحديثهـا، مـا ينفكـون يقولـون أنهـا عـلى مـا يُـرام، لكنهـا بطيئـة للغايـة، ولا تـــ..».

قطع حديثه فجأة قائلًا: «حسنًا».

ظهـرت صـورة قاتِمـة عـلى الشاشـة؛ سـاحة الانتظـار الموجـودة تحتنـا

فارِغـة، قـال وهـو يحـدِّق في الشاشـة: «مُنتصـف الليـل».

بعـد خمـس عـشرة ثانيـة، تبدَّلـت الصـورة للصـورة نفسـها، سـألته ديـبرا: «هـل سـيتحتَّم علينـا مُشـاهدة هـذا لمُـدة خمـس سـاعات؟».

قُلت: «ابحث فيها عن مصابيح أمامية، أو أي شيء يتحرّك».

قال: «حسنًا».

قـام ببعـض عمليـات التأشـير والنقـر السريعـة، وسُرعـان مـا بـدأت الصـور تتقـدَّم بسُرعـة صـورة في الثانيـة، في البدايـة.. لم تتغـيَّر كثـيراً؛ نفـس سـاحة الانتظـار المُظلِمـة، وضـوء واحـد سـاطِع عـلى حافـة الصـورة، بعـد مـرور حـوالي خمسـين إطـارًا، ظهـرت صـورة أمامنـا، قالـت ديـبرا: «شـاحنة!».

هزَّ مُعقَّدنا الأليف رأسه وهو يقول: «الأمن».

وفي الصورة التالية أصبحت شاحنة الأمن مرئية.

اسـتمرَّ في البحـث، توالـت الصـور، ثابتـة لا تتغـيَّر، في كُل ثلاثـين أو أربعـين صـورة كُنـا نـرى شـاحنة الأمـن تمُـر، ثـم لا شيء، وبعـد بضـع دقائـق عـلى هـذا المنـوال، توقَّـف هـذا النمـط، وكان هنـاك امتـداد طويـل مـن الـلا شيء، قـال صديقنـا الدهنـي الجديـد: «ضُبِطتـم».

رمقته ديبرا بنظرةٍ حادةٍ وهي تسأله: «هل تعطَّلت الكاميرا؟».

نظـر إليهـا ثـم احمـرَّ خجـلًا مـرة أخـرى قبـل أن ينظـر بعيـدًا وهـو يـشرح الأمـر: «رجـال الأمـن، إنهـم سـيئون تمامًـا، كُل ليلـة في حـدود السـاعة الثالثـة، يقومـون بصـفِّ السـيارة في الجانِـب الآخـر ويذهبـون للنـوم».

أومـأ برأسـه نحـو الصـور الثابِتـة التـي تمُـر تباعًـا: «أتريـان؟ مرحبًـا يـا رجـل الأمـن، يـا مُجِـد في عملـك!».

أصدر صوتًا مكتومًا من أنفه، أفترض أنه كان يجب أن يكون ضحكًا: «لست مجدًّا للغاية».

كرَّر صوت الشخير مرة أخرى والصور تتوالى تباعًا.

فجأة.. ناديته: «انتظِر!».

على الشاشة.. ظهرت شاحنة بجوار الباب الموجود تحتنا، ظهر شيء آخر عندما تغيَّرت الصورة، رجل يقف بجوار الشاحِنة، سألته ديبرا: «هل يُمكِنك أن تُقرِّبها؟».

قبل أن يبدو على وجهه القليل من التجهُّم قُلت: «كبِّرها».

قام بتحريك المؤشِّر، حدَّد الجسم المُظلِم الموجود على الشاشة، ثم نَقَر على الفأرة، تحوَّلت الصورة لأخرى أقرب كثيراً.

قال: «لن تحصلوا على مزيدٍ من الدقة، البيكسلـ...».

قالت ديبرا: «اخرس».

كانت تحدِّق في الشاشة بحدةٍ كافية لإذابتها، وعندما حدَّقت بدوري، تمكَّنت من معرفة السبب، كانت الصورة مُظلِمة، وكان الرجل بعيدًا بما يكفي لأتأكَّد، لكن بناءً على التفاصيل القليلة التي استطعت تبيُّنها، كان هناك شيء مألوف به بطريقةٍ غريبةٍ، الطريقة التي وقف بها دون حراك على شاشة جهاز الكمبيوتر، موزِّعًا ثقل جسده على كلتا قدميه، والانطباع العام عن شكله الخارجي، بطريقةٍ ما.. كما كانت غامِضة، فإنها كانت تمدنا بشيءٍ ما، اندلعت موجة صاخبة جدًّا من أعماق المقعد الخلفي لعقلي، شعرت بما يُشبِه تأثير العزف على بيانو كبير، كان في الواقِع يُشبه بشكلٍ كبيرٍ..

«ديكستر؟».

قالتها ديبرا، في نوعٍ من الصراخ الهامِس المختنِق.

أجل، بالفعل..

يُشبه ديكستر.

الفصل الثالث والعشرون

كُنت متأكِّدًا تمامًا من أن ديبرا اقتادت الشاب صاحِب الشعر السيئ إلى القاعة مرة أخرى، لأنني عندما نظرت للأعلى ثانيةً.. كانت تقف في مواجهتي، بمُفردها، وعلى الرغم من زيها الرسمي الأزرق.. لكنها في الوقت الحالي لم تكُن تبدو كشُرطية، بدت قَلِقة، وكأنه ليس بإمكانها أن تُقرِّر إذا ما كانت يجب أن تصرُخ أم تبكي، مثل أم خذلها طفلها الصغير المُميَّز بشدةٍ.

قالت بحدةٍ: «حسنًا؟».

يجب عليّ القول بأن لديها وجهة نظر، قُلت: «لست بأسوأ حال، وأنتِ؟».

ركلت أحد المقاعِد، والذي سقط من فوره وهي تقول: «اللعنة يا ديكستر، لا تتظاهر معي بهذا الهراء الذكي! أخبرني بشيءٍ ما، أخبرني أنه ليس أنت!».

لم أقُل شيئًا، استمرَّت: «حسنًا إذا، أخبرني أنه أنت! أخبرني بشيء، بأي شيء على الإطلاق!».

هززت رأسي قائلًا: «أنا...».

لم يكُن هناك أي شيء يُقال، لذا هززت رأسي مرة أخرى قبل أن أضيف: «أنا مُتأكِّد بعض الشيء أنه ليس أنا، أقصِد.. لا أعتقِد ذلك».

حتى بالنسبة لي.. بدا الأمر وكأنني غرست قدميّ في أرض الإجابات الضعيفة.

سألتني ديب: «ماذا تعني بـ مُتأكِّد بعض الشيء؟ هل يعني هذا أنك لست مُتأكِّدًا؟ هل يُمكِن أن تكون أنت الموجود في هذه الصورة؟».

كان ردها بارعًا حقًّا، مع أخذ ردي في الاعتبار، قُلت: «حسنًا، ربما، لا أعرِف».

«هل تعني بـ لا أعرِف أنك لا تعرف إذا ما كُنت ستقوم بإخباري، أم أنها تعني أنك حقًّا لا تعرِف إذا ما كُنت أنت الموجود في الصورة؟».

كرَّرت قولي: «أنا مُتأكِّد بعض الشيء أنه ليس أنا يا ديبرا، لكنني حقًّا لست واثِقًا تمام الثقة، إنه يُشبهني.. أليس كذلك؟».

قالت: «اللعنة».

قبل أن تركل المقعد من المكان الذي كان يقبع فيه، اصطدم بالطاولة، وهي تقول: «كيف يُمكِنك ألا تعرف، اللعنة على ذلك؟».

«من الصعب قليلًا شرح هذا الأمر».

«حاول!».

فتحت فمي، لكن وللمرة الأولى في حياتي لم يخرُج شيء، كما لو أن كُل شيء لم يكُن سيئًا بما فيه الكفاية، بدا وكأنني فقدت مهارتي بالكامل، تمتمت قائلًا: «أنا فقط.. كان لديّ هذه الـ. الأحلام، لكن يا ديب، أنا لا أعرِف حقًّا».

قالت ديبرا: «اللعنة، اللعنة، اللعنة».

ومع كُل كلمة نطقت بها كانت تركل الكُرسي ركلة، كان من الصعب للغاية الاختلاف مع تحليلها للوضع.

سبحت كُل تأملاتي الغبية المشوِّهة لنفسي مرة أخرى وصولًا

للحافة المُشرِقة الساخرة، بالطبع لم أكُن أنا.. كيف يُمكن أن يكون أنا؟ ألن أعرف إذا ما كُنت أنا؟ على ما يبدو يا ولدي العزيز.. لا، على ما يبدو أنت لا تعرِف أي شيء على الإطلاق، لأن عقولنا الصغيرة القاتِمة العميقة لا تنفك تُخبرنا بكُل أنواع الأشياء التي تتراوح بين الواقعية وعدمها، لكن الصور لا تكذِب.

أطلقت ديبرا وابلًا جديدًا من الهجمات الوحشية على المقعد، قبل أن تُعدِّل وضعه، كان وجهها أحمر للغاية وبدت عيناها شبيهتين بدرجة كبيرة بعيني هاري عن ذي قبل وهي تقول: "حسنًا، ليكُن كذلك».

رمشت وتوقَّفت للحظةٍ بينما أدرك كلانا أنها قالت للتو جُملة من جُمل هاري.

ولثانيةٍ كان هاري هناك في الغُرفة بيني وبين ديبرا، كان كلانا مُختلِفًا للغاية، ورغم ذلك كان كلانا من أبناء هاري، القبضتين الغريبتين لإرثه الفريد، اختفت بعض الصلابة من ملامح ديبرا لتبدو بشرية، وهو أمر لم أره منذ حين، حدَّقت بي لدقيقةٍ طويلةٍ، قبل أن تستدير مُبتعدةً وهي تقول: "أنت شقيقي يا ديكستر".

كُنت مُتأكِّدًا للغاية أن هذا لم يكُن ما نَوَت قوله في الأصل، قُلت: "لن يلومك أحد».

صرخت، وأخذتني ضراوة ذلك على حين غرة: "اللعنة عليك، أنت شقيقي! لا أعرِف ماذا حدث بينك وبين أبي، الأمور التي لم يتحدَّث كلاكما بشأنها، لكنني أعرِف ما كان سيفعله».

قُلت: "سلّميني".

أومأت ديبرا وشيء ما يلمع في طرف عينها: "أنت كُل عائلتي يا

ديكـس".

"ذلك ليس أمرًا مهمًا بالنسبة لكِ، أليس كذلك؟".

استدارت نحـوي، كان بإمـكاني الآن رؤيـة الدمـوع في عينيهـا، نظـرت لي فقـط لدقيقـةٍ طويلـةٍ، راقبـت الدمعـة وهـي تهـرب مـن عينهـا اليُـسرى وتسـقط عـلى وجنتهـا، مسـحتها، قوَّمـت نفسـها، وأخـذت نفسًـا عميقًـا، قبـل أن تنظـر نحـو النافـذة مـرة أخـرى.

قالـت وهـي تنظـر بعيـدًا عنـي، عـبر النافـذة، مُبـاشرةً نحـو الأفـق: "هـذا صحيـح، لم يكُـن ليسـلّمك، وهـذا مـا سـأفعله".

قالـت: "لا بُـد لي مـن إنهـاء هـذه المُقابـلات، سـأتركك مسـؤولًا عـن تحديـد إذا مـا كان هـذا الدليـل ذا صلـة، اصطحِـب جهـاز الكمبيوتـر معـك للمنـزل، واحصـل عـلى كُل مـا تُريـد الحصـول عليـه، وعندمـا أنتهـي هنـا، وقبـل أن أعـود للخدمـة مـرة أخـرى، سـآتي لآخـذه، لأسـمع مـا لديـك لتقولـه».

نظـرت إلى سـاعتها وهـي تقـول: "السـاعة الثامنـة، وإذا اضطـررت لاصطحابـك في ذلـك الوقـت.. سـأفعل".

نظـرت لي مـرة أخـرى لدقيقـةٍ طويلـةٍ قبـل أن تقـول بخفـوتٍ وهـي تُغـادِر الغُرفـة: "اللعنـة يـا ديكسـتر".

تحرَّكـت نحـو النافـذة ألقيـت نظـرة لنفـسي، كان سـيرك رجـال الشُرطـة، المُراسـلين، والمُحدِّقـين المهووسـين يُقـام دون تغيـير، بعيـدًا.. خلـف سـاحة الانتظـار، كان بإمـكاني رؤيـة الطريـق السريـع، مليئًـا بالسـيارات والشـاحنات التـي تمُـر بسُرعـة ميامـي القصـوى البالغـة خمسـة وتسـعين ميـلًا بالسـاعة، وخلـف ذلـك سـطع أفـق ميامـي الشـاهِق في المسـاحة القاتِمـة.

أما هنا في المقدمة.. فوقف ديكستر مُعتمًا ومُصابًا بالدوار، يحدِّق عبر النافذة إلى مدينة لم تتكلَّم ولن تُخبره بأي شيء حتى لو فعلت.

اللعنة يا ديكستر.

لا أعلم لكم من الوقت حدَّقت في النافذة، لكن خطر لي في النهاية أنه لا توجد إجابات هناك، لكن على الرغم من ذلك.. قد يكون هناك بعضها هنا في كمبيوتر صاحب البثور، أدرت المكتب، كان الجهاز يحتوي على مُحرِّك أقراص مضغوطة، عثرت في الدرج العلوي على صندوق يحتوي على أقراص مضغوطة قابلة للتسجيل، وضعت واحدة في مُحرِّك الأقراص، وقُمت بنسخ ملف الصور بالكامِل، وأخرجت القرص المضغوط، أمسكته ونظرت إليه، لم يكُن لديه الكثير ليقوله، وربما أكون قد تخيَّلت الضحكة الخافِتة التي ظننت أنني سمعتها من الصوت المُظلِم الموجود في المقعد الخلفي، لكن لأكون آمنًا فحسب.. مسحت الملف من على القرص الصلب.

في طريقي للخارِج.. لم يمنعني رجال شُرطة بروارد المناوبون، لم يتحدَّثوا إليّ حتى، لكن بدا لي أنهم ينظرون لي بلا مُبالاة شديدة ومُريبة.

تساءلت عما إذا كان هذا هو ما تشعُر به عندما يكون لديك ضمير، أفترِض أنني لن أعرف ذلك أبدًا.. على عكس ديبرا المسكينة، المُمزَّقة بين كثير من الولاءات التي لا يُمكِن أن تعيش معًا داخِل نفس العقل، كُنت مُعجبًا بحلها، أن تتركني مسؤولًا عن تحديد إذا ما كان الدليل ذا صلة، بارِعًا للغاية، وأشبه بهاري للغاية كذلك، مثل ترك مُسدّس محشو على المنضدة أمام صديق مُذنِب قبل أن تمشي بعيدًا، عالمًا أن الذنب سيضغط على الزناد وسيوفِّر على المدينة تكلفة المُحاكمة، في عالم هاري.. لا يُمكِن لضمير المرء أن

يتعايش مع هذا النوع من العار.

ولكن.. كما كان هاري يعرف جيدًا، فعالمه كان قد مات منذ أمد بعيد، وليس لديّ أي ضمير، عار، أو ذنب، كُل ما لديّ هو قرص مضغوط يحتوي على قليلٍ من الصور، وبالطبع.. كانت هذه الصور أقل منطقية من وجود ضمير.

يجب أن يكون هناك القليل من التفسير الذي لا يتضمَّن قيام ديكستر بقيادة شاحنة في أنحاء ميامي أثناء نومه، بالطبع بدا وكأن أغلب السائقين الموجودين على الطريق يقومون بذلك، لكن كانوا على الأقل مُستيقظين جزئيًّا عندما بدأوا، أليس كذلك؟ وها أنا ذا، مفتوح العينين وواعٍ تمامًا ولست من ذلك النوع من الرجال الذين يجوبون المدينة ويقتلون دون وعي على الإطلاق، لا.. كُنت من النوع الذي يريد أن يكون مُستيقظًا في كُل لحظة من الأمر، ومن أجل الوصول لنتيجةٍ نهائيةٍ، كانت هناك تلك الليلة على طريق الجسر، من المُستحيل جسديًّا أن ألقي بالرأس على سيارتي.. أليس كذلك؟

ما لم أجعل نفسي أصدِّق أن بإمكاني التواجد في مكانين في آنٍ واحدٍ، وهو الأمر الذي يبدو منطقيًّا للغاية، نظرًا لأن البديل الوحيد الذي يُمكنني التوصُّل إليه هو تصديق أنني كُنت أعتقد أنني كُنت جالسًا في سيارتي أراقِب شخصًا آخر وهو يلقي بالرأس نحو سيارتي، وحينئذ...

لا، هذا سخيف، لم أستطِع أن أطلب من القطع القليلة الأخيرة من عقلي أن تؤمِن بهذا النوع من القصص الخيالية، يجب أن يكون هناك تفسير منطقي وبسيط للغاية، وسأجده، وعلى الرغم من أنني بدوت كرجل يحاول إقناع نفسه لا يوجد أي شيء تحت

الفـراش، قُلتهـا بصـوتٍ عـالٍ.

قُلت لنفسي: "هناك تفسير منطقي وبسيط".

ولأنـك لا تعـرف أبـدًا مـن هنـاك غـيرك ليسـتمِع، أضفـت: "ولا يوجـد شيء تحـت الفـراش».

ولكـن مـرة أخـرى.. كان الـرد الوحيـد هـو صمـت ذو مغـزى مـن الراكِـب المُظلِـم.

وبخـلاف الرغبـة العارمـة الطاغيـة لإراقـة دم السـائقين الآخريـن، لم أجِـد أي إجابـات في طريقـي للمنـزل، أو لأكـون صادقًـا تمامًـا.. لم أجـد إجابـات منطقيـة، كان هنـاك الكثـير مـن الإجابـات الغبيـة، لكنهـم جميعًـا كانـوا يـدورون حـول نفـس الفرضيـة المركزيـة، وهـو أن كُل شيء لم يكُـن عـلى مـا يُـرام داخـل جُمجمـة وحشـنا المُفضَّـل، ووجـدت صعوبـةً بالغـةً في تقبُّـل ذلـك، وربمـا كان السـبب الوحيـد لذلـك هـو أننـي لم أشـعر بـأي جنـون أكـثر مـما شـعرت بـه في أي وقـت مـضى، لم ألاحِـظ فقـدان أي نسـيج رمـادي، لم يبـد أننـي أفكِّـر بشـكلٍ أبطـأ أو أكـثر غرابـة، وحتـى الآن لم أحـظ بـأي مُناقشـات مـع رفاقـي غـير المرئيـين عـلى حـد علمـي.

مـا عـدا في نومـي بالطبـع.. وهـل هـذا يُحتسـب حقًـا؟ أولسـنا جميعًـا مجانـين في نومنـا؟ ومـا هـو النـوم في النهايـة، سـوى العمليـة التـي نتخلَّـص فيهـا مـن جنوننـا في حُفـرة مُظلِمـة بالعقـل الباطِـن، لنخـرج بعدهـا مـن الجهـة الأخـرى مُسـتعدين لأكل الحبـوب بـدلًا مـن أطفـال الجـيران؟

وبخـلاف الأحـلام التـي كُنـت أحلـم بهـا، فـكُل شيء كان منطقيًـا؛ ألقـى شـخص آخـر الـرأس نحـوي عـلى طريـق الجـسر، تـرك دميـة بـاربي

في شقتي، رتَّب الجُثث بطريقةٍ مُثيرة للاهتمام، شخص آخر، وليس أنا، شخص آخر غير ديكستر المُظلم العزيز، وهذا الشخص الآخر تم التقاط صورته أخيراً، هنا، في هذه الصور الموجودة على القرص المضغوط، وسأنظر للصور وأثبت لمرة وإلى الأبد أن..

أن هذا القاتِل يبدو لي وكأنه أنا؟

جيد يا ديكستر، جيد جدًّا، أخبرتك أن هناك تفسيراً منطقيًّا، هذا الشخص الآخر كان في الواقِع أنا، بالطبع.. يصنع هذا منطقًا رائعًا.. أليس كذلك؟

وصلت إلى المنزل وألقيت نظرة خاطِفة على شقتي، لا يبدو أن هناك أي شخص ينتظرني، ولم يكُن هناك سبب لحدوث ذلك بالطبع، لكن معرفة أن هذا الشيطان الذي كان يروِّع المدينة يعرف أين أعيش كانت مُقلِقة قليلًا، لقد أثبت أنه من ذلك النوع من الوحوش الذي قد يفعل أي شيء، كان بإمكانه أن يأتي ليترك لي المزيد من أجزاء الدمى في أي وقت، خصوصًا لو كان أنا.

وبالطبع لم يكُن أنا، بالتأكيد لا، ستُظهِر الصور شيئًا صغيراً لأثبِت أن التشابه لم يكُن أكثر من صدفة فحسب، وحقيقة أن جرائم القتل تلك بدت مألوفة للغاية كانت أيضًا مُصادفة بلا شك، أجل، من الواضِح أن تلك كانت سلسلة من المُصادفات الوحشية المنطقية تمامًا، ربما يجب أن أتصل بالمسؤولين عن موسوعة جينيس، تساءلت عما هو الرقم القياسي لعدم التأكُّد مما إذا كُنت قد ارتكبت سلسلة من جرائم القتل؟

وضعت قرصًا مضغوطًا للموسيقي فيليب جلاس وجلست على مقعدي، حرَّكت الموسيقى الفراغ الموجود بداخلي، وبعد عدة دقائق عاد شيء يُشبه هدوئي المُعتاد ومنطقي الجليدي، ذهبت

إلى جهـاز الكمبيوتـر الخـاص بي وقُمـت بتشـغيله، وضعـت القـرص المضغـوط في مُحـرِّك الأقـراص وفحصـت الصـور، قُمـت بتكبـير وتصغـير كُل واحـدة منهـم، قُمـت بفعـل كُل مـا أعـرف فعلـه في محاولـة لتنظيف الصـور، قُمـت بتجربـة أشـياء كُنـت قـد سَـمِعت عنهـا فقـط، وقُمـت بأشـياء كُنـت قـد اختلقتهـا للتـو، لكـن شـيئًا لم يفلَـح، في النهايـة.. لم أحقِّـق أي إنجـاز يُذكَـر عـما بـدأت، لم يكُـن مـن المُمكِـن الحصـول عـلى دقـة كافيـة لتوضيـح وجـه الرجـل الموجـود في الصـورة، ورغـم ذلـك.. ظللـت أحـدِّق في الصـور، حرَّكتهـا بزوايـا مُختلِفـة، طبعتهـا ورفعتهـا عاليًـا نحـو الضـوء، فعـل كُل شيء كان سـيفعله أي شـخص عـادي، وبينما كُنـت مـسرورًا بمحاولـة تقليـدي، لم أسـتطِع اكتشـاف أي شيء سـوى أن الرجـل الموجـود في الصـورة يُشـبهني.

لم أسـتطِع الحصـول عـلى انطبـاع واضِـح عـن أي شيء، حتـى ملابسـه، كان يرتـدي قميصًـا يُمكِـن أن يكـون أبيـض، أو أسـمر، أو أصفـر، أو حتـى أزرق فاتِحًـا، كان ضـوء سـاحة انتظـار السـيارات المُنعكِـس عليـه واحـدًا مـن أضـواء الأرجـون والتـي توهَّجـت بلـونٍ برتقـالي وردي؛ ومـا بـين هـذا وبـين ضعـف جـودة الصـورة كان مـن المُسـتحيل معرفـة المزيـد، كان سروالـه فضفاضًـا وطويـلًا، فاتـح اللـون، في العمـوم.. كان زيًّـا قـد يرتديـه أي شـخص، بمـا في ذلـك أنـا، كُنـت قـد ارتديـت ملابـس تُشـبه تلـك عـدة مـرات مـن قبـل، وقـد كانـت كافيـة لخلـق فصيلـة كاملـة مـن أشـباه ديكسـتر.

تمكَّنـت بالفعـل مـن تكبـير جانِـب الشـاحنة بمـا يكفـي لأتبيَّـن حـرف الـ (ا) وتحتـه كان هنـاك حـرف (ل) متبوعًـا بحـرف (و) ثـم حـرف (ن) أو (ت)، لكـن الشـاحنة نفسـها كانـت بعيـدة عـن الكامـيرا، وكان هـذا هـو كُل مـا اسـتطَعت رؤيتـه.

لم تُقـدِّم لي أي مـن الصـور الأخـرى أي تلميحـات، شـاهدت التسلسُـل مـرة أخـرى؛ الرجـل يختفـي، يعـود للظهـور، ثـم تختفـي الشـاحِنة، دون زوايـا تصويـر جيـدة، أو لمحـات مُختلَسـة مـن لوحـة سـيارته، ولا يوجـد لـديّ أي سـبب لأقـول إذا مـا كان بارعًـا مثـل ديكسـتر الحالِـم أم لا.

عندمـا نظـرت بعيـدًا عـن جهـاز الكمبيوتـر في النهايـة، كان الليـل قـد حـل وانتـشر الظـلام بالخـارِج، وفعلـت الـشيء الـذي كان الشـخص العـادي ليفعلـه منـذ سـاعات؛ استسـلمت، لم يكُـن هنـاك شيء آخـر بإمـكاني القيـام بـه سـوى انتظـار ديـبرا، كان عـليّ أن أتـرك أختـي المسـكينة المُعذَّبـة لتسـحبني إلى السـجن، فبعـد كُل شيء، وبطريقـةٍ أو بأخـرى، أنـا مُذنِـب، ويجـب أن أسـجَن حقًّـا، ربمـا يُمكننـي مُشـاركة ماكهيـل في الزنزانـة، سـيُمكِنه أن يُعلمنـي رقصـة الجـرذان.

وعندما خطرت لي هذه الفكرة، فعلت شيئًا رائعًا.

غططت في النوم.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الرابع والعشرون

لم أحـظَ بـأي أحـلام، لا إحسـاس بالانتقـال خـارِج جسـدي، لم أشـاهِد أي اسـتعراضات لصـور شـبحية أو أجسـاد بـرؤوسٍ مقطوعـةٍ خاليـة مـن الدمـاء، لم تتراقَـص رؤى السُّـكر في رأسي، لم يكُـن هنـاك أي شيء، ولا حتـى أنـا، لا شيء سـوى نـوم عميـق وخالِـد، ورغـم ذلـك.. عندمـا أيقظنـي الهاتِـف، عَلِمـت أن المُكالمـة كانـت بخصـوص ديـبرا، وعَلِمـت أنهـا لـن تـأتي، كانـت يـدي تتعـرَّق بالفعـل عندمـا أمسـكت سـماعة الهاتِـف وأنـا أقـول: "أجـل".

أتـاني الصـوت قائـلًا: "أنـا النقيـب ماثيـوس، أحتـاج للحديـث مـع المُحقِّقـة مورجـان مـن فضلـك".

قُلـت وجـزء منـي غـارق في التفكـير عـما يعنـي ذلـك: "إنهـا ليسَـت هنـا".

"حسنًا، هذا ليس... متى غادرت؟".

نظـرت إلى سـاعتي بشـكلٍ غريـزي؛ كانـت السـاعة التاسـعة والربـع، غرقـت في العـرق أكـثر وأنـا أقـول للنقيـب: "لم تـأتِ إلى هنـا".

"لكنها سـجَّلَت خروجهـا إلى منزلـك، إنهـا في الخدمـة.. ومـن المُفـترض أن تكـون هنـا".

"لم تصل إلى هنا أبدًا".

قـال: "اللعنـة عـلى ذلـك، قالـت أن لديـك بعـض الأدلـة التـي نحتاجهـا".

قُلت قبل أن أنهي المُكالمة: "لديّ؟».

لـديّ بعـض الأدلـة، كُنـت متأكـدًا تمامًـا مـن ذلـك، لكنني فقـط لم أكُـن أعـرف مـا هـي بالضبـط، لكـن كان علـيّ أن أكتشِـف الأمـر، ولم أكُـن أعتقِـد أن لـديّ الكثير مـن الوقـت، أو كي أكـون أكـثر دقـة، لم أكُـن أعتقـد أن لـدى ديـب الكثـير مـن الوقـت.

ومـرة أخـرى، دون أن أعلـم كيـف عرفـت بالأمـر، قُلـت لنفـسي دون وعـي: "ديـبرا بحوزتـه»

لم تظهَـر في ذهنـي صـورة مُقلِقـة لمصيرهـا الوشـيك، ولم أكُـن مُضطـرًا إلى تجربـة أي رؤى عميـاء أو التفكـير في (يـا إلهـي، كان يجـب أن تكـون ديـبرا هنـا الآن، هـذا ليـس مـن عاداتهـا)، عرفـت الأمـر فحسـب، مثلـما عرفـت عندمـا اسـتيقظت، أن ديـبرا كانـت آتيـة مـن أجـلي، لكنهـا لم تصـل إلى هنـا، وعرفـت مـاذا يعنـي ذلـك.

أنها بحوزته.

كان قـد أخذهـا مـن أجـل منفعتـي التامـة، هـذا كُنـت أعرفـه، لطالمـا كان يضيـق الخنـاق مـن حـولي، يدخُـل إلى شـقتي، يكتـب لي رسـائل صغـيرة بضحايـاه، يسـتفزني بتلميحـات وإشـارات عـما كان يفعلـه، والآن أصبـح قريبًـا لي أكـثر مـن ذي قبـل دون أن يكـون معـي في الغُرفـة ذاتهـا، لقـد أخـذ ديـب، كان ينتظـر معهـا، ينتظـرني.

لكـن أيـن؟ ولكـم مـن الوقـت سـينتظرني قبـل أن ينفـد صـبره ويبـدأ اللعـب دوني؟

وبـدوني.. كُنـت أعلـم جيـدًا مـن سـتكون رفيقـة لعبـه، ديـبرا، لقـد دخلـت إلى شـقتي وهـي مُرتديـة ملابِـس العمـل في زي العاهـرة، مُغلفـة تمامًـا كالهديـة بالنسـبة لـه، لا بُـد وأنـه اعتقـد أنهـا أعيـاد عيـد الميـلاد.

كانـت بحوزتـه، وسـتكون صديقتـه الخاصـة الليلـة، لم أكُـن أريـد أن

أفكِّـر فيهـا بهـذه الطريقـة، مُقيَّـدة ومربوطـة بإحـكامٍ وتراقِـب قطعًـا فظيعـة منهـا تختفـي ببطءٍ للأبـد، لكـن هـذا مـا سـيحدُث، في ظـل ظـروف أخـرى، كانـت هـذه لتكـون أمسـية ترفيـه رائعـة، لكـن ليـس مـع ديـبرا، كُنـت عـلى يقـين مـن أننـي لم أكُـن أرغَـب في ذلـك، لم أكُـن أريـده أن يفعـل أي شيء رائـع ودائـم، ليـس الليلـة، ربمـا لاحقًـا، مـع شـخص آخـر، عندمـا نعـرف بعضنـا البعـض بشـكلٍ أفضـل قليـلًا، لكـن ليـس الآن، وليـس مـع ديـبرا.

وبهـذه الخاطـرة بـدا كُل شيء أفضـل، كان مـن اللطيـف أن يتـم تسـوية ذلـك، أفضِّـل بقـاء أختـي عـلى قيـد الحيـاة، بـدلًا مـن أن تكـون قطعًـا صغـيرة خاليـة مـن الدمـاء، رائـع.. تـكاد تكـون لمحـة إنسـانية منـي، والآن بمـا أنـه تـم تسـوية ذلـك: مـاذا بعـد؟ بإمـكاني الاتصـال بريتـا، ربمـا نذهـب لمُشـاهدة فيلـم، أو لنزهـة في الحديقـة، أو.. لـنرى، ربمـا، لا أعـرف.. أنقِـذ ديـبرا؟ أجـل، يبـدو هـذا مُمتعًـا، لكـن..

كيف؟

بالطبـع كان لـديّ القليـل مـن الأدلـة، كُنـت أعـرف الطريقـة التـي يُفكِّـر بهـا، فبعـد كُل شيء.. كُنـت أفكِّـر بنفـس الطريقـة، وهـو يريـدني أن أجـده، كان يُرسِـل تلـك الرسـالة بصـوتٍ عـالٍ وواضـحٍ، إذا مـا كان بإمـكاني إخـراج كُل هـذا الغبـاء المُشـتِّت خـارج رأسي -كُل الأحـلام ومُطـاردة الجنيـات في العصـور الحديثـة وكُل شيء آخـر- فسيتسـنى لي أن أكـون مُتأكِّـدًا مـن أن باسـتطاعتي الوصـول إلى الموقـع المنطقـي والصحيـح، لم يكُـن ليأخُـذ ديـب إلا إذا اعتقـد أنـه أعطـاني كُل شيء يحتـاج الوحـش الـذكي لمعرفتـه مـن أجـل العثـور عليـه.

حسـنًا إذًا، يـا ديكسـتر الـذكي.. لتجـده، تعقَّـب مُختطـف ديـب، دع المنطِـق القـاسي ينزلِـق عـبر الممـر الخلفـي مثـل عتـاد صيـد الذئـاب،

ضع دماغك الجبَّار في حالة التأهُّب القصوى، دع الريح تعصف عبر نقاط الاشتباك العصبي لعقلك القوي كما لو كان يُسرِع لنهايته الجميلة الحتميَّة، انطلق يا ديكستر، انطلق!

ديكستر؟

مرحبًا؟ هل من أحد هناك؟

على ما يبدو.. لا، لم أسمع أي رياح تعصف عبر نقاط الاشتباك العصبي، كُنت فارغًا كما لم أكُن من قبل، لم تكُن هناك دوامة من المشاعر المُنهِكة بالطبع، لأنه لم يكُن لديّ أي مشاعِر لتدور، لكن النتيجة كانت مُخيفة بنفس القدر، كُنت مُخدرًا ومُرهقًا كما لو أنني كُنت أشعر بشيءٍ ما حقًّا، ديبرا اختفت، كانت في خطرٍ داهمٍ بأن تُصبِح قطعة فنية رائعة التكوين، كان أملها الوحيد في الحفاظ على أي نوع من أنواع البقاء بأي شكل آخر غير مجموعة من الصور الثابِتة التي تم التقاطها لتُعلَّق على لوحة مُختبر شُرطة هو شقيقها العاجِز معطوب الدماغ، ديكستر المسكين، الكلب الأخرق، الجالس في مقعده بينما يدور عقله في دوائر، يُطارِد ذيله، ويعوي على القمر.

أخذت نفسًا عميقًا، من بين كُل الأوقات التي احتجت فيها أن أكون أنا، كان هذا أهمهم جميعًا، ركزّت بشدة وأنا أهدئ من روعي، وعندما عادت كمية صغيرة من ديكستر ليتردَّد صداها في تجويف دماغي، أدركت كم أصبحت إنسانًا وغبيًّا، لم يكُن هذا لُغزًا كبيرًا في الواقِع، كان الأمر واضحًا بشكلٍ كبيرٍ، لقد فعل صديقي كُل شيء ما عدا إرسال دعوة رسمية مكتوب بها: (شرف حضورك عندما أقوم بتشريح أختك مطلوب، القلب الأسود اختياري)، ولكن حتى هذه النقطة الصغيرة من المنطِق كان قد تم محوها من جُمجمتي

النابضـة بفكـرٍ جديـدٍ كان يشُـق طريقـه إليهـا، لتقطـر منطقًـا فاسـدًا.

كُنت نائمًا عندما اختفت ديبرا.

هـل يعنـي ذلـك أننـي فعلـت هـذا دون أن أدري؟ مـاذا لـو كُنـت قـد قُمـت بتقطيـع ديـبرا في مـكانٍ مـا، وقُمـت بتكديـس القطـع في غُرفـة تخزيـن صغـيرة، بـاردة، و...

غُرفة تخزين؟ من أين أتى ذلك؟

الشـعور بالانغـلاق.. الشـعور بـأن الخزانـة الموجـودة في حلبـة الهـوكي كانــت صحيحــة.. الهــواء البــارِد الــذي يهُــب عــلى طــول عمــودي الفقـري.. لمـاذا كان هـذا مُهِـمًّا؟ لمـاذا أسـتمِر في العـودة إلى ذلـك؟ لأنـه بغـض النظـر عـما حَـدَث، كُنـت أعـود؛ أعـود إلى نفـس الذكريـات غـير المنطقيـة، التـي لا يوجـد أي سـبب يُفـسِّر قـدرتي عـلى رؤيتهـا، مـاذا يعنـي ذلـك؟ ولمـاذا ألقـي بـالًا لمعنـاه مـن الأسـاس؟ لأنـه سـواء كان ذلـك يعنـي شـيئًا أو لا، كان كُل مـا عـليّ فعلـه، كان عـليّ أن أجـد مكانًـا يُطابِـق إحسـاس الـبرودة والراحـة، ببسـاطة.. لم يكُـن هنـاك أي طريـق آخـر لأقطعـه. عـليّ أن أجـد الصنـدوق، وهنـاك سـأجد ديـب أيضًـا، وسأكتشـف كذلِـك إمـا أنـه أنـا أو لسـت أنـا، أوليـس هـذا بسـيطًا؟

لا، لم يكُـن الأمـر بسـيطًا عـلى الإطـلاق، كان غبيًّـا، ليـس مـن المنطقـي عـلى الإطـلاق أن أولي أي انتبـاه يذكَـر للرسـائل السريـة الروحيـة التـي تصلنـي مـن أحلامـي، ليـس للأحـلام وجـود في الواقِـع، لم يـترك فريـدي كروجـر أي آثـار مخالِـب عـلى عـالم اليقظـة، لم يكُـن بإمـكاني الخـروج مـن المنـزل والقيـادة دون هـدف وأنـا في حالـة مـن الذهـول النفسي، كُنــت مخلوقًــا رائعًــا ومنطقيًــا، وبــدا الأمــر رائعًــا ومنطقيًــا عندمــا أغلقـت بـاب شـقتي وتوجَّهـت إلى السـيارة، مـا زلـت لا أعـرف إلى أيـن سـأذهَب، لكـن حاجتـي للوصـول إلى هنـاك سريعًـا جذبـت زمـام الأمـر

وقادتني وصولًا إلى منطقة وقوف السيارات، لكن على بُعد عشرين قدمًا من سيارتي، توقَّفت وكأنني اصطدمت بجدارٍ خفي.

كان الضوء الداخلي للسيارة مضاءً.

من المؤكَّد أنني لم أتركه يعمل.. كُنا لا نزال في وضح النهار عندما صففتها، وكان بإمكاني أن أرى أن الأبواب كانت مُحكمة الإغلاق، كان اللص العادي ليترك باب السيارة مفتوحًا تجنبًا لضوضاء إغلاقه.

اقتربت ببطءٍ، لم أكُن مُتأكِّدًا مما كُنت أتوقَّع رؤيته أو إذا ما كُنت أرغب حقًّا في رؤيته، تمكَّنت من رؤية شيء ما في مقعد السائِق من على بُعد خمسة أقدام، دُرت حول السيارة بحذرٍ وأمعنت النظر، توتَّرت أعصابي، اقتربت بشدة، وها هو ذا.

دمية باربي مرة أخرى، كُنت أحصل على مجموعةٍ كبيرةٍ.

كانت هذه ترتدي قبعة بحَّارة صغيرة، قميصًا قصيرًا، وسروالًا ضيقًا وردي اللون، وفي إحدى يديها كانت تُمسِك حقيبة صغيرة مكتوبًا على جانبها (كونارد).

فتحت الباب والتقطت الدمية، جذبت الحقيبة الصغيرة من يد باربي وفتحتها، سقطت منها بعض الأشياء الصغيرة وتدحرجت على لوح الأرضية، التقطتها، بدا كثير الشبه بخاتم صف ديبرا، وبداخِل الحلقة المعدنية حُفرت حروف (د.م)، الأحرف الأولى من اسم ديبرا.

انهرت على المقعد، مُمسكًا بدمية باربي في يديّ المُتعرِّقتين، قلبتها، ثنيت ساقيها، لوَّحت بيديها، ماذا فعلت الليلة الماضية يا ديكستر؟ لقد لعبت بدميتي بينما قام صديقي بتقطيع شقيقتي.

لم أضع أي وقت في التساؤل عن كيفية دخول دمية باربي العاهرة البحرية إلى سيارتي، كانت هذه رسالة واضحة.. أم تراها دليلًا؟ لكن

الأدلـة يجـب أن تقـود إلى شيءٍ مـا، وهـذا الدليـل يبـدو أنـه يقـودني إلى اتجـاهٍ خاطئ.

مـن الواضِـح أن ديبـي بحوزتـه.. لكـن كونـارد؟ كيـف يتَّفِـق ذلـك مـع مسـاحة القتـل البـاردة الضيقـة؟ لا أرى أي رابِـط، لكـن في الحقيقـة.. هنـاك مـكان واحـد فقـط في ميامـي تتَّفِـق معـه.

قُـدت سـيارتي واتجهـت يمينًـا عـبر كوكونـوت جـروف، اضطـررت إلى الإبطـاء أثنـاء عبـوري لموكـبٍ مـن الأغبيـاء السُّـعداء المُتراقصـين بـين المحـلات والمقاهـي، ويبـدو أن لديهـم جميعًـا الكثـير مـن الوقـت والمـال، والقليـل مـن الأدلـة التـي يسـعون خلفهـا، اسـتغرق الأمـر وقتًـا أكـثر مـما ينبغـي لأتجاوزهـم، لكـن كان مـن الصعـب أن أشـعُر بالضيـق في ظـل عـدم معرفتـي إلى أيـن أنـا ذاهِـب، مُتجهًـا نحـو مـكان مـا، عـلى طـول طريـق بايفرونـت درايـف، وصـولًا إلى بريـكل، ومنهـا نحـو وسـط المدينـة، لم أر أي لافتـات ضخمـة مُضيئـة بأسـهم متوهِّجـة وكلـمات مُشـجِّعة لتوجيهـي: (توجَّـه مـن هنـا إلى التشريـح!)، لكننـي اسـتمررت في القيـادة، اقتربـت مـن السـاحة الرياضيـة الترفيهيـة أمريـكان إيرلاينـز أرينـا، ومـن بعدهـا إلى جـسر مـاك آرثـر مُباشرةً، في اللمحـة السريعـة التـي حصلـت عليهـا عندمـا مـررت بجـوار الجانِـب القريـب مـن السـاحة، اسـتطعت أن أرى البنيـة الفوقيَّـة لسـفينة سـياحية ذات مظهـر حكومـي، ليسـت سـفينة كونـارد لاينـز بالطبـع، نظـرت بقلـقٍ نحـو بعـض اللافتـات، كان مـن الواضِـح أنـه لم يتـم توجيهـي إلى سـفينةٍ سـياحيةٍ، مُزدحِمـة للغايـة، بعـددٍ كبـيرٍ مـن المُتطفِّلـين، لكـن في مـكانٍ قريـب، في مـكانٍ مُرتبِـطٍ، والـذي بالطبـع يجـب أن يعنـي.. مـاذا؟ لا مزيـد مـن الأدلـة، أحكمـت النظـر نحـو سـطح السـفينة السـياحية لإذابـة الزحـام، لكـن ديـبرا لم تظهـر في المـكان أو ترقُـص في الممـر.

بحثـت بشـكلٍ أكـبر، بجـوار السـفينة، ارتفعـت رافعـات الشـحن عاليًـا نحـو سـماء الليـل مثـل دعائـم مهجـورة مـن حـرب النجـوم، أبعـد قليـلًا.. أسـفل الرافعـات كانـت أكـوام صناديـق الشـحن بالـكاد مرئيـة في الظـلام، مُصطَفـة في أكـوامٍ كبـيرةٍ غـير مُرتَّبـة، مُبعـثرة عـلى الأرض كـما لـو أن طفـلًا كبـيرًا قـد شـعر بالملـل الشـديد قـد أخـرج صنـدوق لعبـه المـليء بالمُكعبـات، بعـض وحـدات التخزيـن كانـت ثلاجـات، وخلـف هـذه الصناديـق..

للخلف قليلًا لدقيقةٍ يا ولدي العزيز.

مـن الـذي كان يهمـس لي، يتمتـم بـأي كلـمات خافتـة للراكـب المُظلِـم الوحيـد الـذي يقـود ديكسـتر؟ والـذي يجلـس خلفـي الآن؛ والـذي مـلأت قهقهتـه الجافـة المقعـد الخلفـي؟ ولمـاذا؟ ومـا هـي الرسـالة التـي كانـت تتخبَّـط في رأسي الخـالي مـن العقـل والصـدى؟

وحدات تخزين.

بعضها مُبرَّد.

لكـن لمـاذا وحـدات التخزيـن؟ ومـا السـبب المُحتَمـل الـذي قـد يجعلنـي مُهتَـمًّا بكومـة مـن الوحـدات البـارِدة والمُغلَقـة بإحـكامٍ؟

حسنًا، بما أنك صغتها بهذه الطريقة.

هـل يُمكِـن أن يكـون هـذا هـو المـكان، المنـزل المُسـتقبلي لمتحـف مسـقط رأس ديكسـتر؟ مـع معروضـات أصليـة نابِضـة بالحيـاة، بمـا في ذلـك عـرض حـي نـادِر لشـقيقة ديكسـتر الوحيـدة؟

جذبـت عجلـة القيـادة بقـوة، قاطعًـا طريـق سـيارة WMB ضغـط سـائقها عـلى نفـيره بصـوتٍ عـالٍ للغايـة، رفعـت لـه إصبعـي الأوسـط، لمـرةٍ واحـدةٍ كُنـت أقـود سـيارتي كمواطِـن مـن مواطنـي ميامـي،

أسرَعـت عـلى طريـق الجـسر.

كانـت السـفينة السـياحية تُبحِـر عـلى اليسـار، والمنطقـة التـي تحتـوي الصناديـق عـلى اليمـين، مُحاطـة بسـياجٍ يعلـوه سـلك شـائك، قُـدت سيارتي عـلى طريـق الوصـول، أقـاوِم مـدًّا متصاعـدًا مـن اليقـين، وجوقـة مُتضخِّمـة مـما بـدا لي وكأنـه أغـاني الراكِـب المُظلِـم الجامعيـة، كان الطريـق مسـدودًا بكشـك حراسـة قبـل الوصـول للحاويـات، كانـت هنـاك بوابـة مـع العديـد مـن السـادة المُحترمـين مرتـدي الأزياء الرسـمية يتسـكَّعون حولهـا، والتـي لا يُمكِـن عبورهـا دون الإجابـة عـلى بعـض الأسئلة المُحرِجـة لحدٍ مـا، مـن فضلـك يـا حـضرة الضابِـط، أتسـاءل عـن إمكانيـة عبـوري للبحـث في المنطقـة؟ فكـما تـرى.. أعتقـد أن هـذا قـد يكـون مكانـًا جيـدًا لصديـقٍ لي ليقـوم بتقطيـع شـقيقتي.

قطعـت صفًّـا مـن الأقـماع البرتقاليـة في مُنتصـف الطريـق عـلى بُعـد ثلاثـين قدمًـا مـن البوابـة واسـتدرت، عائـدًا مـن حيـث أتيـت، كانـت السـفينة السـياحية تلـوح في الأفـق الآن، اسـتدرت يسـارًا قبـل أن أعـود مـن الجـسر إلى الطريـق الرئيـسي، قُـدت سـيارتي نحـو منطقـة واسـعة بهـا فاصِـل في نهايـة ناحيـة، وسـياج مُتصِـل بسلسـلة مـن الناحيـة الأخـرى، كان السـياج قـد تـمَّ تزيينـه بمـرحٍ بعـدة لافتـات تُهـدِّد بعقـاب أي شـخص يضـل طريقـه إلى المنطقـة، وموقَّعـة مـن قِبَـل الجـمارِك الأمريكيـة.

يقـود السـياج إلى الطريـق الرئيـسي عـلى طـول موقـف سـيارات واسِـع، كان خاليًـا في هـذا الوقـت مـن الليـل، تجوَّلـت في محيطـه ببطءٍ، مُحدِّقًا في الحاويـات الموجـودة عـلى الجانِـب البعيـد، قـد تكـون آتيـة مـن موانـئ أجنبيـة، تحتـاج للمـرور عـبر الجـمارِك، وعبـور رقابـة مُشـدَّدة، حينئـذ سـيكون مـن الصعـب عـلى أي شـخص أن يدخُـل أو يخـرُج مـن

تلك المنطقة، خصوصًا إذا ما كان يحمِل أحمالًا مشكوكًا فيها مكونةً من أجزاء الجسد أو ما شابه، سأحتاج إما أن أجِد منطقة مُختلِفة أو أن أعترِف بأن مُطاردة هذه المشاعِر الغامِضة التي انبثقت من سلسلة من الأحلام الساخرة، والدمية ذات الملابس المُثيرة كانتا مضيعة للوقت، وكُلما أسرعت في الاعتراف بذلك، حظيت بفرصة أفضل في العثور على ديب، لم تكُن هنا، ولا يوجد أي سبب يُحتِّم وجودها هنا.

أخيرًا.. فكرة منطقية، شعرت بقليلٍ من التحسُّن، وبالتأكيد كُنت سأكون مُتعجرفًا بهذا الشأن.. لو لم أر لوحة شاحِنة مألوفة متوقِّفة أمام الجزء الداخلي من السياج مُباشرةً، متوقِّفة بشكلٍ يسمح لي برؤية الحروف المكتوبة على جانبها والتي تكوِّن جُملة (الأخوة ألونزو)، صَدَح حشدي الخاص في قبو عقلي بصوتٍ عالٍ لدرجة أنني سمعت نفسي أبتسِم، لذا ضغطت على الفرامِل وتوقَّفت، كان الولد الذكي بداخلي يطرُق على باب عقلي الأمامي وهو يصرُخ: "أسرع! أسرِع! هيا.. هيا.. هيا!".

لكن في النهاية ظهر الزاحِف واقترب من النافِذة قبل أن يلعقها بلسانه الحَذِر، لذلك جلست لبرهة في السيارة قبل أن أخرج في النهاية.

مشيت نحو السياج ووقفت كما لو أنني مُمثِّل صغير في فيلم عن مُعسكر سجن في الحرب العالمية الثانية، تعلَّقت أصابعي في فجوات السياج، أتوق بشدةٍ إلى ما يقبع خلفه، على بُعد أمتار قليلة مُستحيلة، كُنت مُتأكِّدًا من أنه يجب أن تكون هناك طريقة بسيطة جدًّا لمخلوقٍ ذكي مثلي ليدخُل، لكن ذلك كان مؤشرًا على الحالة التي كُنت أمر بها لدرجة أنني لم أستطِع أن أقوي فكرة

بفكـرة أخـرى، يجـب عـليّ أن أدخُـل، لكننـي لا أسـتطيع، وهكـذا وقفـت هنـاك مُتشـبِّثًا بالسـياج ومُتطلِّعًـا إلى الداخِـل، مُـدرِكًا تمامًـا أن كُل مـا يهـم موجـود بالداخِـل، عـلى بُعـد أمتـار قليلـة، لم أتمكَّـن عـلى الإطلاق مـن إجبـار عقـلي الـذكي عـلى حـل المُشـكلة والتوصُّـل إلى طريقـةٍ للدخـول، يختـار العقـل أوقاتًـا سـيئة للغايـة ليذهَـب في نزهـة، أليـس كذلـك؟

انطلـق منبِّـه مقعـدي الخلفـي، اضطـررت إلى الابتعـاد، والآن.. كُنـت أقِـف بارتيـابٍ في منطقـة حراسـة مُشـدَّدة، وكان الليـل قـد حـل، وكان مـن المؤكَّـد.. أنـه في أي لحظـة الآن سـيهتم أحـد الحُـرَّاس بالشـاب الوسـيم الـذي يُحـدِّق بتركيـز عـبر السـياج، كُنـت سـأضطر للمـضي قدمًـا والعثـور عـلى طريـقٍ مـا بينـما أقـود سـيارتي، تراجعـت مُبتعـدًا عـن السـياج، قبـل أن أرمقـه بنظـرةٍ مُحِبـةٍ أخـيرةٍ، وهنـاك بالضبـط، حيـث لامسـت قدمـاي السـياج، كان القطـع بالـكاد مرئيًـا، تـم قطـع السـياج بمـا يكفـي لعبـور شـخص واحـد، أو عـلى الأقـل نسـخة جيـدة تُشـبهني، كانـت الثنيَّـة مُثبَّتـة في مكانهـا بثِقـل الشـاحِنة المتوقِّفـة كي لا تتأرجَـح وتتخـلى عـن ثباتهـا، لا بُـد وأن هـذا قـد تـمَّ مؤخـرًا، هـذا المسـاء، عنـد وصـول الشـاحِنة.

دعوتي الأخيرة.

تراجعـت ببطـءٍ، شـعرت برسـالة مـن الترحيـب التلقـائي مـع ابتسـامة شـاردة تغطـي وجهـي كقنـاع، مرحبًـا أيهـا الضابِـط، أنـا هنـا مـن أجـل قليـل مـن التمشـية، أمسـية جميلـة للتشريـح.. أليـس كذلـك؟ عـدت إلى سـيارتي بسـعادةٍ، نظـرت مـن حـولي للقمـر الموجـود فـوق الميـاه، صفَـرت بسـعادةٍ وأنـا أركـب سـيارتي وأقودهـا بعيـدًا، لم يبـد أن أي شـخص مُهتـم عـلى الإطـلاق.. باسـتثناء -بالطبـع- جوقـة الغنـاء الموجودة

في رأسي، صففت سيارتي في مكان مُخصَّص لوقوف السيارات بجوار مدخل السفينة السياحية، ربما على بُعد مائة ياردة من بوابتي الصغيرة المصنوعة يدويًّا لتقودني للجنة، تناثرت بضع سيارات في المكان، لكن أحدًا لم يهتم بي.

لكن عندما أوقفت سيارتي، توقَّفت سيارة أخرى بالقُرب مني، سيارة شيفروليه زرقاء فاتحة تجلس امرأة خلف عجلة قيادتها، جلست ساكنًا للحظةٍ، وهكذا فعلَت، فتحت بابي وخرجت منها.

وهكذا فعلت المُحقِّقة لاجويرتا.

الفصل الخامس والعشرون

لطالما كُنت جيدًا للغاية في المواقِف الاجتماعية المُحرِجة، لكن يجب أن أعترِف أن هذا الموقِف جَعَلَني في حيرةٍ من أمري، لم أكُن أعرِف ماذا أقول، وللحظةٍ.. حدَّقت في لاجويرتا مثلما حدَّقت بي دون أن ترمش بعينيها مُكشِّرةً عن أنيابها قليلًا، مثل قط مُفترِس يحاوِل أن يُقرِّر إذا ما كان سيلعَب معك أو سيلتهمك، لم أستطِع أن أفكِّر في أي تعليق لا يبدأ بلعثمة، بينما بدت هي مُهتمَّة بمُراقبتي فحسب، لذلك وقفنا هناك للحظةٍ طويلةٍ.

أخيرًا.. كسرت حاجز الصمت بمزاحٍ خفيفٍ.

سألت وهي تومئ برأسها نحو السياج الموجود على بُعد مائة ياردة: "ماذا يوجد هناك؟".

قُلت في تودُّد على أمل ألا تُلاحِظ ما قالته للتو: "لماذا أيتها المُحقِّقة! ماذا تفعلين هنا؟".

"قُمت بتتبّعك، ماذا يوجد هناك؟".

قُلت: "هناك؟".

أعلم أنه تعليق غبي للغاية، لكن بصراحة.. كانت تعليقاتي الذكية قد نفدت، ولم أتوقَّع أن أتوصَّل لأي شيء جيد في ظل هذه الظروف.

أمالَت رأسها قليلًا وهي تُخرِج لسانها، لعقت شفتها السُّفلية، ببطء إلى اليسار، اليمين، اليسار، قبل أن تدخله إلى فمها مرة أخرى، ثم أومأت برأسها وهي تقول: "لا بد وأنك تعتقِد أنني غبية".

بالطبع خطرت ببالي هذه الفكرة، مرارًا وتكرارًا، لكن لم يبد من الصحيح قول ذلك، أكمَلَت حديثها قائلة: "لكن عليك أن تتذكَّر.. أنا مُحقِّقة ماهرة، وهذه ميامي، كيف تعتقِد أنني وصلت لهذه المكانة؟".

ابتسمت ابتسامة مُجاملة وأنا أقول: "بمُساعدة من مظهرك؟".

لا ضير أبدًا من مجاملة امرأة، ابتسمت لتظهر لي أسنانها الجميلة، التي تبدو حتى أكثر إشراقًا هنا على ضوء المصابيح مُكافِحة الجريمة الموجودة في منطقة وقوف السيارات، قالت: "هذا جيد".

لوت شفتيها في نصف ابتسامة غريبة جوَّفت وجنتيها، مما جعلها تبدو أكبر سنًّا وهي تقول: "اعتدت السقوط في فخ هذا النوع من الهراء عندما اعتقدت أنك مُعجب بي".

قُلت بشغفٍ بالغٍ: "أنا مُعجَب بكِ أيتها المُحقِّقة".

لكن لم يبد أنها تسمعني، أكملت حديثها قائلةً: "لكن بعد ذلك دفعتني على الأرض كما لو كُنت خنزيرةً من نوعٍ ما، وتساءلت.. ما الذي أخطأت فيه؟ هل لأنفاسي رائحة كريهة؟ قبل أن أدرِك الأمر، لم يكُن بي أي خطأ، إنه أنت.. هناك شيء خاطئ بشأنك".

بالطبع كانت مُحِقَّة، لكن رغم ذلك كان من المؤلِم أن أسمعها تقول هذا، قُلت: "أنا لست.. ماذا تقصدين؟".

هزَّت رأسها ثانيةً وهي تقول: "لطالما أراد الرقيب دوكس قتلك، وهو لا يعرف لذلك سببًا، كان يجب أن أستمِع إليه، هناك شيء خاطئ بشأنك، وبطريقةٍ ما.. أنت مُتَّصِل بهذه الأمور اللعينة".

"مُتَّصِل.. ماذا تقصدين؟".

هذه المرة شابت ابتسامتها بعض البهجة الوحشية، تسلَّلت

القليـل مـن اللكنـة ليصبـغ حديثهـا وهـي تقـول: "وفِّـر بعـض هـذا التظاهُـر اللطيـف مـن أجـل مُحاميـك، وربمـا مـن أجـل القـاضي، لأننـي أعتقِـد أننـي أمسـكت بـك الآن".

نظـرت لي لبرهـةٍ، نظـرة حـادة قاسـية، التمعـت عيناهـا الداكنتـان، بـدت غـير بشريـة مثـلي تمامًـا، وهـو مـا جعـل قشـعريرة صغـيرة تمـر عـبر مؤخـرة عنقـي، هـل قلّلـت مـن شـأنها حقًّـا؟ هـل هـي حقًّـا بهـذه البراعـة؟

"ولهذا تتبَّعتني؟".

كشـفت عـن المزيـد مـن أسـنانها وهـي تقـول: "أجـل، هـذا صحيـح، لمـاذا تتفحَّـص السـياج؟ مـاذا يوجـد بالداخِـل؟".

أنـا مُتأكِّـد أنـه في ظـل الظـروف العاديـة كُنـت سـأفكِّر في هـذا مـن قبـل، لكننـي أدافِـع عـن نفـسي بالإكـراه، لم يخطـر الأمـر ببـالي حتـى هـذه اللحظـة حقًّـا، لكـن عندمـا حـدث هـذا، كان مثـل ضـوء صغـير مـؤلم يومـض، سـألتها: "مـتى بـدأتِ بتتبُّعـي؟ في المنزل؟ في أي وقت؟".

"لماذا تستمِر في تغيير الموضوع؟ هناك شيء ما، أليس كذلك؟".

"مـن فضلـك أيتهـا المُحقِّقـة، بإمـكان هـذا أن يكـون مهـمًّا للغايـة، أيـن ومتـى بـدأتِ في تتبُّعـي؟".

فحصتنـي لدقيقـةٍ، وبـدأت أدرِك أننـي في الواقِـع قـد قُمـت بالتقليـل مـن شـأنها حقًّـا، هـذه المـرأة تتمتَّـع بالكثـير مـن الحنكـة السياسـية، ويبـدو أن لديهـا حقًّـا شـيئًا إضافيًّـا، مـا زلـت غـير مُقتنِـع بـأن أيًّـا مـن هـذا كان ذكاءً، لكنهـا كانـت تتحـلى بالصـبر، وفي بعـض الأحيـان.. كان هـذا أكـثر أهميـةً مـن الـذكاء في مجـال عملهـا، كانـت عـلى اسـتعداد أن تنتظِـر وتراقبنـي، وأن تظـل تُكـرِّر أسـئلتها حتـى تحصـل عـلى إجابـة،

وبعـد ذلـك.. كانـت عـلى الأرجَـح سـتطرَح نفـس السـؤال عـدة مـرات، تنتظِـر وتُراقِـب لقليـلٍ مـن الوقـت، لـترى مـاذا سـأفعل، في العـادة.. يُمكِننـي خداعهـا، لكـن لـن يُمكِننـي التفـوُّق عليهـا، ليـس الليلـة، لـذا تظاهـرت بالتواضُـع وأنـا أكـرِّر قـولي: "مـن فضلـك أيتهـا المُحقِّقـة».

أخرجـت لسـانها مـرة أخـرى، في النهايـة.. أدخلتـه مـرة أخـرى وهـي تقـول: "حسـنًا، عندمـا اختفـت شـقيقتك لعـدة سـاعات دون أن تَـرِد أي معلومـات عـن مكانهـا، بـدأت في التفكـير أنهـا عـلى وشـك القيـام بـشيءٍ مـا، وأنـا أعلَـم أنهـا لا تسـتطيع القيـام بـأي شيء بمُفردهـا، فـإلى أيـن سـتذهب؟".

رفعـت حاجبهـا في مواجهتـي، ثـم واصلـت في لهجـة المُنتـصِرة: "إلى منزلـك، هـذا هـو المـكان! لتتحـدَّث معـك!".

أمالـت رأسـها وهـي مـسرورة مـن اسـتنتاجها المنطقـي وهـي تسـتكمِل: "لذلـك فكَّـرت في أمـرك لوهلـةٍ، كيـف تظهـر دائمًـا وتنظُـر، حتـى عندمـا لا تكـون مُضطـرًا لذلـك، كيـف تكشِـف أمـر هـؤلاء القتلـة المُتسلسـلين دومًـا.. باسـتثناء هـذا؟ وبعـد ذلـك.. كيـف حاولـت خداعـي بهـذه القائمـة الغبيـة، لتجعلنـي أبـدو غبيـة، تدفعنـي فـوق الأرض اللعينـة».

بـدا وجههـا حـادًّا، وبـدت أكـبر في السـن لوهلـةٍ، ثـم ابتسـمت وهـي تقـول: "قُلـت شـيئًا بصـوتٍ عـالٍ، في مكتبـي، فقـال الرقيـب دوكـس: لقـد أخبرتـكِ بشـأنه، لكنـكِ لم تسـتمعي لي، وفجـأة.. رأيـت وجهـك الوسـيم في كُل مـكان لم يجـب أن تكـون موجـودًا فيـه، لـذا ذهبـت إلى منزلـك أيضًـا".

"متى؟ في أي وقت لاحظتِ ذلك؟".

قالـت: "الآن، لكننـي كُنـت هنـاك لعشريـن دقيقـة فقـط، قبـل أن تظهـر وتلعـب بدميـة بـاربي الشـاذة الخاصـة بـك قبـل أن تقـود سـيارتك إلى هنـا".

عـشرون دقيقـة.. إذا لم تكُـن موجـودة هنـاك في الوقـت المُناسِـب لـترى مـن أو مـا الـذي خَطَـف ديـبرا، وربمـا كانـت تقـول الحقيقـة، وببسـاطةٍ.. تبعتنـي لـترى.. لـترى مـاذا؟

"لكن لماذا تتبعينني من الأساس؟".

رفعـت كتفيهـا وهـي تقـول: "أنـت مُتَّصِـل بهـذا الأمـر، ربمـا لم تفعلـه، لا أعـرِف، لكننـي سأكتشِـف الأمـر، وبعـض مـا سأكتشـفه سـيظل مُرتبِطًا بـك، مـاذا يوجـد هنـاك؟ في هـذه الصناديـق؟ هـل سـتخبرني أم أننـا سـنقِف هنـا طـوال الليـل؟".

وبطريقتهـا الخاصـة.. كانـت قـد صبَّـت جـام غضبهـا عـليّ، ليـس بإمكاننـا الوقـوف هنـا طـوال الليـل، ولـن نفعـل، كُنـت متأكِّـدًا مـن عـدم قدرتنـا عـلى الوقـوف هنـا لفـترةٍ أطـول قبـل أن تحـدُث أشـياء رهيبـة لديـبرا، إن لم تكُـن قـد حدثـت بالفعـل، علينـا أن نذهَـب، الآن، لنجـده ونوقفـه، لكـن كيـف سـأفعل ذلـك ولاجويرتـا معـي طـوال الرحلـة؟ شـعرت وكأننـي مذنِّـب بذيـلٍ لا أرغـب بـه.

أخـذت نفسًـا عميقًـا، أخذتنـي ريتـا ذات مـرة إلى ورشـة للتوعيـة الصحيـة والتـي شـدَّدت عـلى أهميـة الوصول للراحـة بالتنفُّـس بعُمـقٍ، أخـذت نفسًـا عميقًـا، لكننـي لم أشـعُر بـأي راحـة بعـده، لكـن عـلى الأقـل جعـل عقـلي يُفكِّـر عـلى المـدى القريـب، وأدركـت أننـي سـأفعل شـيئًا نـادرًا مـا فعلتـه مـن قبـل.. قـول الحقيقـة، كانـت لاجويرتـا لا تـزال تحـدِّق إليّ، في انتظـار إجابـة.

أخـبرت لاجويرتـا: "أعتقِـد أن القاتِـل هنـاك، وأعتقـد أن الضابطـة مورجـان في حوزتـه".

راقبتنـي لوهلـةٍ دون أن تتحـرّك قبـل أن تقـول في النهايـة: "حسـنًا، لذلـك أتيـت ووقفـت بجـوار السـياج لتنظـر إليـه؟ لأنـك تُحـب أختـك حبًّـا جـمًّا للدرجـة التـي تجعلـك ترغـب في المُشـاهدة؟".

"لأننـي أردت الدخـول، كُنـت أبحـث عـن طريقـة للدخـول عـبر السـياج".

"لأنك نسيت أنك تعمل لدى الشُّرطة؟".

حسـنًا، هـا هـي ذي.. بالطبـع، كانـت تُشـير بالفعـل إلى المُشـكلة الحقيقيـة، وتوصَّلـت إلى كُل هـذا بنفسـها أيضًـا، لم يكُـن لـديّ إجابـة جيـدة عـلى ذلـك، ويبـدو أن مسـألة قـول الحقيقـة لا تنجَـح أبـدًا دون بعـض الكراهيـة المُربِكـة، قُلـت: "أنـا فقـط.. أردت أن أكـون مُتأكِّـدًا، قبـل أن أحـدِث ضجـة كبـيرة".

أومـأت برأسـها وهـي تقـول: "حسـنًا، هـذا جيد حقًّـا، لكنني سـأخبرك بمـا أعتقـده، إمـا أنـك فعلـت شـيئًا سيئًا، أو أنـك تعـرف بشـأنه، وإمـا أنـك تخفيـه، أو أنـك أردت أن تكتشـفه بنفسـك".

"بنفسي؟ لكن لماذا سأريد ذلك؟".

هـزَّت رأسـها لتُظهِـر مـدى غبـاء ذلـك وهـي تقـول: "كي تحظـى بـكُل التقديـر، أنـت وشـقيقتك، أتعتقِـد أننـي لم أفهَـم ذلـك؟ أخبرتـكَ أننـي لسـت غبيـة".

قُلت: "أنا لست السفَّاح الذي تبحثين عنه أيتها المُحقِّقة".

تركـت نفـسي تحـت رحمتهـا، وأعتقِـد الآن أن لديهـا مـن الرحمـة أقـل مـما لـديّ، قبـل أن أقـول: "لكننـي أعتقِـد أنـه هنـاك، في واحـدة مـن

وحـدات التخزيـن تلـك".

لعقت شفتيها وهي تسألني: "لماذا تعتقِد ذلك؟".

تـردَّدت، لكنهـا ظلَّـت تُحـدِّق بي بعينيهـا الزاحفتـين اللتـين لا ترمشـان، وبقـدر مـا جعلنـي ذلـك أشـعر بعـدم الراحـة، إلا أنـه كان عـليّ إخبارهـا بجـزءٍ آخـرٍ مـن الحقيقـة، أومـأت نحـو شـاحنة الإخـوة ألونـزو المصفوفة داخـل السـياج وأنـا أقـول: "هذه شـاحنته".

في النهايـة رمشـت، تركتنـي عيناهـا للحظـةٍ، بـدت وكأنهـا تهيـم بعيـدًا في مــكانٍ عميــقٍ، شــعرها؟ مكياجهــا؟ مســيرتها المهنيــة؟ لا أســتطيع المعرفـة.

لكـن كان هنـاك الكثـير مـن الأسـئلة المُحرِجـة التـي قـد يطرحهـا مُحقِّـق بـارِع هـا هنـا: كيـف عَرِفـت أنهـا شـاحنته؟ كيـف وجدتهـا هنـا؟ لمـاذا كُنـت مُتأكِّـدًا للغايـة مـن أنـه لم يـترُك الشـاحنة هنـا ويذهـب لمـكانٍ آخـر؟ لكـن في النهايـة.. لم تكُـن لاجويرتـا مُحقِّقـة بارعـة؛ أومـأت برأسـها ببسـاطةٍ، لعقـت شـفتيها مـرة أخـرى، وقالـت: "كيـف سـنجده هنـاك وسـط كُل هـذه الوحـدات؟".

مـن الواضِـح أننـي قلَّـت مـن شـأنها حقًّـا، لقـد تحوَّلـت مـن (أنـت) إلى (نحـن) في لحظـة، سـألتها: "ألا ترغبـين في طلـب الدعـم؟ هـذا رجـل خطـير للغايـة".

أعـترِف أننـي كُنـت أخدعهـا فقـط، لكنهـا أخـذت الأمـر عـلى محمـل الجـد بشـدةٍ، قالـت: "إن لم أمسِـك هـذا الرجـل بنفـسي، ففـي خـلال أسـبوعين سـأكون ضابطـة مـرور، لـديّ سـلاحي، لـن يهـرب أي شـخص منـي، سـأطلب الدعـم حـين أمسِـك بـه".

نظـرت لي دون أن ترمــش قبــل أن تقــول: "وإن لم يكُــن هنــاك،

سأسـلِّمك لهـم".

بـدا الأمـر وكأنهـا فكـرة جيـدة، سـألتها: "هـل بإمكانـكِ أن تجعلينـا نعـبر البوابـة؟".

ضحكـت وهـي تقـول: "بالطبـع بإمـكاني، لـديّ شـارتي، والتـي سـتجعلنا نعـبر إلى أي مـكان، لكـن مـاذا بعـد؟".

كان هـذا هـو الجـزء الصعـب، إذا مـا نجحَـت في القيـام بالأمـر، فسـأكون حـرًّا في الذهـاب للمنـزل، قُلـت: "سـننفصِل ونبحـث عنـه حتـى نجـده".

نظـرت إليّ، ومـرة أخـرى.. رأيـت في وجههـا هـذا الـشيء الـذي رأيتـه لأول مـرة عندمـا هبطـت مـن سـيارتها، نظـرة الحيـوان المُفـترِس الـذي يـزِن ضحيتـه، يتسـاءل متـى وأيـن سـيضرَب، وعـدد المخالِـب التـي سيسـتخدمها، كان الأمـر رهيبًـا، وجـدت نفـسي أعجَـب بالمـرأة، قالـت في النهايـة وهـي تُشـير برأسـها نحـو سـيارتها: "حسـنًا، اركَـب".

ركِبـت، قـادت سـيارتها عائـدةً إلى الطريـق، ومنـه نحـو البوابـة، حتـى في هـذه السـاعة كان هنـاك القليـل مـن الزحـام المـروري، بـدا أن مُعظمهـم مـن أوهايـو ويبحثـون عـن سـفينتهم السـياحية، لكـن عـددًا قليـلًا منهـم انتهـى بـه الأمـر أمـام البوابـة، حيـث أرسَـلَهم الحُـرَّاس مـرة أخـرى إلى الطريـق الـذي أتـوا منـه، قطعـت المُحقِّقـة لاجويرتـا الطريـق أمامهـم جميعًـا، دفعـت سـيارتها الشـيفروليه الضخمـة نحـو مُقدِّمـة الصـف، لم تكُـن مهارتهـم في القيـادة في الغـرب الأوسـط تُضاهي مهـارة امـرأة كوبيـة في ميامـي تتمتَّـع بتأمـينٍ صحـي جيـد وتقـود سـيارة لا تهتـم لأمرهـا، كان هنـاك دوي مـن الأبـواق مـن حولهـا وبعـض الصرخـات المكتومـة، لكننـا كُنـا بالفعـل أمـام كُشـك الحراسـة.

انحنـى الحـارس، وكان رجـلًا نحيـلًا أسـود البـشرة ورياضيًـا، قـال: "أيتهـا السـيدة، لا يُمكِـن لـكِ...".

رفعـت شـارتها وهـي تقـول بصرامـة سـلطوية لدرجـة أنني كُنـت سـأقفِز مـن السـيارة لأفتـح البوابـة بنفـسي: "شُرطـة، افتَـح البوابـة".

لكـن الحـارس تجمَّـد، أخـذ نفسًـا مـن فمـه ونظـر إليهـا بعصبيـةٍ مـن الكُشـك قبـل أن يقـول: "مـاذا تُريديـن مـن...".

هزَّت شارتها وهي تقول: "افتح البوابة أيها العامِل".

في النهاية أفاق من تجمُّده وهو يقول: "دعيني أرى الشارة".

رفعتهـا لاجويرتـا بهـدوء، تقـدَّم خطـوةً إضافيـةً لينظُـر إليهـا، عَبَـسَ وهـو لا يجـد شـيئًا ليعـترِض عليـه، قـال: "هـل يُمكِنـكِ أن تخبرينـي بمـا تريديـن مـن الداخِـل؟".

"يُمكننـي أن أخـبرَك أنـك إن لم تفتَـح البوابـة خـلال ثانيتـين، فسـأقوم بوضعِـك في صنـدوق سـيارتي، وسـآخذك إلى مُنتصـف المدينـة إلى زنزانـة مليئـة براكبـي الدراجـات المثليـين، وبعـد ذلـك سـأنسى أيـن وضعتـك".

وقف الحارِس وهو يقول: "أحاول المُساعدة فحسب".

قبل أن يصيح من فوق كتفه قائلًا: "تافيو.. افتح البوابة!".

فُتِحـت البوابـة، وحرَّكـت لاجويرتـا سـيارتها للداخِـل وهـي تقـول: "ابـن العاهـرة لديـه شيء مـا يحـدُث، ولا يريـدني أن أعلَـم بشـأنه".

كانـت هنـاك إثـارة في صوتهـا ممزوجـة بالحـماس المُتزايـد، نظـرت لي وهـي تسـأل: "لكننـي لا أهتـم بالتهريـب هـذه الليلـة، أين سـنذهب؟".

قُلـت: "لا أعـرِف، أعتقِـد أننـا يجـب أن نبـدأ مـن حيـث تَـرَك شـاحنته".

أومـأت برأسـها، وأسرعـت تقطَـع الطريـق بـين وحـدات التخزيـن، قالـت: "إذا مـا كان لديـه جُثـة ليحملهـا، فمـن المُحتمَـل أنـه أوقَـف سـيارته بالقُـرب مـن المـكان الـذي سـيتجه إليـه".

هـدأت مـن السُّرعـة عندمـا اقتربنـا مـن السياج، تحرَّكـت السيارة بهـدوء عـلى بُعـد خمسـين قدمًـا مـن الشـاحنة قبـل أن تتوقَّـف، قالـت وهـي تـضرَب ناقـل الحركـة بيدهـا وتخـرُج مـن السـيارة: "دعنـي ألقـي نظـرة عـلى السـياج".

تبعتهـا، خَطَـت لاجويرتـا في شيءٍ لم تُحبَّـه، رفعـت قدمهـا وهـي تنظـر إلى حذائهـا، قالـت: "اللعنـة عـلى ذلـك".

تحرَّكـت لأقـف بجوارهـا، شـعرت بضربـات قلبـي تـزداد وتتسـارَع، تحرَّكـت نحـو الشـاحنة، تجوَّلـت حولهـا، جرَّبـت فتـح الأبـواب، كانـت مُغلقـة، وعـلى الرغـم مـن وجـود نافذتـين صغيرتـين خلفيتـين، فإنـه تـم طلاؤهـما مـن الداخِـل، وقفـت عـلى المَصد وحاولـت إلقـاء نظـرة عـلى أي حـال، لم تكـن هنـاك ثغـرات في الطـلاء، لم يكُـن هنـاك شيء يُمكِـن رؤيتـه عـلى هـذا الجانِـب، لكننـي جلسـت القرفصـاء عـلى أي حـال ونظـرت إلى الأرض، شـعرت بلاجويرتـا تنزلِـق خلفـي بـدلًا مـن سـماعها، سـألتني بينـما أقِـف: "مـاذا وجـدت؟".

قُلت: "لا شيء، النوافِذ الخلفية مطلية من الداخِل".

"هل تستطيع أن ترى المُقدِّمة؟".

تحرَّكـت نحـو مُقدِّمـة الشـاحنة، كانـت خاليـة مـن أي أدلـة بدورهـا، داخـل الزجـاج الأمامـي، تـم فتـح زوج مـن واقيـات الشـمس التـي تحظـى بشـعبيةٍ في فلوريـدا عـلى لوحـة القيـادة، لتحجُبـا أي رؤيـة مُحتَمَلـة للكابينـة، تحرَّكـت مـن اليمـين إلى اليسـار، لكننـي لم أجـد أي

فجـوات في واقيـات الشـمس، قُلـت وأنـا أهبـط: "لا شيء".

قالـت لاجويرتـا وهـي تنظُـر لي بعينـين ضيّقتـين، وهـي تُـبرِز طـرف لسـانها قبـل أن تقـول: "حسـنًا، بـأي طريـق تُريـد الذهـاب؟".

هـذا الطريـق، همـس بهـا شـخص مـا مـن أعـماق عقـلي، مـن هنـا، ألقيـت نظـرة خاطِفـة نحـو اليمـين، حيـث أشـار الخيـالي الضاحِـك قبـل أن أنظـر إلى لاجويرتـا، التـي كانـت تُحـدِّق بي بأعـين شرسـة تتضـوَّر جوعًـا دون أن ترمـش، قُلـت: "سـأذهب إلى اليسـار، وأدور مـن حولهـا، قابلنـي في مُنتصـف الطريـق".

قالـت لاجويرتـا بابتسـامةٍ واسـعةٍ: "حسـنًا، لكننـي سـأذهب نحـو اليسـار".

حاولـت أن أبـدو مُتفاجئًـا وغـير سـعيد، وأفـترض أننـي تمكَّنـت مـن العثـور عـلى تعبـير وجـه معقـول، لأنهـا راقبتنـي وهـي تومـئ، قبـل أن تكـرِّر قولهـا وهـي تتحـرّك نحـو الصـف الأول مـن حاويـات الشـحن المُكدَّسـة: "حسـنًا".

كُنـت وحـدي الآن مـع صديقـي الداخـلي الخجـول، مـاذا الآن؟ بعـد أن خدعـت لاجويرتـا لتـترك لي الطريـق الأيمـن، مـاذا سـأفعل بـه؟ فبعـد كُل شيء.. ليـس لـديّ أي سـبب للاعتقـاد بـأن هـذا طريـق أفضـل مـن الأيـسر، أو أفضـل مـن الوقـوف بجانـب السـياج للقيـام ببعـض السـحر، لا يوجـد سـوى صخـب داخـلي هامِـس ليوجِّهنـي، لكـن هـل هـذا كافٍ حقًّـا؟ عندمـا تكـون خاليًـا مـن المشـاعِر كـما كُنـت دائمًـا، دائمًـا مـا تبحـث بشـكلٍ طبيعـي عـن تلميحـات منطقيـة لتوجيـه مسـار أفعالـك، وبطبيعـة الحـال.. تتجاهَـل الـصراخ الـلا عقـلاني وغـير الموضوعـي للأصـوات الموسـيقية الصاخِبـة التـي تـأتي مـن قـاع عقلـك والتـي تحـاول أن ترسـلك لتترنَّـح عـلى جانِـب الطريـق، بغـض النظـر

عـن مـدى إلحاحهـم في ضـوء القمـر المتمـوِّج، أمـا بالنسـبة للبقيـة.. فتفاصيـل المكان الـذي يجـب أن أذهَـب إليـه الآن.. نظـرت حـولي، عـلى طـول صفـوف الحاويـات الطويلـة غـير المُنتظِمـة، بعيـدًا عـن الجانِـب الـذي تقدَّمـت إليـه لاجويرتـا، كانـت هنـاك عـدة صفـوف مـن قاطـرات الشـاحنات ذات الألـوان الزاهيـة، وأمامـي.. كانـت حاويـات الشـحن مُمتـدَّة إلى اليمـين.

فجـأة.. أصبحـت غـير مُتأكِّـد، لم يُعجبنـي هـذا الشـعور، أغلقـت عينـيّ، وفي اللحظـة التـي فعلـت فيهـا ذلـك، تحـوَّل الهمـس لسـحابةٍ مـن الأصوات، ودون أن أدري لمـاذا.. وجـدت نفسـي أتحـرَّك نحـو فـوضى مـن وحـدات التخزيـن القريبـة مـن المياه، لم يكُـن لـديّ أي فكـرة عـن سـبب كـون هـذه الحاويـات مُختلِفـة أو أفضـل أو أن هـذا الاتجـاه كان أفضـل وأكـثر كفـاءةً، تحرَّكـت قدمـاي ببسـاطةٍ وتبعتهـما، بـدا الأمـر وكأنهـما تتبعـان مسـارًا لا يُمكِـن أن تـراه إلا أصابـع الأقـدام فقـط، أو كـما لـو كان هنـاك نمـط مُقنِـع تتغنـى بـه الهمسـات، ترجمتـه قدمـاي وجرَّتنـي نحـوه.

وبينـما كانتـا تتحـرَّكان ازداد الصـوت بداخـلي، هديـر خافِـت صامِـت، يجذبنـي أسرع مـن قدمـيّ، يسـحبني بشـكلٍ أخـرق في الطريـق المُتعـرِّج بـين الصناديـق بدفعـاتٍ قويـةٍ غـير مرئيـة، ومـع ذلـك.. في الوقت نفسـه بـدأ صـوت جديـد، صغـير ومُعقـول، يدفعنـي إلى الخلـف، يُخـبرني أننـي لا أريـد أن أكـون هنـا مـن بـين كُل الأماكِـن الأخـرى، يـصرُخ في وجهـي أن أهـرَب، أن أذهـب للمنـزل، أن أبتعِـد عـن هـذا المكان، لكنـه لم يكُـن منطقيًّـا أكـثر مـن باقـي الأصـوات، كُنـت أجـذَب للأمـام وأدفَـع للخلـف في الوقـت ذاتـه بقـوةٍ للدرجـة التـي لم تجعـل قدمـيّ تعمـلان بشـكلٍ صحيـحٍ، تعـثَّرت وسـقطت عـلى وجهـي عـلى أرضٍ صخريـةٍ صلبـةٍ،

نهضت على ركبتيّ، بفمٍ جافٍ وقلب ينبُض بقوةٍ، توقَّفت لأفحص بإصبعي مزقًا في قميصي الداكرون الجميل، دفعت طرف إصبعي عبر الفتحة ولوحت به لنفسي، مرحبًا ديكستر، إلى أين تذهَب؟ مرحبًا يا سيد إصبع، لا أعرف، لكنني أكاد أصل، أسمع أصدقائي ينادونني.

وهكذا وقفت فجأة على قدمين غير مُستقرتين وأنصت السمع، سمعته بوضوح الآن، حتى وعيناي مفتوحتان، وشعرت به بقوةٍ لدرجة أنني لم أستطِع حتى المشي، ووقفت لدقيقةٍ، انحنيت على واحدة من الحاويات، فكرة واقعية للغاية، كما لو أنني أحتاج لواحدةٍ، وُلِد شيء بغير اسمٍ في هذا المكان، شيء عاش في أحلك حفرة مُخبَّأة في الشيء الذي كان ديكستر، وللمرة الأولى التي أستطيع تذكُّرها.. أجد نفسي خائفًا، لا أريد أن أكون هنا حيث تقبَع أشياء رهيبة، ومع ذلك.. كان عليّ أن أكون هنا لأجد ديبرا، كنت أتمزَّق إلى نصفين بسبب لعبة شد الحبل غير المرئية، شعرت وكأنني مُلصَق لسيجموند فرويد الطفل، أردت العودة إلى المنزل والذهاب للفراش.

لكن القمر حلَّق في السماء المُظلِمة من فوقي، وكان الماء يعوي على طول امتداده، ونسيم الليل المُعتدِل يصرُخ فوقي مثل قطيع من المشعوذين، يجبر قدميّ على التقدُّم للأمام، ويُضخِّم صوت الغناء بداخلي مثل جوقة ميكانيكية عملاقة، تحُثُّني على فعل ذلك، تُذكِّرني بكيفية تحريك قدميّ، تدفعني على طول صفوف الحاويات، ازدادت دقَّات قلبي وتسارعت، وارتفع صوت لهاثي القصير بصوتٍ عالٍ، وللمرة الأولى التي أستطيع تذكُّرها.. شعرت بالضعف، الدوار، والغباء.. مثل مخلوق بشري، مثل إنسان صغير جدًّا وعاجِز، ترنَّحت على طول الطريق الذي بدا مألوفًا على أقدام

مُرتعِـدة حتـى لم أعُـد أسـتطيع الترنُّـح أكـثر مـن ذلـك، ومـرة أخـرى.. اسـتندت بذراعـي وأنـا أنحنـي نحـو حاويـة، حاويـة مُثبَّـت بهـا مُكيِّـف هـواء، يعـوي بصـوتٍ عـالٍ يختلِـط بـصراخ الليـل، تـدق الأصـوات في رأسي بـدويٍ صاخـبٍ لدرجـة أننـي بالـكاد كُنـت قـادرًا عـلى الرؤيـة، وبينـما كُنـت أسـتنِد إلى الحاويـة.. فُتِـح بابهـا.

تمـت إضـاءة الصنـدوق مـن الداخـل بـزوجٍ مـن مصابيـح الطـوارئ التـي تعمـل بالبطاريـة، في مواجهـة الجـدار الخلفـي كانـت هنـاك طاولـة عمليـات مؤقَّتـة مصنوعـة مـن صناديـق التعبئـة.

وتقبع دون حراك فوق الطاولة.. شقيقتي العزيزة ديبرا.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل السادس والعشرون

لبضع ثوانٍ.. لم يبد التنفُّس أمرًا ضروريًّا، نظرت فحسب، شرائِط طويلة وملساء من الشريط اللاصِق ملفوفة على ذراعي وساقي أختي.

كانت ترتدي بنطالًا ذهبيًّا لامعًا وبلوزة حريرية ضيِّقة مربوطة فوق سرَّتها، شعرها مشدود للخلف، عيناها مُتسعتان بشكلٍ غير طبيعي، تتنفَّس من أنفها بسُرعة، لأن فمها كان مُغلقًا بشريطٍ لاصِقٍ يمُر فوق شفتيها نزولًا إلى الطاولة للحفاظ على رأسها ثابتًا.

حاولت التفكير في شيءٍ ما لأقوله، لكنني أدركت أن فمي كان جافًّا للغاية لأتمكَّن من الحديث، فاكتفيت بالنظر، بادلتني ديبرا النظر، كان هناك الكثير من الأشياء في عينيها، لكن الخوف كان أوضحها، وهو الأمر الذي جعلني أتجمَّد هناك في المدخَل، لم أر هذه النظرة عليها من قبل، ولم أكُن مُتأكِّدًا ماذا من المُفترَض أن أظن بشأنها، تقدَّمت نصف خطوة نحو ديبرا، جفلت رغم الشريط اللاصِق، خوفًا؟ بالطبع.. لكن خوفًا مني؟ أنا هنا كي أنقِذها، على الأرجَح، لماذا تخاف مني؟ إلا إذا..

هل فعلت ذلك؟

ماذا لو وَصَلت ديبرا إلى شقتي خلال قيلولتي الصغيرة هذا المساء، كما كان مُقرَّرًا، ووجدت الراكِب المُظلِم هو الذي يتولى قيادة ديكستر؟ وبالتالي لن أعرِف أنني أتيت بها إلى هنا وقُمت بربطها على الطاولة بشكلٍ مُثيرٍ للإعجاب دون أن أدرِك ذلك أو

أعيـه، وهـو الأمـر الـذي لا يبـدو منطقيًّـا بطبيعـة الحـال، قبـل أن أسرع عائـدًا إلى منـزلي لأتـرك دميـة بـاربي لنفـسي، ثـم أعـود للطابِـق العلـوي وأنـام عـلى الفـراش، لأسـتيقِظ كنفـسي مـرة أخـرى، يبـدو الأمـر كـما لـو أننـي أركـض في سـباق مـن مراحـل القتـل؟ مُسـتحيل: لكـن..

كيف عرفت أنه يجب عليّ القدوم إلى هنا؟

هـززت رأسي؛ مـن المُسـتحيل أن أقـوم باختيـار هـذا الصنـدوق البـارِد مـن بـين جميـع الأماكِـن في ميامـي، إلا إذا كُنـت أعـرِف مكانـه بالفعـل، وهـو مـا فعلـت، الطريقـة الوحيـدة التـي مـن المُمكِـن أن يبـدو بهـا هـذا مُمكِنًـا، هـي إذا مـا كُنـت هنـا مـن قبـل، وإن لم يكُـن الليلـة مـع ديـب، فأيـن ومـع مـن؟

سـمعت صوتًـا يقـول: "كُنـت مُتأكِّـدًا تقريبًـا أن هـذا هـو المـكان الصحيـح".

كان شـبيهًا بصـوتي لدرجـة أننـي اعتقـدت للحظـةٍ أننـي مـن قـال هـذا، وتسـاءلت عـما أعنيـه بذلـك.

انتصَبـت الشـعيرات الموجـودة عـلى مؤخـرة عنقـي وأنـا أخطـو نصـف خطـوة أخـرى نحـو ديـبرا.. وحينئـذ تقـدَّم خارجًـا مـن الظـل، وعـلى ضـوء الفوانيـس الخافِـت.. تلاقَـت أعيننـا، وللحظـةٍ دارت الغُرفـة ذهابًـا وإيابًـا ولم أكُـن أعـرِف أيـن أنـا بالضبـط، تحـوَّل بـصري بينـي عنـد البـاب وبينـه بجـوار طاولـة العمـل الصغـيرة المؤقَّتـة، رأيتنـي أراه، ثـم رأيتـه يـراني، وفي وميـضٍ سـاطِعٍ.. رأيتنـي جالسًـا عـلى الأرض، جالسًـا بثبـاتٍ ودون حركـة، ولم أعـرِف معنـى لهـذه الرؤيـة، وهـو مـا كان مُقلِقًـا للغايـة، قبـل أن أعـود لأكـون أنـا مـرة أخـرى، عـلى الرغـم مـن كـوني غـير مُتأكِّـد لمـا يعنيـه ذلـك.

قـال بصـوتٍ خافِـتٍ وسـعيد مثـل صـوت السـيد روجـرز حـين كان طفـلًا مُضطربًـا: "بالـكاد مُتأكِّـد، لكـن الآن.. هـا أنـت ذا، لذلـك يجـب أن يكـون هـذا هـو المـكان الصحيـح، ألا تظـن هـذا؟".

لا توجـد طريقـة جيـدة لقـول الأمـر، لكـن الحقيقـة هـي.. أننـي حدَّقـت بـه فاغِـر الفـم، أنـا مُتأكِّـد تمامًـا أن لعـابي كان يسـيل، حدَّقـت فحسـب، كان هـو، لا شـك في الأمـر، كان الرجـل الموجـود في الصـور التـي وجدناهـا مـن خـلال كامـيرا المُراقبـة، الرجـل الـذي اعتقدنـا أنـا وديـب أنـه عـلى الأرجَـح.. هـو أنـا.

مـن هـذه المسـافة القريبـة.. كان بإمـكاني رؤيـة أنـه لم يكـن -في الواقِـع- أنـا، ليـس تمامًـا، وشـعرت بموجـة صغـيرة مـن الامتنـان لهـذا الإدراك، مرحـى.. لقـد كُنـت شـخصًا آخـر، لم أجـن تمامًـا بعـد، شـخصًا مُعاديًـا للمُجتمـع.. بالطبـع، وقاتِـلًا غـير مُسـتمِر لحـدٍ مـا، لا عيـب في الأمـر، لكننـي لسـت مجنونًـا، هنـاك شـخص آخـر، ولم يكُـن أنـا، ثلاثـة هتافـات مُشـجِّعة لعقـل ديكسـتر.

لكنـه كان يشـبهني كثـيراً، ربمـا كان أطـول بمقـدار بوصـة أو اثنتـين، أعـرض قليـلًا عنـد الكتفـين والصـدر كـما لـو كان يقـوم بالكثـير مـن رفـع الأثقـال، هـذا.. بالإضافـة إلى شـحوب وجهـه، جعلنـي أعتقِـد أنـه ربمـا كان في السـجن مؤخَّـرًا، لكـن خلـف الشـحوب.. كان وجهـه مُشـابهًا جـدًّا لوجهـي، نفـس الأنـف وعظـام الوجنتـين، نفـس نظـرة العينـين التـي توحـي بـأن الأضـواء تعمـل، لكـن دون أن يكـون أحدهـم موجـوداً بالمنـزل، حتـى شـعره.. كانـت بـه نفـس الموجـة المُحرِجـة في مُنتصفـه، لم يكُـن يُشـبهني حقًّـا، لكنـه كان قريبًـا مـن ذلـك للغايـة.

قال: "أجل، إنها صدمة صغيرة للمرة الأولى.. أليس كذلك؟".

قُلت: "قليلًا، من أنت؟ ولماذا يبدو كُل هذا...".

تركت السؤال غير مُكتمل، لأنني لم أعرف كيف يبدو كُل هذا.

ظهر تعبير على وجهه، يُشبِه ديكستر خائب الأمل للغاية وهو يقول: "يا للهول.. كُنت مُتأكِّدًا للغاية من أنك استوعبت الأمر".

هززت رأسي وأنا أقول: "أنا لا أعرف حتى كيف وصلت إلى هنا".

ابتسم بخفوتٍ وهو يقول: "تولى شخص آخر القيادة الليلة؟".

انتصبت الشعيرات الموجودة على مؤخرة عنقي، بينما ضحك هو مرة أخرى، بصوتٍ آلي لم يكُن جديرًا بالذكر، باستثناء أنه يتطابق تمامًا مع الصوت الزاحِف الموجود في الجانِب السفلي من عقلي، قبل أن يقول: "والقمر حتى ليس مُكتملًا.. أليس كذلِك؟".

قُلت: "لكن القمر ليس مُختفيًا كذلك".

بالكاد يتمتَّع بالذكاء، لكنها كانت محاولة من نوعٍ ما، والتي بدت مهمة في ظل هذه الظروف، وأدركت أنني كُنت نصف ثَمِل بإدراك أن في النهاية هناك شخص ما يعرف، لم يكُن يعبث بملاحظات طعنت بالصدفة في منتصف الهدف الخاص بي، كان مُنتصف الهدف الخاص به بدوره، وللمرة الأولى.. كان يُمكنني النظر إلى الهوة العملاقة بين عينيّ وعيني شخص آخر دون أي نوع من القلق، كان مثلي.

أيًا كان ما كُنت عليه، فكان عليه هو الآخر بدوره، قُلت: "لكن بجدية.. من أنت؟".

اتسعت ابتسامة ديكستر القططية على وجهه، لكن نظرًا لأنه كان يشبهني لحدٍ ما، كان بإمكاني رؤية عدم وجود سعادة حقيقية خلفها، قال: "ما الذي تتذكَّره من الذي حَدَث من قبل؟".

وارتدّ صوت صدى السؤال عبر جدران الحاوية، وكاد يُحطِّم

عقــلي.

الفصل السابع والعشرون

سألني هاري: ما الذي تتذكَّره من الذي حَدَث من قبل؟

لا شيء يا أبي.

باستثناء..

تدفَّقت الصور في عقلي، صور ذهنية.. أحلام؟ ذكريات؟ رؤى واضحة للغاية، أيًّا ما كانت، وكانوا هنا.. في هذه الغُرفة؟ لا، مُستحيل، لا يُمكِن أن يكون هذا الصندوق هنا منذ فترة طويلة، وبالتأكيد لم أكُن فيه من قبل، لكن ضيق المكان، الهواء البارِد الذي يتدفَّق عبر مُكيِّف الهواء الضخم، الضوء الخافِت.. كُل شيء يناديني في سيمفونية الحنين للوطن، بالطبع لم يكُن هذا هو الصندوق نفسه.. لكن الصور كانت واضحة للغاية، مألوفة للغاية، وكانت تقريبًا صحيحة للغاية، باستثناء..

رَمَشت؛ تدفَّقت صورة خلف عينيّ، أغلقتهما.

وعلى الفور عاد إليّ الجزء الداخلي من حاوية أخرى، لا توجد أي صناديق في الحاوية الأخرى، لكن أشياء أخرى كانت هناك، بواسطة.. أمي؟ كان بإمكاني رؤية وجهها هناك، كانت تختبئ بطريقةٍ ما، وتختلِس النظر.. للأشياء، لا يظهر سوى وجهها، وجهها الغامِض غير المُتحرِّك بأي طريقة، في البداية.. أردت أن أضحَك، لأن أمي كانت قد اختبأت بشكلٍ جيدٍ، لم يكُن بإمكاني رؤية بقيتها، وجهها فقط، لا بد وأنها حفرت فجوة في الأرض، لا بد وأنها تختبئ في الحُفرة وتختلِس النظر.. لكن لماذا لم تجبني الآن بعد أن رأيتها؟

لماذا لم تغمِز حتى؟ وحتى حين ناديتها بصوتٍ عالٍ.. لم تجبني، لم تتحرّك، ولم تفعل أي شيء سوى النظر إليّ، وبدون أمي.. كُنت وحيدًا.

لكن لا.. ليس وحيدًا تمامًا، أدرت رأسي وتحرّكت الذكرى معي، لم أكُن وحيدًا، هناك شخص ما معي، كُنت مرتبكًا للغاية في البداية، لأنه كان هنا -لكنه كان شخصًا آخر- لكنه يشبهني تمامًا.. كلانا يشبهني تمامًا..

لكن ماذا كُنا نفعل هنا في هذا الصندوق؟ ولماذا لا تتحرّك أمي؟ يجب أن تُساعدنا، كُنا نجلس في بركة عميقة من.. من.. يجب أن تتحرّك أمي، أن تخرجنا من تلك.. تلك..

همست: "الدماء؟".

قال من خلفي: "لقد تذكَّرت، أنا سعيد للغاية".

فتحت عينيّ، كان رأسي ينبُض بشدة، كان بإمكاني رؤية الغُرفة الأخرى تتداخَل مع تلك الغُرفة، وفي الغُرفة الأخرى.. كان ديكستر الصغير يجلس، كان بإمكاني وضع قدمي على ذات البُقعة، وسيكون أنا الآخر جالسًا بجواري، لكنه لم يكُن أنا، كان شخصًا آخر، شخصًا أعرفه كما أعرف نفسي، شخصًا ما يُدعى..

قُلت بتردُّد: "بيني؟".

كان الصوت واحدًا، لكن الاسم لم يبد صحيحًا.

أومأ بسعادة وهو يربت على يدي: "هذا ما اعتدت أن تناديني به، واجهت مشاكِل في نطق برايان في ذلك الوقت، كُنت تقول بيني، هذا جيد.. من اللطيف أن يكون لديك لقب».

صمت قليلًا، ابتسم وجهه لكن عينيه كانتا مُثبّتتين على وجهي

وهـو يقـول: "يـا أخـي الصغـير".

جلست، وجلس بجواري.

كُل ما استطعت قوله كان: "ماذا...".

كـرَّر قولـه: "أخـي، توأمـي الأيرلنـدي، وُلِـدت بعـدي بعـامٍ واحـدٍ، كانـت والـدتي مُهمِلـة لحـدٍ مـا».

التـوى وجهـه في ابتسـامة بشـعة، كان سـعيدًا للغايـة وهـو يُضيـف: "بأكـثر مـن طريقـة".

حاولت البلع، لكن الأمر لم يفلَح، بينما تابع -برايان- شقيقي.

قـال: "أنـا أخمِّـن بعـض تلـك الأمـور فقـط، لكـن كان لـديّ القليـل مـن الوقـت، وعندمـا تـمّ تشـجيعي عـلى القيـام بأمـرٍ مُفيـدٍ، فعلتهـا، أصبحـت جيـدًا جـدًّا في العثـور عـلى الأشـياء باسـتخدام جهـاز الكمبيوتـر، وجـدت ملفـات الشُّرطـة القديمـة، أمنـا العزيـزة كانـت تتسـكَّع مـع حفنـة مـن المُشـاغبين، في مجـال الاسـتيراد، مثـلي، بالطبـع كانـت مُنتجاتهـم أكـثر حساسـيةً".

مـدّ يـده نحـو صنـدوق مـن الـورق المقـوى وأخـرج يـدًا مليئـةَ بالقُبّعـات المرسـوم عليهـا نمـر راكـض، وهـو يقـول: "سـلعي مصنوعـة في تايـوان، سـلعهم تـأتي مـن كولومبيـا، تخمينـي الأفضـل كان أن أمـي وأصدقاءهـا جرَّبـوا بـدء مـشروع صغـير مُسـتقّل ببعـض المُنتجـات التـي لا تنتمـي إليهـا في الواقِـع بالمعنـى الحـرفي للكلمـة، وكان زملاؤهـا في العمـل غـير راضـين عـن روح اسـتقلاليتها، وقـرَّروا تثبيـط عزيمتهـا".

وضـع القُبّعـات بعنايـةٍ في الصنـدوق، وشـعرت بـه ينظـر إليّ، لكـن لم يكُـن بإمـكاني حتـى أن أديـر رأسي نحـوه، وبعـد لحظـة.. نظـر بعيـدًا.

قال: "وجدونا هنا.. هنا تمامًا".

مـدّ يـده نحـو الأرض، ولمـس نفـس البُقعـة التـي كان يجلـس بهـا الصغير الـذي لم يكُـن أنـا منـذ أمـد بعيـد في الحاويـة الأخـرى، قبـل أن يقـول: "بعـد يومـين ونصـف، عالقـون في الأرض وسـط الدمـاء الجافـة، بعمـق بوصـة واحـدة".

كان صوتـه مُرعبًـا، فظيعًـا، قـال تلـك الكلمـة البغيضة -الدمـاء- بنفس الطريقـة التـي كُنـت سـأقولها بهـا، بـازدراءٍ وبغـضٍ مُطلـقٍ، اسـتكمل حديثـه: "وفقًـا لتقاريـر الشُّرطـة، كان هنـاك العديـد مـن الرجـال هنـا أيضًـا، عـلى الأرجَـح ثلاثـة أو أربعـة، قـد يكـون أحدهـم أو أكـثر والدنـا، جعـل المنشـار الكهربـائي عمليـة التعـرُّف عليهـم صعبـة للغايـة، لكنهـم كانـوا واثقـين تمامًـا مـن وجـود امـرأة واحـدة، أمنـا العجـوز العزيـزة، كُنـت تبلـغ مـن العُمـر ثـلاث سـنوات، أمـا أنـا فأربعـة".

قُلت: "لكن...".

لكـن شـيئًا آخـر لم يخـرُج، قـال برايـان: "صحيـح تمامًـا، كان مـن الصعـب للغايـة إيجـادك، الأمـر صعـب للغايـة مـع سـجلات التبنـي بهـذه الولايـة، لكننـي وجدتـك يـا شـقيقي الصغير، لقـد فعلـت.. أليس كذلـِك؟".

ربـت عـلى يـدي مـرة أخـرى، لفتـة غريبـة لم أرهـا مـن قبـل مـع أي شـخص آخـر في حيـاتي، بالطبـع لم أرَ مـن قبـل أخًـا مـن لحـم ودم، ربمـا كانـت ربتـة اليـد شـيئًا يجـب أن أمارسـه مـع أخـي، أو مـع ديـبرا، وأدركـت بـشيءٍ مـن القلـق أننـي قـد نسـيت كُل شيء بشـأن ديـبرا.

نظرت إليها، على بُعد ستة أقدام، مُثبّتة بدقةٍ في مكانها.

قال شقيقي: "إنها بخير، لم أرد البدء بدونك".

قــد يبــدو شــيئًا غريبًــا بالنســبة لســؤالي الأول المُتماسِــك، لكننــي

سـألته: "كيـف عَرِفـت أننـي أريـد ذلـك؟".

وهـو الـشيء الـذي جعـل الأمـر يبـدو كـما لـو كُنـت أرغَـب في ذلـك بالفعـل -وبالطبـع لم أكُـن أرغَـب في استكشـاف ديـبرا، بالطبـع لا، ورغـم ذلـك- هـا هـو شـقيقي الأكـبر، يريـد اللعـب، بالتأكيـد هـي فرصـة نـادرة بمـا فيـه الكفايـة، أكـثر مـن رابِـط الوالديـن المُشـتركين، أكـثر بكثـير، حقيقـة أنـه مثـلي، قُلـت: "لا يُمكِنـك أن تعـرف حقًّـا".

بـدوت أكـثر غموضًـا بكثـير مـما اعتقـدت أننـي سـأكون، قـال: "لا أعـرِف، لكننـي اعتقـدت أن هـذه فرصـة جيـدة للغايـة، نفـس الـشيء حـدث لكلينـا".

اتسـعت ابتسـامته وهـو يزفـر في الهـواء قائـلًا: "الحـدث الصـادِم.. هـل أنـت عـلى درايـة بهـذا المُصطلَـح، هـل قُمـت بـأي قـراءة عـن وحـوش مثلنـا؟".

قُلـت: "أجـل، وكذلـك فعـل هـاري -والـدي بالتبنـي- لكنـه لم يقُـل أبـدًا مـا حَـدَث بالضبـط".

لـوَّح برايـان بيـده داخـل الصنـدوق الصغـير وهـو يقـول: "هـذا حَـدَث يـا شـقيقي الصغـير، المنشـار الكهربـائي، أجـزاء الجسـد المُتطايـرة، الـ.. الدماء".

نطقهـا بنفـس التركيـز المُخيـف مـرة أخـرى، قبـل أن يسـتكمِل حديثـه: "يومـان ونصـف مـن الجلـوس في هـذه الأشـياء، إنهـا لمعجـزة أننـا نجونـا عـلى الإطـلاق، أليـس كذلـك؟ معجـزة تـكاد تكـون كافيـة لتجعلـك تُصـدِّق في وجـود الـرب".

لمعـت عينـاه، ولسـببٍ أو لآخـر، ارتعـدت ديـبرا وأصـدرت صوتًـا مكتومًـا، تجاهلهـا وهـو يقـول: "اعتقـدوا أنـك صغـير بمـا يكفـي للتعافي،

لكنني كُنت قد تجاوزت الحد العُمري بقليلٍ، لكن كلينا كان يُعاني من صدمة كلاسيكية، توافرت بنا جميع شروطها، وهذا ما جعلني ما أنا عليه، واعتقدت أنه قد يحدُث نفس الشيء بالنسبة لك".

قُلت: "لقد فعل، نفس الشيء بالضبط".

قال: "أوليس هذا لطيفًا، روابط عائلية".

نظرت إليه، أخي، كلمة غريبة، إذا ما حاولت نطقها بصوتٍ عالٍ، فأنا مُتأكِّد أنني سأتلعثَم، كان الأمر من المُستحيل تمامًا تصديقه، أو من العبث تمامًا محاولة إنكاره، كان يشبهني، نحب نفس الأشياء، حتى أنه كان يتمتَّع بنفس ذوقي الرهيب في المزاح.

هززت رأسي وأنا أقول: "أنا فقط...".

قال: "أجل، يستغرق الأمر دقيقة لتعتاد على فكرة وجود اثنين منا، أليس كذلك؟".

قُلت: "ربما أطول قليلًا، لا أعرِف إذا ما كُنت...".

"يا إلهي.. هل نشعُر بالحساسية؟ بعد كُل ما حَدَث؟ بعد يومين ونصف من الجلوس هنا يا صديقي، صبيان صغيران، يجلسان ليومين ونصف في الدماء".

بمُجرَّد أن قالها، شعرت بالمرض، الدوار، قلبي يؤلمني، ورأسي يدُق.

قُلت: "لا..".

لكنني صمتُّ عندما شعرت بيده على كتفي، قال: "لا يهم، المُهِم هو ما يحدُث الآن".

قُلت: "ما.. يحدُث».

أحدث صوت ضجيج صغيرًا، غريبًا، كالقرقرة، كان المقصود منه

بالتأكيد أن يبدو مثل الضحك، لكنه ربما لم يتعلَّم كيفية تزييفه مثلما فعلت، وهو يقول: "أجل، ما يحدُث، الآن، أعتقد أنه يجب عليّ أن أقول شيئًا مثل: حياتي كُلها كانت تؤدي إلى ذلك!".

كرَّر صوت القرقرة وهو يستكمل: "بالطبع لم يستطع أي منا التعامل مع ذلك بشعورٍ حقيقي، فبعد كُل شيء.. لا يُمكننا أن نشعُر بأي شيء، أليس كذلك؟ لقد قضينا حياتنا في التمثيل، شققنا طريقنا في هذا العالم ونحن نقرأ أدوارنا، ونتظاهر أننا ننتمي لعالم مصنوع من أجل البشر، ونحن لم نكُن بشرًا أبدًا، ودائمًا.. للأبد.. نبحث عن وسيلة لنشعُر بشيءٍ ما! للوصول يا شقيقي الصغير، للحظةٍ مثل هذه! حقيقية، أصلية، شعور غير زائف! يخطف الأنفاس.. أليس كذلك؟".

وقد فعل، كان رأسي يدور، لم أجرؤ على إغلاق عينيّ مرة أخرى خوفًا مما قد ينتظرني هناك، والأسوأ من ذلك.. كان أخي بجانبي، يراقبني، يُطالبني بأن أكون على طبيعتي، أن أكون مثله تمامًا، وأن أكون كنفسي، أن أكون شقيقه، أن أكون ما أنا عليه، عليّ أن أفعل ذلك، عليّ أن أفعل.. ماذا؟ تحرَّكت عيناي من تلقاء نفسيهما نحو ديبرا.

قال وغضب الراكِب المُظلِم الهادئ يسكُن صوته الآن: "أجل، كُنت أعلَم أنك ستفهم ذلك، هذه المرة.. سنفعلها معًا».

هززت رأسي، لكن ليس بشكلٍ مُقنِع وأنا أقول: "لا أستطيع".

قال: "يجب أن تفعل".

وكان كلانا مُحقًّا، لمس كتفي مرة أخرى، تقريبًا كانت دفعة مُطابقة تمامًا لدفعة هاري التي لم أستطع فهمها أبدًا، ومع ذلك..

مكتبة t.me/t_pdf

بدت قوية تمامًا مثل يد أخي، لأنها رفعتني على قدميّ ودفعتني للأمام؛ خطوة، اثنتين، كانت عينا ديبرا اللتين لا ترمشان مُثبّتتين على وجهي، لكن مع هذا الحضور الآخر من خلفي، لم أستطِع إخبارها أنني لن أفعل ذلك بالتأكيد..

قال: "معًا، مرة أخرى، لننتهي من القديم، ونبدأ في الجديد، إلى الأمام.. إلى الأعلى.. إلى الداخل!".

خطوة أخرى، عينا ديبرا كانتا تصرخان عليّ، لكن..

كان بجانبي الآن، يقف معي، وشيء ما يلتمع في يده، شيئان، قال: "الواحد من أجل الجميع، والجميع من أجل الواحد.. هل سبق أن قرأت الفرسان الثلاثة؟".

قذف سكينًا في الهواء، سارَع بإمساكه بيده اليُسرى، ورفعه نحوي، انعَكَس الضوء الخافِت على النصل الذي أمسكه ليحرقني، لا يُضاهيه سوى البريق الذي التمَع في عيني برايان وهو يقول بينما تلتمِع أسنانه كعينيه تمامًا: "هيا يا ديكستر، يا شقيقي الصغير، خُذ السكين، إنه وقت العرض".

أصدرت ديبرا الملفوفة بإحكامٍ بالشريط اللاصِق صوتًا مكتومًا، نظرت نحوها، كان هناك نفاد صبر محموم في عينيها، وجنون مُتزايد كذلك، بحقك يا ديكستر! هل كُنت أفكِّر حقًّا في فعل ذلك بها؟ أطلِق سراحها واتركها تعود للمنزل، حسنًا يا ديكستر؟ ديكستر؟ مرحبًا يا ديكستر؟ هذا أنت، أليس كذلك؟

ولم أكُن أعرِف.

قال برايان: "ديكستر، بالطبع لا أقصِد التأثير على قرارك، لكن منذ أن عَلِمت أن لديّ أخًا مثلي تمامًا، وهذا كُل ما يُمكِنني التفكير

بـه، وأنـت تشـعُر بالـشيء ذاتـه، أسـتطيع أن أرى ذلـك في وجهـك".

قُلـت وأنـا لا أزال لا أسـتطيع إبعـاد عينـيّ عـن وجـه ديـبرا القَلِـق: "أجـل، لكـن هـل يجـب أن تكـون هـي؟".

"ولماذا لا تكون هي؟ ماذا تُمثِّل لك؟".

مـاذا تُمثِّـل لي بالفعـل، كانـت عينـاي مُثبّتتـين عـلى ديـبرا، لم تكُـن شـقيقتي حقًـا، ليـس في الحقيقـة، لا تربطنـي بهـا أي علاقـة حقيقيـة من أي نـوع، عـلى الإطـلاق، بالطبـع كُنـت مُغرمًـا بهـا للغايـة، لكـن.. لكـن مـاذا؟ لمـاذا تـردَّدت؟ بالطبـع كان الأمـر مُسـتحيلًا، كُنـت أعلـم أنـه أمـر لا يُمكِـن تصـوُّره، حتـى كـما اعتقـدت، ليـس فقـط بسـبب أنهـا ديـبرا، عـلى الرغـم مـن أنهـا كانـت كذلـك بالفعـل، لكـن هـذه الفكـرة الغريبـة التـي خطـرت عـلى عقـلي المسـكين الكئيـب، ولم أتمكَّـن مـن التخلُّـص منهـا: مـاذا كان هـاري سيقول؟

وقفـت بغـير يقـين، لأنـه مهـما أردت أن أبـدأ، كُنـت أعـرِف مـاذا كان هـاري ليقـول، كان قـد قالهـا بالفعـل، لقـد كانـت مـن حقائـق هـاري غـير القابِلـة للتغيـير: قطِّـع الأشرار يـا ديكسـتر، لا تقُـم بتقطيـع أختـك، لكـن هـاري لم يتوقَّـع شـيئًا مـن هـذا القبيـل.. كيـف لـه أن يفعَـل؟ لم يتخيَّـل أبـدًا حينـما كَتَـب قانـون هـاري أننـي سـأواجه خيـارًا كهـذا؛ أن أقِـف إلى جانِـب ديـبرا -والتـي ليسـت أختـي الحقيقيـة- أو أن أنضـم إلى أخـي الحقيقـي بنسـبة ١٠٠٪ في لعبـة كُنـت أرغَـب بشـدةٍ في لعبهـا، ولا يُمكِـن لهـاري أن يتصـوَّر ذلـك عندمـا وضعنـي في طريقـي، لم يعلَـم هـاري قـط أن لـديّ أخ يُمكِنـه أن..

لكـن انتظـر لحظـة، أمسـك بالهاتِـف مـن فضلـك، كان هـاري يعلـم.. كان هـاري هنـاك عندمـا حَدَث ذلـك.. أليـس كذلـك؟ واحتفَـظ بالأمـر لنفسـه، لم يُخـبرني قـط أن لـديّ أخًـا، كُل تلـك السـنوات الخاويـة المليئـة

بالوحـدة التـي شـعرت فيهـا أنني كُنـت بمفـردي.. كان يعلـم أننـي لسـت كذلـك، كان يعلـم ولم يُخبرني، أهـم حقيقـة عنـي -أننـي لسـت وحيـدًا- وأبقـى الأمـر بعيـدًا عنـي، بمـاذا كُنـت مدينًـا لهـاري حقًّـا الآن، بعـد هـذه الخيانـة الرائِعـة؟

وأكـثر مـن ذلـك.. مـا الـذي كُنـت مدينًـا بـه لهـذه الكُتلـة الملتويـة مـن لحـوم الحيوانـات التـي ترتعِـد تحتـي، هـذا المخلـوق الـذي يتظاهَـر بكونـه أختـي؟ مـا الـذي يُمكِـن أن أديـن بـه لهـا مُقارنـةً برابطتـي مـع برايـان -أخـي الحقيقـي- والـذي يُمثِّـل نسـخة حيَّـة مـن نفـس الحمـض النـووي الثمـين؟

تدحرجـت قطـرة مـن العـرق عـلى جبـين ديـبرا وصـولًا إلى عينهـا، رمشـت بشـكلٍ محمـومٍ، لتصنـع وجوهًـا قبيحـة في محاولتهـا للاسـتمرار في مُراقبتـي وإزالـة القطـرة مـن عينهـا في الوقـت ذاتـه، بـدت حقًّـا مُثـيرة للشـفقة إلى حـدٍ مـا، مربوطـة بـلا حـول ولا قـوة وتقـاوم مثـل حيـوان أخـرق؛ حيـوان بـشري أخـرق، ليـس مثـلي عـلى الإطـلاق، مثـل أخـي؛ ليسـت ماهـرة عـلى الإطـلاق، ذكيـة، نظيفـة دون فـوضى دمويـة، أو مُقاتِلـة بالسـكاكين ذات النصـل الحـاد مثـل ديكسـتر وشـقيقه.

قـال بصـوتٍ سـمعت فيـه نفـاد الصـبر، انتقـادًا، وبدايـة خيبـة أمـل: "حسـنًا؟".

أغلقـت عينـيّ، دارت الغُرفـة مـن حـولي، أظلَمـت، لم أسـتطِع الحركـة، كانـت أمـي تراقبنـي، دون أن ترمـش، فتحـت عينـيّ، وقـف شـقيقي قريبًـا جـدًّا مـن خلفـي لدرجـة أننـي شـعرت بأنفاسـه عـلى رقبتـي، نظـرت أختـي إليّ، كانـت عيناهـا واسـعتين ولا ترمشـان مثـل عينـي أمـي، وأسرتنـي النظـرة التـي رمقتنـي بهـا، مثلـما فعلـت بي نظـرة أمـي، أغلقـت عينـيّ؛ أمـي.. فتحـت عينـيّ.. ديـبرا.

أخذت السكين.

كانـت هنـاك ضوضـاء خافتـة واندفـاع مـن الهـواء الدافـئ في هـواء الصنـدوق البـارِد، درت للخلـف.

وقفت لاجويرتا على المدخَل، وفي يدها مُسدَّس آلي صغير رديء.

قالـت وهـي تنظـر إلى ديـبرا، قبـل أن تعـود لتنظُـر إليّ: "علِمـت أنـك ستُجرِّب ذلـك، يجـب أن أطلـق النـار عليكـما".

نظـرت للسـكين في يـدي وهـي تسـتكمِل: "يجـب أن يـرى الرقيـب دوكـس هـذا، كان مُحقًّـا بشـأنك".

ووجَّهـت المُسـدَّس نحـوي لنصـف ثانيـة فحسـب، لكنهـا كانـت كافيـة، تحـرَّك برايـان سريعًـا، أسرع مـما ظننـت أن بإمكانـه فعلـه، ومـع ذلـك.. أطلقـت لاجويرتـا طلقـة واحـدة، وتعـثَّر برايـان قليـلًا وهـو يطعـن وسـط لاجويرتـا بالسـكين، وللحظـةٍ.. وقفـا بهـذا الشـكل، قبـل أن ينهـار كلاهـما عـلى الأرض، دون حـراك.

بـدأت بركـة صغـيرة مـن الدمـاء في الانتشـار عـلى الأرض، اختلطَـت بهـا دماؤهـما؛ برايـان ولاجويرتـا، لم تكُـن عميقـة، ولم تنتـشِر بعيـدًا، لكننـي تراجعـت مُبتعـدًا عنهـا، هـذه المـادة الرهيبـة، وبـشيءٍ أقـرب مـا يكـون للفـزع، تراجعـت خطوتـين فقـط للخلـف، قبـل أن أصطـدِم بـشيءٍ أصـدر صوتًـا مكتومًـا يُطابِـق ذعـري.

ديبرا، أزلت الشريط اللاصِق عن فمها.

قالـت: "بحـق المسيح، هـذا يؤلِـم، أخرجنـي مـن هـذا الهـراء بحـق السـماء، وتوقَّـف عـن التـصرُّف مثـل مجنـون لعـين".

نظـرت إلى ديـبرا، تـرك الشريـط اللاصِـق حلقـةً مـن الدمـاء حـول شـفتيها، دمـاء حمـراء قانيـة دفعتنـي إلى الخلـف، خلـف عينـيّ ونحـو

حاوية الماضي مع أمي، قبعت هناك، مثل أمي تمامًا، تمامًا مثل المرة السابِقة مع هواء الحاوية البارِد الذي يجعل الشعيرات الموجودة على مؤخرة عنقي تنتصِب، ويجعل الظلال الداكِنة تتراقَص من حولنا، تمامًا مثل المرة السابِقة التي استلقت فيها وهي مربوطة وتحدِّق بي في انتظار مثل نوعٍ من الـ...

قالت: "اللعنة، بحقك يا ديكس، أفِق".

وهذه المرة كان لديّ سكين، وكانت لا تزال عاجِزة، بإمكاني تغيير كُل شيء الآن، بإمكاني أن...

قالت أمي: "ديكستر؟".

أعني ديبرا، بالطبع هذا ما كُنت أعنيه، ليست أمي التي تركتنا في هذا المكان بهذه الطريقة على الإطلاق، تركتنا في هذا المكان حيث بدأ فيه الأمر، والذي ربما سينتهي فيه، مع شيء يلح عليّ أن أفعله وهو يركَب حصانه الأسود الضخم ويركض به تحت القمر الرائِع، بينما تهمس الآلاف من الأصوات الحميمة: افعلها.. افعلها الآن.. افعلها وسيتغيَّر كُل شيء.. بالطريقة التي ينبغي عليه أن يكون بها.. لتعود مع...

قال شخص ما: "أمي؟".

قالت أمي: "بحقك يا ديكستر".

أعني ديبرا، لكن السكين كان يتحرّك، قالت: "ديكستر، بحق السماء، توقّف عن هذا الهراء، إنها أنا.. ديبي!".

هززت رأسي، بالطبع كانت ديبرا، لكنني لم أستطِع إيقاف السكين، قُلت: "أعلم يا ديب، أنا آسف جدًّا حقًّا".

ارتَفَع السكين، لم يكُن بإمكاني سوى مُشاهدته، لم يُمكنني إيقافه

الآن بأي طريقة، لمسة واحدة صغيرة من هاري ما زالت تجلدني، تُطالبني بأن أنتبه لأبعدها، لكنها صغيرة جدًّا، وضعيفة، والرغبة كانت كبيرة، قوية، أقوى مما كانت عليه من قبل، لأن هذا كان كُل شيء، البداية والنهاية، وكانت قد رفعتني إلى أعلى وأخرجتني من نفسي، وأرسلتني لأمهِّد الطريق بين الولد المُلطَّخ بالدماء وبين الفُرصة الأخيرة لتصحيح الأمر، هذا من شأنه أن يغيِّر كُل شيء، وستعوضني أمي، سيُريها ما فَعَلَت، لأنه كان يجب على أمي أن تنقِذنا، وهذه المرة يجب أن تكون مُختلِفة، حتى ديب.. سيتحتَّم عليها أن ترى ذلك.

"ضع السكين جانبًا يا ديكستر".

كان صوتها أهدأ قليلًا الآن، لكن تلك الأصوات الأخرى كانت أعلى بكثير لدرجة أنني بالكاد استطعت سماعها، حاولت وضع السكين جانبًا، حاولت بالفعل، لكنني نجحت في خفضها لبضع بوصات قليلة فحسب.

قُلت: "أنا آسف يا ديب، أنا فقط لا أستطيع".

حاربت العواء المُتصاعِد من حولي بسبب العاصِفة التي كبرت تدريجيًّا على مدار الخمس وعشرين سنة الماضية للتحدُّث، والآن جمعت بيني وبين أخي معًا مثل الرعد في ليلة قمرية مُظلِمة..

"ديكستر!".

قالتها أمي الشريرة، التي أرادت أن تتركنا هنا بمُفردنا في الدماء الباردة الرهيبة، وصوت هسيس أخي الذي تداخَل مع صوتي: "عاهرة!".

ورفعت السكين للأعلى مرة أخرى..

سـمعت صـوت ضوضـاء مـن الأرضيـة، لاجويرتـا؟ لم يكُـن بإمـكاني أن أقـول، ولا يهِـم، عـليّ أن أنتهـي، عـليّ أن أفعـل ذلـك، عـليّ أن أسـمح لهـذا بالحـدوث الآن.

قالـت ديبـي: "ديكسـتر، أنـا شـقيقتك، أنـت لا تُريـد أن تفعـل هـذا بي، مـاذا كان أبي ليقـول؟".

وآلمنـي هـذا، سـأعترف بذلـك، قالـت: "ضـع السـكين جانبًـا يـا ديكسـتر".

سـمعت صوتًـا آخـر مـن خلفـي، وغرغـرة صغـيرة، ارتفـع السـكين الموجـود في يـدي.

قالت ديبرا: "ديكستر، انتبه!".

التفـت ورأيـت المُحقِّقـة لاجويرتـا تسـتنِد عـلى ركبـة واحـدة، تشـهَق، تُجاهِـد لرفـع سـلاحها الـذي بـدا ثقيـلًا فجـأة، ارتفعـت فوهتـه، ببطء، ببـطء.. صوَّبتـه نحـو قدمـي، نحـو ركبتـي..

لكـن هـل هـذا مُهِـم؟ لأن هـذا كان سـيحدُث الآن بغـض النظـر عـن أي شيء، وعـلى الرغـم مـن أننـي اسـتطعت رؤيـة إصبـع لاجويرتـا مشـدودًا عـلى الزنـاد، فالسـكين الموجـود في يـدي لم يبطـئ مـن سُرعتـه.

نادتني ديب: "ستُطلق عليك النار يا ديكس!".

بـدت محمومـة إلى حـدٍّ مـا الآن، بينـما كان المُسـدَّس مصوَّبًـا إلى سرتي، كان وجـه لاجويرتـا يتشـنَّج في عبـوسٍ مـن التركيـز والجُهـد الهائلـين، كانـت سـتطلِق النـار عـليّ حقًـا، اسـتدرت نصـف اسـتدارة نحـو لاجويرتـا، لكـن سـكيني كان لا يـزال يشُـق طريقـه للأسـفل..

قالت أمي/ ديبرا الموجودة على الطاولة: "ديكسترا!".

لكـن الراكِـب المُظلِـم نـاداني بصـوتٍ أعـلى وهـو يتقـدَّم، أمسـك

بيـدي، وخَفَـض السـكين للأسـفل..

"ديكس!".

همـس هـاري مـن الخلـف بصـوت شـبحي بخُـف الريشـة: "أنـت ولـد جيـد يـا ديكـس".

كان صوتـه كافيًـا لخفـض السـكين قليـلًا مـرة أخـرى، همسـت: "لا أسـتطيع المُسـاعدة".

كان هنـاك الكثـير يتصاعَـد عـلى مقبـض النصـل المُرتعِـش، قـال بحـدةٍ وعينـاه الزرقـاوان القاسـيتان اللتـان لا نهايـة لهـما تُراقبانني مـن خـلال عينـي ديـبرا: "اخـتر مـاذا.. أو مـن.. سـتقتُل".

كانـت المُراقبـة كافيـة لخفـض السـكين نصـف بوصـة كاملـة إضافيـة، قـال هـاري بهـدوءٍ فـوق الصخـب المُتصاعِـد مـن التدافُـع بالداخِـل: "هنـاك الكثـير مـن النـاس الذيـن يسـتحقون ذلـك".

تجمَّـد طـرف السـكين في مكانـه، لم يسـتطِع الراكِـب المُظلِـم خفضـه، لم يسـتطِع هـاري وضعـه جانبًـا، وهـا نحـن ذا.

سـمعت صوتًـا صدئًـا مـن خلفـي، رطمـة ثقيلـة، ثـم أنينًـا مـلأ الفـراغ لدرجـة أنـه زَحَـف عـلى كتفـي مثـل وشـاح حريـري عـلى أقـدام عنكبـوت، التفـت.

اسـتلقت لاجويرتـا أرضًـا وامتـدَّت يدهـا المُمسِـكة بالمُسـدَّس بعيـدًا، مُثبَّتـة في الأرض بسـكين برايـان، شـفتها السُّـفلي أسـيرة بـين أسـنانها، وعيناهـا تنبضـان بـالألم، جلـس برايـان بجوارهـا، يراقـب الخـوف الـذي يتدفَّـق عـلى وجههـا، كان يتنفَّـس بصعوبـة وهـو يبتسِـم ابتسـامة قاتمة.

قال: "هل ستتطهَّر يا أخي؟".

قُلت: "لا أستطيع».

ترنَّح أخـي علـى قدميـه وهـو يقـف أمامـي، يترنَّـح قليـلًا مـن جانـبٍ إلى آخـر، قـال: "لا تسـتطيع؟ لا أظـن أننـي أعـرِف تلـك الكلمـة".

نـزع السـكين مـن بين أصابعي، لم أسـتطِع منعه ولم أسـتطِع مُسـاعدته، كانـت عيناه على ديبرا الآن، لكـن صوتـه كان يجلـد جسـدي ويُبـدِّد أثر أصابِـع هـاري الشـبحية عـن كتفـي، وهـو يقـول: "يجـب أن نفعـل يـا شـقيقي الصغـير، يجـب أن نفعـل حقًّـا، لا توجـد طريقـة أخـرى".

شَـهَق وانثنـى مرتـين للحظـةٍ، اعتـدل، ورفـع السـكين ببـطءٍ، سـألني: "هـل سيتحتَّم علـيّ أن أذكِّـرك بأهميـة العائلـة؟".

قُلت: "لا".

ومـن حـولي بـدأت كلتـا عائلتـي، الأحيـاء منهـم والأمـوات، تحتشـد مـن حـولي تطالـب إمـا أن أفعَـل أو لا أفعَـل، ومـع همسـة أخـيرة مـن عينـي هـاري الزرقاويـن إلى ذاكـرتي، بـدأ رأسي يهتـز مـن تلقـاء نفسـه وأنـا أقـول مـرة أخـرى: "لا".

وهذه المرة كُنت أعنيها: "لا، لا أستطيع، ليس ديبرا".

نظر إليّ أخي وهو يقول: "سيئ للغاية، أنا مُحبَط للغاية".

وهو يهوي بالسكين.

الخاتمة

أعلَم أنه يكاد أن يكون ضعفًا بشريًّا، وقد لا يكون الأمر أكثر من عاطفة عادية، لكني دائمًا ما كُنت أحِب الجنازات، لسببٍ واحدٍ.. أنها نظيفة وأنيقة للغاية، يتم تخصيصها بالكامِل للاحتفالات الدقيقة، وكانت هذه حقًّا جنازة جيدةً جدًّا، كانت تضم صفوفًا من رجال ونساء الشرطة ذوي الأزياء الرسمية زرقاء اللون، يبدون مهيبين وأنيقين و.. حسنًا احتفاليين، كانت هناك طقوس التحية بالبنادِق، طي العلم بأناقةٍ، وكل تلك الزركَشة.. عرض رائِع ويليق بالمتوفى، كانت بعد كُل شيء واحدة منَّا، امرأة خدمت مع قلة من الرجال الفخورين.. أم أن هذا خاص بالمارينز؟ لا يهم، لقد كانت شرطية في ميامي، ويعرف رجال شرطة ميامي كيف يقيمون جنازة لواحد منهم، كانوا قد تدرَّبوا على هذا كثيرًا.

تنهَّدت بصوتٍ خافتٍ وأنا أقول: "أوه يا ديبرا".

كُنت أعلم بالطبع أنها لا تستطيع سماعي، لكن بدا هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله، وأردت أن أقوم بذلك بالشكل الصحيح.

لكم تمنّيت أن أستطيع ذرف دمعة أو اثنتين، كُنت أنا وهي قريبين من بعضنا البعض للغاية، كان موتها فوضويًّا وغير سار، طريقة لا يتمنى أي شرطي أن يموت بها، مطعونة حتى الموت من قِبَل قاتل مهووس، حضرت قوات الإنقاذ بعد فوات الأوان؛ كان الأمر قد انتهى بوقت طويل قبل أن يتمكَّن أي شخص من الوصول إليها،

ورغم ذلك.. كمثال على شجاعتها الذاتية، فقد ساعدت في إظهار كيف يجب أن يعيش ويموت رجل الشرطة، أنا أقتبِس ذلك بالطبع، لكن هذا هو جوهَر الأمر، وهو أمر جيد للغاية حقًّا، يتحرّك إذا ما كان لدى الشخص أي شيء يُمكِن نقله، وهو ما لا أعرفه، لكنني بالطبع كُنت أعرفه حين أسمعه، وكان هذا هو الشيء الحقيقي، تورّطت بين شجاعةٍ الضُّبَّاط الصامتةٍ في بدلاتهم النظيفة الزرقاء وبين عويل المدنيين، لم أستطِع منع نفسي، تنهَّدت بشدةٍ وأنا أقول: "أوه يا ديبرا".

تنهَّدت، بصوتٍ أعلى قليلًا هذه المرة، كدت أشعر بذلك وأنا أقول: "يا ديبرا العزيزة الغالية".

همست: "توقَّف عن ذلك أيها الأحمق".

قبل أن تصدمني بكوعها بقوةٍ، بدت جميلة في زيها الجديد، أخيرًا أصبحت رقيبة، وهو أقل ما يُمكِن أن يفعلوه لها بعد عملها الشاق في التعرُّف على سفَّاح تامِيامي والاقتراب من القبض عليه، ومع صدور كُل تلك المنشورات الرسمية الإلكترونية، لا شك أنهم سيجدون شقيقي المسكين آجلًا أم عاجلًا، هذا في حال لم يجدهم هو أولًا بالطبع، منذ أن تمّ تذكيري بالقوة بأن العائلة مُهمّة، وأنا أتمنى أن يظل حرًّا، وستتقبّل ديبرا الأمر بعد أن تقبّلت ترقيتها، أرادت حقًّا أن تُسامحني، وكانت أكثر من نصف مُقتنِعة بالفعل بحكمة هاري، نحن أيضًا عائلة، وهذا ظَهَر في النهاية.. أليس كذلك؟ لم تكُن هذه خطوة كبيرة في تقبُّل حقيقتي بعد كُل شيء.. أليس كذلك؟ ستكون الأمور كما هي عليه، وفي الحقيقة.. ما كانت عليه، ستظل دائمًا عليه.

تنهّدت مرة أخرى، قالت هامسةً: "توقَّف!".

أومأت برأسها نحو الطرف البعيد من صف رجال شُرطة ميامي القُساة، اختلست نظرة خاطِفة إلى حيث أشارت، كان الرقيب دوكس يحدِّق بي، لم يرفَع عينيه عني، ولا مرة واحدة طوال الوقت، ولا حتى عندما كُنت ألقي حفنة من التُراب فوق تابوت المُحقِّقة لاجويرتا، كان واثِقًا جدًّا من أن الأشياء ليست كما تبدو عليه، كُنت أعلَم على وجه اليقين أنه سيأتي من أجلي الآن، سيتعقَّبني مثل كلب الصيد الذي كان عليه، ليتتبَّع خطواتي ويشم آثاري في محاولة للإيقاع بي، ليجعلني أدفع ثمن كُل ما قُمت به، وما سأفعله مرة أخرى بطبيعة الحال.

ضغطت على يد أختي بيدٍ، وباليد الأخرى لمست الشريحة الزجاجية الباردة الموجودة في جيبي، قطرة واحدة من الدماء الجافة، والتي لم تذهَب للقبر مع لاجويرتا، لكنها ستعيش للأبد في الرف الخاص بي، جعلني الأمر أشعر بالراحة، لم أكُن أمانِع ما يفعله الرقيب دوكس، أو أيًّا كان ما يعتقده أو يفعله، كيف يُمكِنني أن أمانِع؟ ليس بإمكانه السيطرة على من يكون أو ماذا يفعل أكثر من أي شخص آخر، سيأتي من أجلي، حقًّا، ماذا يُمكِنه أن يفعل أكثر من ذلك؟

ماذا يُمكِن لأي منا أن يفعل؟ جميعنا عاجزون تمامًا، ساقطون في قبضة أصواتنا الصغيرة، ماذا يُمكِننا أن نفعل حقًّا؟

لكم تمنيت حقًّا لو تمكَّنت من ذرف دمعة، كان كُل شيء جميلًا للغاية، جميلًا مثل تمام اكتمال القمر القادم، عندما سأستعدي الرقيب دوكس، وستستمر الأمور كما هي عليه، وكما كانت دائمًا، تحت ذلك القمر الجميل الساطع.

القمر الرائع، الكامل، الموسيقي، المحمر.

مكتبة
t.me/t_pdf

عن الكاتِب

جيـف لينـدسي يعيـش في جنـوب فلوريـدا مـع زوجتـه وبناتـه الثـلاث، وهـو الآن بصـدد الانتهـاء مـن روايـة ثانيـة خاصـة بديكسـتر.

كيان للنشر والتوزيع

أفضل دار نشر مصرية ٢٠٢١

للتواصل معنا :

kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

أو زوروا موقعنا:

www.kayanpublishing.com

وللاتصال الهاتفي:

هاتف أرضي: 0235918808

هاتف محمول: 01001872290/ 01000405450

وللاطلاع علي كُتُبنا، ومتابعة إصدراتنا الجديدة، وأنشطتنا وأنشطة كتابنا الثقافية، يمكنكم متابعتنا على حسابات التواصل الاجتماعي التالية:

KayanPublishing

مكتبة | سُر مَن قرأ

telegram @t_pdf

الحالم الغامض

دكستر

قابِل دكستر مورجان، ذئب مُهذَّب في ثياب حمل، إنه وسيم وجذاب، لكن شيئًا ما ف ماضيه جعله يلتزم بمجموعةٍ مُختلِفةٍ من القواعِد، فهو قاتل مُتسلسل تجعله قاعدته الذهبية الوحيدة محبوبًا للغاية: يقتل الأشرار فقط، وعمله كخبير في بُقع الدم بقسم شرطة ميامي يضعه في الموقع المثالي للتعرُّف على ضحاياه، ولكن عندما تبدأ سلسلة من جرائم القتل الوحشية والتي تحمل تشابهًا صارخًا مع أسلوبه في الظهور، يجد دكستر نفسه حائرًا بين الشعور بالإطراء والخوف.. منه أو من أي شرير آخر.

«كوميديا سوداء بلمسةٍ إبداعيةٍ»
(The Miami Herald)

«ربما يكون القاتل المُتسلسِل الأول الذي يحصد حبنا بلا خجَل»
(Entertainment Weekly)

«مُظلِمة ومُخادِعة.. جريئة وكوميدية بشكلٍ غير متوقعٍ»
(USA Today)

«يُمكِنك الاستغناء عن تكييف الهواء.. بفضل قشعريرة كتلك»
(Time)

جيف ليندسي

كيان

9 789778 201086